ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة فبكى سلمان بكاء شديدا وقال بعضهم رأيت كتابا من محمد بن يوسف إلى عبد الرحمن بن يوسف سلام عليك فانى أحمد الله إليك الذى لا إله إلا هو أما بعد فانى أحذرك متحولك من دار مهلتك إلى دار إقامتك وجزاء أعمالك فتصير فى قرار باطن الأرض بعد ظاهرها فيأتيك منكر ونكير فيقعدانك وينتهرانك فان يكن الله معك فلا بأس ولا وحشة ولا فاقة وإن يكن غير ذلك فأعاذنى الله وإياك من سوء مصرع وضيق مضجع ثم تبليغك صيحة الحشر ونفخ الصور وقيام الجبار لفصل قضاء الخلائق وخلاء الأرض من أهلها والسموات من سكانها فباحت الأسرار وأسعرت النار ووضعت الموازين وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين فكم من مفتضح ومستور وكم من هالك وناج وكم من معذب ومرحوم فياليت شعرى ماحالى وحالك يومئذ ففى هذا ماهدم اللذات وأسلى عن الشهوات وقصر عن الأمل وأيقظ النائمين وحذر الغافلين أعاننا الله وإياكم على هذا الخطر العظيم وأوقع الدنيا والآخرة من قلبى وقلبك موقعهما من قلوب المتقين فانما نحن به وله والسلام . وخطب عمر بن عبد العزيز فحمد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس إنكم لم تخلقوا عبثا ولن تتركوا سدى وإن لكم معادا يجمعكم الله فيه للحكم والفصل فيما بينكم فخاب وشقى غدا عبد أخرجه الله من رحمته التى وسعت كل شيء وجنته التى عرضها السموات والأرض وإنما يكون الأمان غدا لمن خاف واتقى وباع قليلا بكثير وفانيا بباق وشقوة بسعادة ألا ترون أنكم فى أسلاب الهالكين وسيخلف بعدكم الباقون ألا ترون أنكم فى كل يوم تشيعون غاديا ورائحا إلى الله عز وجل قد قضى نحبه وانقطع أمله فتضعونه فى بطن صدع من الأرض غير موسد ولا ممهد قد خلع الأسباب وفارق الأحباب وواجه الحساب وايم الله إنى لأقول مقالتى هذه ولا أعلم عند أحدكم من الذنوب أكثر مما أعلم من نفسى ولكنها سنن من الله عادلة آمر فيها بطاعته وأنهى فيها عن معصيته وأستغفر الله ووضع كمه على وجهه وجعل يبكى حتى بلت دموعه لحيته وما عاد إلى مجلسه حتى مات وقال القعقاع بن حكيم قد استعددت للموت منذ ثلاثين سنة فلو أتانى ما أحببت تأخير شيء عن شيء وقال الثورى رأيت شيخا فى مسجد الكوفة يقول أنا فى هذا المسجد منذ ثلاثين سنة أنتظر الموت أن ينزل بى ولو أتانى ما أمرته بشيء ولا نهيته عن شيء ولا لى على أحد شيء ولا لأحد عندى شيء وقال عبد الله بن ثعلبة تضحك ولعل أكفانك قد خرجت من عند القصار ، وقال أبو محمد بن على الزاهد خرجنا فى جنازة بالكوفة وخرج فيها داود الطائى فانتبذ فقعد ناحية وهى تدفن فجئت فقعدت قريبا منه فتكلم فقال : من خاف الوعيد قصر عليه البعيد ومن طال أمله ضعف عمله وكل ما هو آت قريب . واعلم يا أخى أن كل شيء يشغلك عن ربك فهو عليك مشئوم واعلم أن أهل الدنيا جميعا من أهل القبور إنما يندمون على ما يخلفون ويفرحون بما يقدمون فما ندم عليه أهل القبور أهل الدنيا عليه يقتتلون وفيه يتنافسون وعليه عند القضاة يختصمون . وروى أن معروفا الكرخى رحمه الله تعالى أقام الصلاة قال محمد بن أبى توبة فقال لى تقدم فقلت إنى إن صليت بكم هذه الصلاة لم أصل بكم غيرها فقال معروف وأنت تحدث نفسك أن تصلى صلاة أخرى نعوذ بالله من طول الأمل فانه يمنع من خير العمل وقال عمر بن عبد العزيز فى خطبته إن الدنيا ليست بدار قرار كم دار كتب الله عليها الفناء وكتب على أهلها الظعن عنها فكم من عامر موثق عما قليل يخرب وكم من مقيم مغتبط عما قليل يظعن فأحسنوا رحمكم الله منها الرحلة بأحسن ما بحضرتكم من النقلة وتزودوا فان خير الزاد التقوى إنما الدنيا كفىء ظلال قلص فذهب بينا ابن آدم فى الدنيا ينافس وهو قرير العين إذ دعاه الله بقدره ورماه بيوم حتفه فسلبه آثاره ودنياه وصير لقوم آخرين مصانعه ومغناه إن الدنيا لا تسر بقدر ما تضر إنها تسر قليلا وتحزن طويلا . وعن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه

فنفسه مطمئنة لا تقدح من جوهرها نار توجب القبض ولا يتلاطم بحر طبعها من أهوية الهوى حتى يظهر منه البسط ورعا صار لمثل هذا القبض والبسط فى نفسه لا من نفسه فتكون نفسه المطمئنة بطبع القلب فيجرى القبض والبسط فى نفسه المطمئنة وما لقلبه قبض ولا بسط لأن القلب متحصن بشعاع نور الروح مستقر فى دعة القرب فلا قبض ولا بسط (ومنها الفناء والبقاء) قد قيل الفناء أن يفنى عن الحظوظ فلا يكون له فى شيء حظ بل يفنى

أنه كان يقول فى خطبته أين الوضاءة الحسنة وجوههم المعجبون بشبابهم أين الملوك الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحيطان أين الذين كانوا يعطون الغلبة فى مواطن الحرب قد تضعضع بهم الدهر فأصبحوا فى ظلمات القبور الوحا الوحا ثم النجا النجا .

(بيان السبب فى طول الأمل وعلاجه)

اعلم أن طول الأمل له سببان : أحدهما الجهل والآخر حب الدنيا أما حب الدنيا فهو أنه إذا أنس بها وبشهواتها ولذاتها وعلائقها ثقل على قلبه مفارقتها فامتنع قلبه من الفكر فى الموت الذى هو سبب مفارقتها وكل من كره شيئا دفعه عن نفسه والانسان مشغوف بالأمانى الباطلة فيمنى نفسه أبدا بما يوافق مراده وإنما يوافق مراده البقاء فى الدنيا فلا يزال يتوهمه ويقدره فى نفسه ويقدر توابع البقاء وما يحتاج إليه من مال وأهل ودار وأصدقاء ودواب وسائر أسباب الدنيا فيصير قلبه عاكفا على هذا الفكر موقوفا عليه فيلهو عن ذكر الموت فلا يقدر قربه فان خطر له فى بعض الأحوال أمر الموت والحاجة إلى الاستعداد له سوّف ووعد نفسه وقال الأيام بين يديك إلى أن تكبر ثم تتوب وإذا كبر فيقول إلى أن تصير شيخا فاذا صار شيخا قال إلى أن تفرغ من بناء هذه الدار وعمارة هذه الضيعة أو ترجع من هذه السفرة أو تفرغ من تدبير هذا الولد وجهازه وتدبير مسكن له أو تفرغ من قهر هذا العدو الذى يشمت بك فلا يزال يسوف ويؤخر ولا يخوض فى شغل إلا ويتعلق باتمام ذلك الشغل عشرة أشغال أخر وهكذا على التدريج يؤخر يوما بعد يوم ويفضى به شغل إلى شغل بل إلى أشغال إلى أن تختطفه المنية فى وقت لا يحتسبه فتطول عند ذلك حسرته وأكثر أهل النار وصياحهم من سوف يقولون واحزناه من سوف والمسوّف المسكين لا يدرى أن الذى يدعوه إلى التسويف اليوم هو معه غدا وإنما يزداد بطول المدة قوّة ورسوخا ويظن أنه يتصوّر أن يكون للخائض فى الدنيا والحافظ لها فراغ قط وهيهات فما يفرغ منها إلا من اطرحها :

فما قضى أحد منها لبانته ... وما انتهى أرب إلا إلى أرب

وأصل هذه الأمانى كلها حب الدنيا والأنس بها والغفلة عن معنى قوله ﷺ «أحبب من أحببت فانك مفارقه (١)» . وأما الجهل فهو أن الانسان قد يعود على شبابه فيستبعد قرب الموت مع الشباب وليس يتفكر المسكين أن مشايخ بلده لو عدوا لكانوا أقل من عشر رجال البلد وإنما قلوا لأن الموت فى الشباب أكثر فإلى أن يموت شيخ يموت ألف صبى وشاب وقد يستبعد الموت لصحته ويستبعد الموت فجأة ولا يدرى أن ذلك غير بعيد وإن كان ذلك بعيدا فالمرض فجأة غير بعيد وكل مرض فانما يقع فجأة وإذا مرض لم يكن الموت بعيدا ولو تفكر هذا الغافل وعلم أن الموت ليس له وقت مخصوص من شباب وشيب وكهولة ومن صيف وشتاء وخريف وربيع من ليل ونهار لعظم استشعاره واشتغل بالاستعداد له ولكن الجهل بهذه الأمور وحب الدنيا دعواه إلى طول الأمل وإلى الغفلة عن تقدير الموت القريب فهو أبدا يظن أن الموت يكون بين يديه ولا يقدر نزوله به ووقوعه فيه وهو أبدا يظن أنه يشيع الجنائز ولا يقدر أن تشيع جنازته لأن هذا قد تكرر عليه وألفه وهو مشاهدة موت غيره فأما موت نفسه فلم يألفه ولم يتصور أن يألفه فانه لم يقع وإذا وقع لم يقع دفعة أخرى بعد هذه فهو الأول وهو الآخر وسبيله أن يقيس نفسه بغيره ويعلم أنه لابد وأن تحمل جنازته ويدفن فى قبره ولعل اللبن الذى يغطى به لحده قد ضرب وفرغ منه وهو لا يدرى فتسويفه جهل محض ، وإذا عرفت أن سببه الجهل وحب الدنيا فعلاجه دفع سببه أما الجهل فيدفع بالفكر الصافى من القلب الحاضر وبسماع الحكمة

عن الأشياء كلها شغلا بمن فنى فيه وقد قال عامر بن عبد الله لا أبالى امرأة رأيت أم حائطا ويكون محفوظا فيما لله عليه مصروفا عن جميع المخالفات والبقاء يعقبه وهو أن يفنى عما له ويبقى بما لله تعالى . وقيل الباقى أن تصير الأشياء كلها له شيئا واحدا فيكون كل حركاته فى موافقة الحق دون مخالفته فكان فانيا عن المخالفات باقيا فى الموافقات . وعندى أن هذا الذى ذكره هذا القائل هو

(١) حديث أحبب من أحببت فانك مفارقه الحديث تقدم غير مرة .

البالغة من القلوب الطاهرة وأصاحب الدنيا فالعلاج فى إخراجه من القلب شديد وهو الداء العضال الذى أعيا الأولين والآخرين علاجه ولاعلاج له إلا الايمان باليوم الآخر وبما فيه من عظيم العقاب وجزيل الثواب ومهما حصل له اليقين بذلك ارتحل عن قلبه حب الدنيا فان حب الخطير هو الذى يمحو عن القلب حب الحقير فاذا رأى حقارة الدنيا ونفاسة الآخرة استنكف أن يلتفت إلى الدنيا كلها وإن أعطى ملك الأرض من المشرق إلى المغرب وكيف وليس عنده من الدنيا إلاقدر يسير مكدر منغص فكيف يفرح بها أويترسخ فى القلب حبها مع الايمان بالآخرة فنسأل الله تعالى أن يرينا الدنيا كما أراها الصالحين من عباده ولاعلاج فى تقدير الموت فى القلب مثل النظر إلى من مات من الأقران والأشكال وأنهم كيف جاءهم الموت فى وقت لم يحتسبوا أما من كان مستعدا فقد فاز فوزا عظيما وأما من كان مغرورا بطول الأمل فقد خسر خسرانا مبينا فلينظر الانسان كل ساعة فى أطرافه وأعضائه وليتدبر أنها كيف تأكلها الديدان لامحالة وكيف تتفتت عظامها وليتفكر أن الدود يبدأ بحدقته اليمنى أولاأواليسرى فما على بدنه شئ إلاوهو طعمة الدود وماله من نفسه إلاالعلم والعمل الخالص لوجه الله تعالى وكذلك يتفكر فيما سنورده من عذاب القبر وسؤال منكر ونكير ومن الحشر والنشر وأهوال القيامة وقرع النداء يوم العرض الأكبر فأمثال هذه الأفكار هى التى تجدد ذكر الموت على قلبه وتدعوه إلى الاستعداد له .

(بيان مراتب الناس فى طول الأمل وقصره)

اعلم أن الناس فى ذلك يتفاوتون فمنهم من يأمل البقاء ويشتهى ذلك أبدا قال الله تعالى ـ يود أحدهم لويعمر ألف سنة ـ ومنهم من يأمل البقاء إلى الهرم وهو أقصى العمر الذى شاهده ورآه وهو الذى يحب الدنيا حبا شديدا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الشيخ شاب فى حب طلب الدنيا وإن التفت ترقوتاه من الكبر إلاالذين اتقوا وقليل ماهم (١)» ومنهم من يأمل إلى سنة فلايشتغل بتدبير ماوراءها فلايقدر لنفسه وجودا فى عام قابل ولكن هذا يستعد فى الصيف للشتاء وفى الشتاء للصيف فاذا جمع مايكفيه لسنته اشتغل بالعبادة ومنهم من يأمل مدة الصيف أوالشتاء فلايدخر فى الصيف ثياب الشتاء ولافى الشتاء ثياب الصيف ومنهم من يرجع أمله إلى يوم وليلة فلايستعد إلالنهاره وأما للغد فلا . قال عيسى عليه السلام : لاتهتموا برزق غد فان يكن غد من آجالكم فستأتى فيه أرزاقكم مع آجالكم وإن لم يكن من آجالكم فلا تهتموا لآجال غيركم ومنهم من لايجاوز أمله ساعة كما قال نبينا ﷺ «ياعبد الله إذا أصبحت فلاتحدث نفسك بالمساء وإذا أمسيت فلاتحدث نفسك بالصباح» ومنهم من لايقدر البقاء أيضا ساعة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتيمم مع القدرة على الماء قبل مضى ساعة ويقول لعلى لاأبلغه ومنهم من يكون الموت نصب عينيه كأنه واقع به فهو ينتظره وهذا الانسان هو الذى يصلى صلاة مودع وفيه ورد مانقل عن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه لما سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حقيقة إيمانه فقال ماخطوت خطوة إلاظننت أنى لاأتبعها أخرى (٢) وكما نقل عن الأسود وهو حبشى أنه كان يصلى ليلا ويلتفت يمينا وشمالا فقال له قائل ماهذا قال أنظر ملك الموت من أى جهة يأتينى فهذه مراتب الناس ولكل درجات عند الله وليس من

مقام صحة التوبة النصوح وليس من الفناء والبقاء فى شئ ومن الاشارة إلى الفناء ماروى عن عبد الله ابن عمر أنه سلم عليه إنسان وهو فى الطواف فلم يرد عليه فشكاه إلى بعض أصحابه فقالا له كنا نتراءى الله فى ذلك المكان . وقيل : الفناء هو الغيبة عن الأشياء كما كان فناء موسى حين تجلى ربه للجبل . وقال الخراز : الفناء هو التلاشى بالحق والبقاء هو الحضور مع الحق . وقال الجنيد : الفناء استعجام الكل عن أوصافك واشتغال الكل منك بكليته

(١) حديث الشيخ شاب فى حب الدنيا وإن التفت ترقوتاه من الكبر إلاالذين اتقوا وقليل ماهم لم أجده بهذا اللفظ وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة قلب الشيخ شاب على حب اثنتين طول الحياة وحب المال (٢) حديث سؤاله لمعاذ عن حقيقة إيمانه فقال ماخطوت خطوة إلاظننت أنى لاأتبعها أخرى أبو نعيم فى الحلية من حديث أنس وهو ضعيف .

أمله

أمله مقصور على شهر كمن أمله شهر ويوم بل بينهما تفاوت فى الدرجة عند الله فان الله لا يظلم مثقال ذرة ـ ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ـ ثم يظهر أثر قصر الأمل فى المبادرة إلى العمل وكل إنسان يدعى أنه قصير الأمل وهو كاذب وإنما يظهر ذلك بأعماله فانه يعتنى بأسباب ربما لا يحتاج إليها فى سنة فيدل ذلك على طول أمله وإنما علامة التوفيق أن يكون الموت نصب العين لا يغفل عنه ساعة فليستعد للموت الذى يرد عليه فى الوقت فان عاش إلى المساء شكر الله تعالى على طاعته وفرح بأنه لم يضيع نهاره بل استوفى منه حظه وادخره لنفسه ثم يستأنف مثله إلى الصباح وهكذا إذا أصبح ولا يتيسر هذا إلا لمن فرغ القلب عن الغد وما يكون فيه فمثل هذا إذا مات سعد وغنم وإن عاش سر بحسن الاستعداد ولذة المناجاة فالموت له سعادة والحياة له مزيد فليكن الموت على بالك يامسكين فان السير حاث بك وأنت غافل عن نفسك ولعلك قد قاربت المنزل وقطعت المسافة ولا تكون كذلك إلا بمبادرة العمل اغتناما لكل نفس أمهلت فيه .

(بيان المبادرة إلى العمل وحذر آفة التأخير)

اعلم أن من له أخوان غائبان وينتظر قدوم أحدهما فى غد وينتظر قدوم الآخر بعد شهر أو سنة فلا يستعد للذى يقدم إلى شهر أو سنة وإنما يستعد للذى ينتظر قدومه غدا فالاستعداد نتيجة قرب الانتظار فمن انتظر مجىء الموت بعد سنة اشتغل قلبه بالمدة ونسى ماوراء المدة ثم يصبح كل يوم وهو منتظر للسنة بكمالها لا ينقص منها اليوم الذى مضى وذلك يمنعه من مبادرة العمل أبدا فانه أبدا يرى لنفسه متسعا فى تلك السنة فيؤخر العمل كما قال ﷺ « ماينتظر أحدكم من الدنيا إلا غنى مطغيا أو فقرا منسيا أو مرضا مفسدا أو هرما مقيدا أو موتا مجهزا أو الدجال فالدجال شر غائب ينتظر أو الساعة والساعة أدهى وأمر [(١)] » وقال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه « اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك [(٢)] » وقال صلى الله عليه وسلم « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ [(٣)] » أى أنه لا يغتنمهما ثم يعرف قدرهما عند زوالهما وقال صلى الله عليه وسلم « من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة [(٤)] » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « جاءت الراجفة تتبعها الرادفة وجاء الموت بما فيه [(٥)] » « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أنس من أصحابه غفلة أو غرة نادى فيهم بصوت رفيع أتتكم المنية راتبة لازمة إما بشقاوة وإما بسعادة [(٦)] » وقال أبو هريرة « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا النذير والموت المغير والساعة الموعد [(٧)] »

وقال إبراهيم بن شيبان علم الفناء والبقاء يدور على إخلاص الوحدانية وصحة العبودية وما كان غير هذا فهو من المغاليط والزندقة . وسئل الخراز ماعلامة الفانى ؟ قال علامة من ادعى الفناء ذهاب حظه من الدنيا والآخرة إلا من الله تعالى . وقال أبو سعيد الخراز : أهل الفناء فى الفناء صحتهم أن يصحبهم علم البقاء وأهل البقاء فى البقاء صحتهم أن يصحبهم علم الفناء .

واعلم أن أقاويل الشيوخ فى الفناء

---

(١) حديث ماينتظر أحدكم من الدنيا إلا غنى مطغيا أو فقرا منسيا الحديث الترمذى من حديث أبى هريرة بلفظ هل ينتظرون إلا غناء الحديث وقال حسن ورواه ابن المبارك فى الزهد ومن طريقه ابن أبى الدنيا فى قصر الأمل بلفظ المصنف وفيه من لم يسم (٢) حديث ابن عباس اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك الحديث ابن أبى الدنيا فيه باسناد حسن ورواه ابن المبارك فى الزهد من رواية عمرو بن ميمون الأزدى مرسلا (٣) حديث نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ البخارى من حديث ابن عباس وقد تقدم (٤) حديث من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل الترمذى من حديث أبى هريرة وقال حسن (٥) حديث جاءت الراجفة تتبعها الرادفة الحديث الترمذى وحسنه من حديث أبى بن كعب (٦) حديث كان إذا أنس من أصحابه غفلة أو غرة نادى فيهم بصوت رفيع أتتكم المنية الحديث ابن أبى الدنيا فى قصر الأمل من حديث زيد السليمى مرسلا (٧) حديث أبى هريرة أنا النذير والموت المغير والساعة الموعد ابن أبى الدنيا فى قصر الأمل وأبو القاسم البغوى باسناد فيه لين .

وقال ابن عمر «خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس على أطراف السعف فقال مابقي من الدنيا إلا كما بقي من يومنا هذا في مثل مامضى منه (١)» وقال صلى الله عليه وسلم «مثل الدنيا كمثل ثوب شق من أوله إلى آخره فبقي متعلقا بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط أن ينقطع (٢)» وقال جابر «كان رسول الله ﷺ إذا خطب فذكر الساعة رفع صوته واحمرت وجنتاه كأنه منذر جيش يقول صبحتكم ومسيتكم بعثت أنا والساعة كهاتين وقرن بين أصبعيه (٣)» وقال ابن مسعود رضي الله عنه «تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ـ فقال إن النور إذا دخل الصدر انفسح فقيل يارسول الله هل لذلك من علامة تعرف قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله (٤)» وقال السدي ـ الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا ـ أي أيكم أكثر للموت ذكرا وأحسن له استعدادا وأشد منه خوفا وحذرا وقال حذيفة مامن صباح ولا مساء إلا ومناد ينادي أيها الناس الرحيل الرحيل وتصديق ذلك قوله تعالى ـ إنها لإحدى الكبر نذيرا للبشر لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر ـ في الموت وقال سحيم مولى بني تميم جلست إلى عامر بن عبد الله وهو يصلي فأوجز في صلاته ثم أقبل علي فقال أرحني بحاجتك فاني أبادر قلت وما تبادر قال ملك الموت رحمك الله قال فقمت عنه وقام إلى صلاته ومر داود الطائي فسأله رجل عن حديث فقال دعني إنما أبادر خروج نفسي قال عمر رضي الله عنه التؤدة في كل شيء خير إلا في أعمال الخير للآخرة ، وقال المنذر سمعت مالك بن دينار يقول لنفسه ويحك بادري قبل أن يأتيك الأمر ويحك بادري قبل أن يأتيك الأمر حتى كرر ذلك ستين مرة أسمعه ولا يراني. وكان الحسن يقول في موعظته المبادرة المبادرة فانما هي الأنفاس لو حبست انقطعت عنكم أعمالكم التي تتقربون بها إلى الله عز وجل رحم الله امرأ نظر إلى نفسه وبكى على عدد ذنوبه ثم قرأ هذه الآية ـ إنما نعد لهم عدا ـ يعني الأنفاس آخر العدد خروج نفسك آخر العدد فراق أهلك آخر العدد دخولك في قبرك واجتهد أبو موسى الأشعري قبل موته اجتهادا شديدا فقيل له لو أمسكت أو رفقت بنفسك بعض الرفق فقال إن الخيل إذا أرسلت فقاربت رأس مجراها أخرجت جميع ماعندها والذي بقي من أجلي أقل من ذلك قال فلم يزل على ذلك حتى مات، وكان يقول لامرأته شدي رحلك فليس على جهنم معبر وقال بعض الخلفاء على منبره: عباد الله اتقوا الله ما استطعتم وكونوا قوما صيح بهم فانتبهوا وعلموا أن الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا واستعدوا للموت فقد أظلكم وترحلوا فقد جد بكم وإن غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة بقصر المدة وإن غائبا يجد به الجديدان الليل والنهار لحري بسرعة الأوبة وإن قادما يحل بالفوز أو الشقوة لمستحق لأفضل العدة فالتقي عند ربه من ناصح نفسه وقدم توبته وغلب شهوته فان أجله مستور عنه وأمله خادع له والشيطان موكل به يمنيه التوبة ليسوفها ويزين إليه المعصية ليرتكبها حتى تهجم منيته عليه أغفل ما يكون عنها وإنه مابين أحدكم وبين الجنة أو النار إلا الموت أن ينزل به فيالها حسرة على ذي غفلة

والبقاء كثيرة فبعضها إشارة إلى فناء المخالفات وبقاء الموافقات وهذا تقتضيه التوبة النصوح فهو ثابت بوصف التوبة وبعضها يشير إلى زوال الرغبة والحرص والأمل وهذا يقتضيه الزهد وبعضها إشارة إلى فناء الأوصاف المذمومة وبقاء الأوصاف المحمودة وهذا يقتضيه تزكية النفس وبعضها إشارة إلى حقيقة الفناء المطلق وكل هذه الإشارات فيها معنى الفناء من وجه ولكن الفناء المطلق هو مايستولي من أمر الحق سبحانه وتعالى على العبد فيغلب كون

(١) حديث ابن عمر خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس على أطراف السعف فقال مابقي من الدنيا إلا مثل مابقي من يومنا هذا في مثل مامضى منه ابن أبي الدنيا فيه باسناد حسن وللترمذي نحوه من حديث أبي سعيد وحسنه (٢) حديث مثل الدنيا مثل ثوب شق من أوله إلى آخره الحديث ابن أبي الدنيا فيه من حديث أنس ولا يصح (٣) حديث جابر كان إذا خطب فذكر الساعة رفع صوته واحمرت وجنتاه الحديث مسلم وابن أبي الدنيا في قصر الأمل واللفظ له (٤) حديث ابن مسعود تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ـ فقال إن النور إذا دخل القلب انفسح الحديث ابن أبي الدنيا في قصر الأمل والحاكم في المستدرك وقد تقدم .

أن يكون عمره عليه حجة وأن ترديه أيامه إلى شقوة جعلنا الله وإياكم ممن لا تبطره نعمة ولا تقصر به عن طاعة الله معصية ولا يحل به بعد الموت حسرة إنه سميع الدعاء وإنه بيده الخير دائماً فعال لما يشاء وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى ـ فتنتم أنفسكم ـ قال بالشهوات واللذات ـ وتربصتم ـ قال بالتوبة ـ وارتبتم ـ قال شككتم ـ حتى جاء أمر الله ـ قال الموت ـ وغركم بالله الغرور ـ قال الشيطان . وقال الحسن تصبروا وتشددوا فانما هى أيام قلائل وإنما أنتم ركب وقوف يوشك أن يدعى الرجل منكم فيجيب ولا يلتفت فانتقلوا بصالح ما بحضرتكم وقال ابن مسعود مامنكم من أحد أصبح إلا وهو ضيف وماله عارية والضيف مرتحل والعارية مؤداة وقال أبو عبيدة الباجى : دخلنا على الحسن فى مرضه الذى مات فيه فقال مرحبا بكم وأهلا حياكم الله بالسلام وأحلنا وإياكم دار المقام هذه علانية حسنة إن صبرتم وصدقتم واتقيتم فلا يكن حظكم من هذا الخبر رحمكم الله أن تسمعوه بهذه الأذن وتخرجوه من هذه الأذن فان من رأى محمدا صلى الله عليه وسلم فقد رآه غاديا ورائحا لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ولكن رفع له علم فشمر إليه الوحا الوحا النجا النجا علام تعرجون أتيتم ورب الكعبة كأنكم والأمر معا رحم الله عبدا جعل العيش عيشا واحدا فأكل كسرة ولبس خلقا ولزق بالأرض واجتهد فى العبادة وبكى على الخطيئة وهرب من العقوبة وابتغى الرحمة حتى يأتيه أجله وهو على ذلك[1]. وقال عاصم الأحول قال لى فضيل الرقاشى وأنا سائله ياهذا لا يشغلنك كثرة الناس عن نفسك فان الأمر يخلص إليك دونهم ولا تقل أذهب ههنا وههنا فينقطع عنك النهار فى لا شىء فان الأمر محفوظ عليك ولم ترشيئا قط أحسن طلبا ولا أسرع إدراكا من حسنة حديثة لذنب قديم .

(الباب الثالث فى سكرات الموت وشدته وما يستحب من الأحوال عنده)

اعلم أنه لو لم يكن بين يدى العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت بمجردها لكان جديرا بأن يتنغص عليه عيشه ويتكدر عليه سروره ويفارقه سهوه وغفلته وحقيقا بأن يطول فيه فكره ويعظم له استعداده لاسيما وهو فى كل نفس بصدده كما قال بعض الحكماء كرب بيد سواك لا تدرى متى يغشاك . وقال لقمان لابنه يابنى أمر لا تدرى متى يلقاك استعد له قبل أن يفجأك والعجب أن الانسان لو كان فى أعظم اللذات وأطيب مجالس اللهو فانتظر أن يدخل عليه جندى فيضربه خمس خشبات لتكدرت عليه لذته وفسد عليه عيشه وهو فى كل نفس بصدد أن يدخل عليه ملك الموت بسكرات النزع وهو عنه غافل فما لهذا سبب إلا الجهل والغرور . واعلم أن شدة الألم فى سكرات الموت لا يعرفها بالحقيقة إلا من ذاقها ومن لم يذقها فانما يعرفها إما بالقياس إلى الآلام التى أدركها وإما بالاستدلال بأحوال الناس فى النزع على شدة ماهم فيه فأما القياس الذى يشهد له فهو أن كل عضو لا روح فيه فلا يحس بالألم فاذا كان فيه الروح فالمدرك للألم هو الروح فمهما أصاب العضو جرح أو حريق سرى الأثر إلى الروح فبقدر مايسرى إلى الروح يتألم والمؤلم يتفرق على اللحم والدم وسائر الأجزاء فلا يصيب الروح إلا بعض الألم فان كان فى الآلام ما يباشر نفس الروح ولا يلاقى غيره فما أعظم ذلك الألم وما أشده . والنزع عبارة عن مؤلم نزل بنفس الروح فاستغرق جميع أجزائه حتى لم يبق جزء من أجزاء الروح المنتشر فى أعماق البدن إلا وقد حل به الألم فلو أصابته شوكة فالألم الذى يجده إنما يجرى فى جزء من الروح يلاقى ذلك الموضع الذى أصابته الشوكة وإنما يعظم أثر الاحتراق لأن أجزاء النار تغوص فى سائر أجزاء البدن فلا يبقى جزء من العضو المحترق ظاهرا

(١) حديث أبى عبيدة الباجى دخلنا على الحسن فى مرضه الذى مات فيه فقال مرحبا بكم الحديث ابن أبى الدنيا فى قصر الأمل وابن حبان فى الثقات وأبو نعيم فى الحلية من هذا الوجه .

الحق سبحانه وتعالى على كون العبد وهو ينقسم إلى فناء ظاهر وفناء باطن فأما الفناء الظاهر فهو أن يتجلى الحق سبحانه وتعالى بطريق الأفعال ويسلب عن العبد اختياره وإرادته فلا يرى لنفسه ولا لغيره فعلا إلا بالحق ثم يأخذ فى المعاملة مع الله تعالى بحسبه حتى سمعت أن بعض من أقيم فى هذا المقام من الفناء كان يبقى أياما لا يتناول الطعام والشراب حتى يتجرد له فعل الحق فيه ويقيض الله تعالى له من

وباطنا إلا وتصيبه النار فتحسه الأجزاء الروحانية المنتشرة فى سائر أجزاء اللحم . وأما الجراحة فإنما تصيب الموضع الذى مسه الحديد فقط فكان لذلك ألم الجرح دون ألم النار فألم النزع يهجم على نفس الروح ويستغرق جميع أجزائه فانه المنزوع المجذوب من كل عرق من العروق وعصب من الأعصاب وجزء من الأجزاء ومفصل من المفاصل ومن أصل كل شعرة وبشرة من الفرق إلى القدم فلا تسأل عن كربه وألمه حتى قالوا إن للموت لأشد من ضرب بالسيف ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض لأن قطع البدن بالسيف إنما يؤلم لتعلقه بالروح فكيف إذا كان المتناول المباشر نفس الروح وإنما يستغيث المضروب ويصيح لبقاء قوته فى قلبه وفى لسانه وإنما انقطع صوت الميت وصياحه مع شدة ألمه لأن الكرب قد بالغ فيه وتصاعد على قلبه وبلغ كل موضع منه فهدّ كل قوة وضعف كل جارحة فلم يترك له قوة الاستغاثة . أما العقل فقد غشيه وشوشه وأما اللسان فقد أبكمه وأما الأطراف فقد ضعفها ويود لو قدر على الاستراحة بالأنين والصياح والاستغاثة ولكنه لا يقدر على ذلك فان بقيت فيه قوة سمعت له عند نزع الروح وجذبها خوارا وغرغرة من حلقه وصدره وقد تغير لونه واربدّ حتى كأنه ظهر منه التراب الذى هو أصل فطرته وقد جذب منه كل عرق على حياله فالألم منتشر فى داخله وخارجه حتى ترتفع الحدقتان إلى أعالى أجفانه وتتقلص الشفتان ويتقلص اللسان إلى أصله وترتفع الأنثيان إلى أعالى موضعهما وتخضر أنامله فلا تسل عن بدن يجذب منه كل عرق من عروقه ولو كان المجذوب عرقا واحدا لكان ألمه عظيما فكيف والمجذوب نفس الروح المتألم لا من عرق واحد بل من جميع العروق ثم يموت كل عضو من أعضائه تدريجا فتبرد أولا قدماه ثم ساقاه ثم فخذاه ولكل عضو سكرة بعد سكرة وكربة بعد كربة حتى يبلغ بها إلى الحلقوم فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا وأهلها ويغلق دونه باب التوبة وتحيط به الحسرة والندامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تقبل توبة العبد مالم يغرغر [(١)] » وقال مجاهد فى قوله تعالى ـ وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن ـ قال إذا عاين الرسل فعند ذلك تبدو له صفحة وجه ملك الموت فلا تسأل عن طعم مرارة الموت وكربه عند ترادف سكراته ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم هوّن على محمد سكرات الموت [(٢)] » والناس إنما لا يستعيذون منه ولا يستعظمونه لجهلهم به فان الأشياء قبل وقوعها إنما تدرك بنور النبوّة والولاية ولذلك عظم خوف الأنبياء عليهم السلام والأولياء من الموت حتى قال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين ادعوا الله تعالى أن يهوّن علىّ هذه السكرة يعنى الموت فقد خفت الموت مخافة أوقفنى خوفى من الموت على الموت . وروى أن نفرا من بنى اسرائيل مرّوا بمقبرة فقال بعضهم لبعض لو دعوتم الله تعالى أن يخرج لكم من هذه المقبرة ميتا تسألونه فدعوا الله تعالى فاذاهم برجل قد قام وبين عينيه أثر السجود قد خرج من قبر من القبور فقال يا قوم ما أردتم منى لقد ذقت الموت منذ خمسين سنة ماسكنت مرارة الموت من قلبى وقالت عائشة رضى الله عنها لا أغبط أحدا يهوّن عليه الموت بعد الذى رأيت من شدة موت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وروى أنه عليه السلام كان يقول « اللهم إنك تأخذ الروح من بين العصب والقصب والأنامل اللهم فأعنى على الموت وهوّنه علىّ [(٣)] » وعن الحسن « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الموت وغصته وألمه فقال

يطعمه ويسقيه كيف شاء وأحب وهذا لعمرى فناء لأنه فنى عن نفسه وعن الغير نظرا إلى فعل الله تعالى بفناء فعل غير الله والفناء الباطن أن يكاشف تارة بالصفات وتارة بمشاهدة آثار عظمة الذات فيستولى على باطنه أمر الحق حتى لا يبقى له هاجس ولا وسواس وليس من ضرورة الفناء أن يغيب إحساسه وقد يتفق غيبة الإحساس لبعض الأشخاص وليس ذلك من ضرورة الفناء على الاطلاق وقد سألت الشيخ أبا محمد بن عبد الله البصرى

(١) حديث إن الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر الترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث ابن عمر
(٢) حديث كان يقول اللهم هون على محمد سكرات الموت تقدم (٣) حديث كان يقول اللهم إنك تأخذ الروح من بين العصب والقصب والأنامل الحديث ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت من حديث صعصعة ابن غيلان الجهنى وهو معضل سقط منه الصحابى والتابعى .

هو قدر ثلثمائة ضربة بالسيف(١) ». « وسئل صلى الله عليه وسلم عن الموت وشدته فقال إن أهون الموت بمنزلة حسكة فى صوف فهل تخرج الحسكة من الصوف إلا ومعها صوف(٢) ». « ودخل صلى الله عليه وسلم على مريض ثم قال إنى أعلم مايلقى مامنه عرق إلا ويألم للموت على حدته(٣) » وكان علىّ كرّم الله وجهه يحض على القتال ويقول إن لم تقتلوا تموتوا والذى نفسى بيده لألف ضربة بالسيف أهون علىّ من موت على فراش وقال الأوزاعى بلغنا أن الميت يجد ألم الموت مالم يبعث من قبره وقال شداد بن أوس الموت أفظع هول فى الدنيا والآخرة على المؤمن وهو أشد من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وغلى فى القدور ولو أن الميت نشر فأخبر أهل الدنيا بالموت ما انتفعوا بعيش ولا لذوا بنوم. وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال إذا بقى على المؤمن من درجاته شىء لم يبلغها بعمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وكربه درجته فى الجنة وإذا كان الكافر معروف لم يجزبه هون عليه فى الموت ليستكمل ثواب معروفه فيصير إلى النار وعن بعضهم أنه كان يسأل كثيرا من المرضى كيف تجدون الموت فلما مرض قيل له فأنت كيف تجده فقال كأن السموات مطبقة على الأرض وكأن نفسى يخرج من ثقب إبرة وقال صلى الله عليه وسلم « موت الفجأة راحة للمؤمن وأسف على الفاجر(٤) » وروى عن مكحول عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « لو أن شعرة من شعر الميت وضعت على أهل السموات والأرض لماتوا باذن الله تعالى لأن فى كل شعرة الموت ولا يقع الموت بشىء إلا مات(٥) » وروى « لو أن قطرة من ألم الموت وضعت على جبال الدنيا كلها لذابت(٦) » وروى أن إبراهيم عليه السلام لما مات قال الله تعالى له كيف وجدت الموت ياخليلى قال كسفود جعل فى صوف رطب ثم جذب فقال أما إنا قد هونا عليك وروى عن موسى عليه السلام أنه لما صارت روحه إلى الله تعالى قال له ربه ياموسى كيف وجدت الموت قال وجدت نفسى كالعصفور حين يقلى على المقلى لا يموت فيستريح ولا ينجو فيطير . وروى عنه أنه قال وجدت نفسى كشاة حية تسلخ بيد القصاب وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم « أنه كان عنده قدح من ماء عند الموت فجعل يدخل يده فى الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول اللهم هوّن علىّ سكرات الموت(٧) »

وقلت له هل يكون بقاء التخيلات فى السر ووجود الوسواس من الشرك الخفى وكان عندى أن ذلك من الشرك الخفى فقال لى هذا يكون فى مقام الفناء ولم يذكر أنه هل هو من الشرك الخفى أم لا ثم ذكر حكاية مسلم بن يسار أنه كان فى الصلاة فوقعت أسطوانة فى الجامع فانزعج لهدتها أهل السوق فدخلوا المسجد فرأوه فى الصلاة ولم يحس بالأسطوانة ووقوعها فهذا هو الاستغراق والفناء باطنا ثم قد يتسع وعاؤه حتى لعله يكون

---

(١) حديث الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الموت وغصته وألمه فقال هو قدر ثلثمائة ضربة بالسيف ابن أبى الدنيا فيه هكذا مرسلا ورجاله ثقات (٢) حديث سئل عن الموت وشدته فقال إن أهون الموت بمنزلة حسكة الحديث ابن أبى الدنيا فيه من رواية شهر بن حوشب مرسلا (٣) حديث دخل على مريض فقال إنى لأعلم مايلقى مامنه عرق إلا ويألم للموت على حدته ابن أبى الدنيا فيه من حديث سلمان بسند ضعيف ورواه فى المرض والكفارات من رواية عبيد ابن عمير مرسلا مع اختلاف ورجاله ثقات (٤) حديث موت الفجأة راحة للمؤمن وأسف على الفاجر أحمد من حديث عائشة باسناد صحيح قال وأخذة أسف ولأبى داود من حديث خالد السلمى موت الفجأة أخذة أسف (٥) حديث مكحول لو أن شعرة من شعر الميت وضعت على أهل السموات والأرض لماتوا الحديث ابن أبى الدنيا فى الموت من رواية أبى ميسرة رفعه وفيه لو أن ألم شعرة ، وزاد وإن فى يوم القيامة لتسعين هولا أدناها هولا يضاعف على الموت سبعين ألف ضعف وأبو ميسرة هو عمرو بن شرحبيل والحديث مرسل حسن الاسناد (٦) حديث لو أن قطرة من الموت لو وضعت على جبال الدنيا كلها لذابت لم أجد له أصلا ولعل المصنف لم يورده حديثا فانه قال وروى (٧) حديث إنه كان عنده قدح من ماء عند الموت فجعل يدخل يده فى الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول اللهم هوّن علىّ سكرات الموت متفق عليه من حديث عائشة .

وفاطمة رضي الله عنها تقول وا كرباه لكربك يا أبتاه وهو يقول لا كرب على أبيك بعد اليوم(١)» وقال عمر رضي الله عنه لكعب الأحبار يا كعب حدثنا عن الموت فقال نعم يا أمير المؤمنين إن الموت كغصن كثير الشوك أدخل في جوف رجل وأخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب فأخذ ما أخذ وأبقى ما أبقى . وقال النبي صلى الله عليه وسلم « إن العبد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت وإن مفاصله ليسلم بعضها على بعض تقول عليك السلام تفارقني وأفارقك إلى يوم القيامة(٢)» فهذه سكرات الموت على أولياء الله وأحبابه ، فما حالنا ونحن المنهمكون في المعاصي وتتوالى علينا مع سكرات الموت بقية الدواهي فان دواهي الموت ثلاث . الأولى : شدة النزع كما ذكرناه. الداهية الثانية مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الروع والخوف منه على القلب فلو رأى صورته التي يقبض عليها روح العبد المذنب أعظم الرجال قوة لم يطق رؤيته ، فقد روى عن إبراهيم الخليل عليه السلام أنه قال لملك الموت هل تستطيع أن تريني صورتك التي تقبض عليها روح الفاجر ؟ قال لا تطيق ذلك. قال بلى . قال فأعرض عني فأعرض عنه ثم التفت فاذا هو برجل أسود قائم الشعر منتن الريح أسود الثياب يخرج من فيه ومناخيره لهيب النار والدخان فغشى على إبراهيم عليه السلام ثم أفاق وقد عاد ملك الموت إلى صورته الأولى فقال ياملك الموت لو لم يلق الفاجر عند الموت إلا صورة وجهك لكان حسبه ، وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم « أن داود عليه السلام كان رجلا غيورا وكان إذا خرج أغلق الأبواب فأغلق ذات يوم وخرج فأشرفت امرأته فاذا هي برجل في الدار فقالت من أدخل هذا الرجل لئن جاء داود ليلقين منه عناء فجاء داود فرآه فقال من أنت فقال أنا الذي لا أهاب الملوك ولا يمنع مني الحجاب فقال فأنت والله إذن ملك الموت وزمل داود عليه السلام مكانه(٣)» وروى أن عيسى عليه السلام مر بجمجمة فضربها برجله فقال تكلمي باذن الله فقالت ياروح الله أنا ملك زمان كذا وكذا بينا أنا جالس في ملكي على تاجي وحولي جنودي وحشمي على سرير ملكي إذ بدا لي ملك الموت فزال مني كل عضو على حياله ثم خرجت نفسي إليه فياليت ما كان من تلك الجموع كان فرقة وياليت ما كان من ذلك الأنس كان وحشة ، فهذه داهية يلقاها العصاة ويكفاها المطيعون ، فقد حكى الأنبياء مجرد سكرة النزع دون الروعة التي يدركها من يشاهد صورة ملك الموت كذلك ولو رآها في منامه ليلة لتنغص عليه بقية عمره فكيف برؤيته في مثل تلك الحال . وأما المطيع فانه يراه في أحسن صورة وأجملها ، فقد روى عكرمة عن ابن عباس أن إبراهيم عليه السلام كان رجلا غيورا وكان له بيت يتعبد فيه فاذا خرج أغلقه فرجع ذات يوم فاذا برجل في جوف البيت فقال من أدخلك داري فقال أدخلنيها ربها فقال أنا ربها فقال أدخلنيها من هو أملك بها مني ومنك فقال من أنت من الملائكة قال أنا ملك الموت قال هل تستطيع أن تريني الصورة التي تقبض فيها روح المؤمن ؟ قال نعم فأعرض عني فأعرض ثم التفت فاذا هو بشاب فذكر من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب ريحه فقال ياملك الموت لو لم يلق المؤمن عند الموت إلا صورتك كان حسبه، ومنها مشاهدة الملكين الحافظين . قال وهيب : بلغنا أنه مامن ميت يموت حتى يتراءى له ملكاه

متحققا بالفناء ومعناه روحا وقلبا ولا يغيب عن كل ما يجرى عليه من قول وفعل ويكون من أقسام الفناء أن يكون في كل فعل وقول مرجعه إلى الله وينتظر الاذن في كليات أموره ليكون في الأشياء بالله لا بنفسه فتارك الاختيار منتظر لفعل الحق فان وصاحب الانتظار لاذن الحق في كليات أموره راجع إلى الله بباطنه في جزئياتها فان ومن ملكه الله تعالى اختياره وأطلقه في التصرف يختار كيف شاء وأراد لا منتظرا للفعل ولا منتظرا للاذن هو باق والباقي في مقام

(١) حديث إن فاطمة قالت وا كرباه لكربك يا أبت الحديث البخاري من حديث أنس بلفظ وا كرب أبتاه وفي رواية لابن خزيمة وا كرباه (٢) حديث إن العبد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت وإن مفاصله ليسلم بعضها على بعض الحديث رويناه في الأربعين لأبي هدبة إبراهيم بن هدبة عن أنس وأبو هدبة هالك (٣) حديث أبي هريرة إن داود كان رجلا غيورا الحديث أحمد باسناد جيد نحوه وابن أبي الدنيا في كتاب الموت بلفظه .

الكاتبان عمله فإن كان مطيعا قالا له جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس صدق أجلستنا وعمل صالح أحضرتنا ، وإن كان فاجرا قالا له لاجزاك الله عنا خيرا فرب مجلس سوء أجلستنا وعمل غير صالح أحضرتنا وكلام قبيح أسمعتنا فلاجزاك الله عنا خيرا فذلك شخوص بصر الميت إليهما ولايرجع إلى الدنيا أبدا. الداهية الثالثة : مشاهدة العصاة مواضعهم من النار وخوفهم قبل المشاهدة فإنهم في حال السكرات قد تخاذلت قواهم واستسلمت للخروج أرواحهم ولن تخرج أرواحهم مالم يسمعوا نغمة ملك الموت بأحد البشريين إما أبشر ياعدو الله بالنار أوأبشر ياولى الله بالجنة ، ومن هذا كان خوف أرباب الألباب ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «لن يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة أوالنار (١)» وقال صلى الله عليه وسلم «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقالوا كلنا نكره الموت قال ليس ذاك بذاك إن المؤمن إذا فرج له عماهو قادم عليه أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه (٢)» وروى أن حذيفة بن اليمان قال لابن مسعود وهو لما به من آخر الليل قم فانظر أى ساعة هى فقام ابن مسعود ثم جاء فقال قد طلعت الحمراء فقال حذيفة أعوذ بالله من صباح إلى النار ، ودخل مروان على أبى هريرة فقال مروان اللهم خفف عنه فقال أبوهريرة اللهم اشدد ثم بكى أبوهريرة وقال والله ماأبكى حزنا على الدنيا ولاجزعا من فراقكم ولكن أنتظر إحدى البشريين من ربى بجنة أم بنار ، وروى فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال «إن الله إذا رضى عن عبد قال ياملك الموت اذهب إلى فلان فأتنى بروحه لأريحه حسبى من عمله قد بلوته فوجدته حيث أحب فينزل ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة ومعهم قضبان الريحان وأصول الزعفران كل واحد منهم يبشره ببشارة سوى بشارة صاحبه وتقوم الملائكة صفين لخروج روحه معهم الريحان فإذا نظر إليهم إبليس وضع يده على رأسه ثم صرخ قال فيقول له جنوده مالك ياسيدنا فيقول أماترون ماأعطى هذا العبد من الكرامة أين كنتم من هذا قالوا قد جهدنا به فكان معصوما (٣)» وقال الحسن لاراحة للمؤمن إلا فى لقاء الله ومن كانت راحته فى لقاء الله تعالى فيوم الموت يوم سروره وفرحه وأمنه وعزه وشرفه ، وقيل لجابر بن زيد عند الموت ماتشتهى قال نظرة إلى الحسن فلما دخل عليه الحسن قيل له هذا الحسن فرفع طرفه إليه ثم قال ياإخواناه الساعة والله أفارقكم إلى النار أوإلى الجنة ، وقال محمد بن واسع عند الموت ياإخواناه عليكم السلام إلى النار أو يعفو الله وتمنى بعضهم أن يبقى فى النزع أبدا ولايبعث لثواب ولاعقاب . فخوف سوء الخاتمة قطع

لايحجبه الحق عن الخلق ولاالخلق عن الحق والفانى محجوب بالحق عن الخلق والفناء الظاهر لأرباب القلوب والأحوال والفناء الباطن لمن أطلق عن وثاق الأحوال وصار بالله لا بالأحوال وخرج من القلب فصار مع مقلبه لامع قلبه .

[الباب الثانى والستون فى شرح كلمات مشيرة إلى بعض الأحوال فى اصطلاح الصوفية]

أخبرنا الشيخ الثقة أبو الفتح محمد بن عبد الباقى بن سليمان إجازة قال أنا أبو الفضل أحمد بن أحمد قال أنا الحافظ أبو نعيم

(١) حديث لن يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة أوالنار ابن أبى الدنيا فى الموت من رواية رجل لم يسم عن على موقوفا لاتخرج نفس ابن آدم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره إلى الجنة أم إلى النار وفى رواية حرام على نفس أن تخرج من الدنيا حتى تعلم من أهل الجنة هى أم من أهل النار وفى الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت مايشهد لذلك إن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته وإن الكافر إذا حضر بشر بعذاب الله وعقوبته الحديث (٢) حديث من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه الحديث متفق عليه من حديث عبادة بن الصامت (٣) حديث إن الله إذا رضى على عبده قال ياملك الموت اذهب إلى فلان فأتنى بروحه لأريحه الحديث ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت من حديث تميم الدارى باسناد ضعيف بزيادة كثيرة ولم يصرح فى أول الحديث برفعه وفى آخره مادل على أنه مرفوع وللنسائى من حديث أبى هريرة باسناد صحيح إذا حضر الميت أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون اخرجى راضية مرضية عنك إلى روح الله وريحان ورب راض غير غضبان الحديث .

قلوب العارفين وهو من الدواهي العظيمة عند الموت وقد ذكرنا معنى سوء الخاتمة وشدة خوف العارفين منه في كتاب الخوف والرجاء وهو لائق بهذا الوضع ، ولكنا لانطول بذكره وإعادته.

(بيان مايستحب من أحوال المحتضر عند الموت)

اعلم أن المحبوب عند الموت من صورة المحتضر هو الهدوء والسكون ومن لسانه أن يكون ناطقا بالشهادة ومن قلبه أن يكون حسن الظن بالله تعالى . أما الصورة فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «ارقبوا الميت عند ثلاث إذا رشح جبينه ودمعت عيناه ويبست شفتاه فهي من رحمة الله قد نزلت به وإذا غط غطيط المخنوق واحمر لونه واربدت شفتاه فهو من عذاب الله قد نزل به (١)» وأما انطلاق لسانه بكلمة الشهادة فهي علامة الخير قال أبوسعيد الخدرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لقنوا موتاكم لاإله إلاالله (٢)» وفي رواية حذيفة «فانها تهدم ماقبلها من الخطايا (٣)» وقال عثمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من مات وهو يعلم أن لاإله إلاالله دخل الجنة (٤)» وقال عبيد الله وهو يشهد وقال عثمان إذا احتضر الميت فلقنوه لاإله إلاالله فانه مامن عبد يختم له بها عند موته إلا كانت زاده إلى الجنة . وقال عمر رضي الله عنه: احضروا موتاكم وذكروهم فانهم يرون مالاترون ولقنوهم لاإله إلاالله . وقال أبوهريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «حضر ملك الموت رجلا يموت فنظر في قلبه فلم يجد فيه شيئا ففك لحييه فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه يقول لاإله إلاالله فغفر له بكلمة الاخلاص (٥)» وينبغي للملقن أن لا يلح في التلقين ولكن يتلطف فربما لاينطق لسان المريض فيشق عليه ذلك ويؤدى إلى استثقاله التلقين وكراهيته للكلمة ويخشى أن يكون ذلك سبب سوء الخاتمة ، وإنما معنى هذه الكلمة أن يموت الرجل وليس في قلبه شيء غير الله فاذا لم يبق له مطلوب سوى الواحد الحق كان قدومه بالموت على محبوبه غاية النعيم في حقه وإن كان القلب مشغوفا بالدنيا ملتفتا إليها متأسفا على لذاتها وكانت الكلمة على رأس اللسان ولم ينطبق القلب على تحقيقها وقع الأمر في خطر المشيئة فان مجرد حركة اللسان قليل الجدوى إلا أن يتفضل الله تعالى بالقبول . وأما حسن الظن فهو مستحب في هذا الوقت وقد ذكرنا ذلك في كتاب الرجاء وقد وردت الأخبار بفضل حسن الظن بالله ، دخل واثلة بن الأسقع على مريض فقال أخبرني كيف ظنك بالله قال أغرقتني ذنوب لي وأشرفت على هلكة ولكني أرجو رحمة ربي فكبر واثلة وكبر أهل البيت بتكبيره وقال الله أكبر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدى بي فليظن بي ماشاء (٦)» ودخل النبي صلى الله عليه وسلم على شاب وهو يموت فقال: كيف تجدك قال أرجو الله وأخاف ذنوبي فقال النبي صلى الله عليه وسلم مااجتمعا في قلب عبد في مثل هذا

---

(١) حديث ارقبوا الميت عند ثلاث إذا رشح جبينه وذرفت عيناه الحديث الترمذى الحكيم في نوادر الأصول من حديث سلمان ولايصح (٢) حديث لقنوا موتاكم لاإله إلاالله تقدم (٣) حديث حذيفة فانها تهدم ماقبلها تقدم (٤) حديث من مات وهو يعلم أن لاإله إلا الله دخل الجنة تقدم . (٥) حديث أبي هريرة حضر ملك الموت رجلا يموت فنظر في قلبه فلم يجد فيه شيئا الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين والطبراني والبيهقي في الشعب وإسناده جيد إلا أن في رواية البيهقي رجلا لم يسم وسمى في رواية الطبراني إسحق بن يحيى بن طلحة وهو ضعيف (٦) حديث دخل واثلة ابن الأسقع على مريض فقال أخبرني كيف ظنك بالله وفيه يقول الله أنا عند ظن عبدى بي فليظن بي ماشاء ابن حبان بالمرفوع منه وقد تقدم وأحمد والبيهقي في الشعب به جميعا .

الأصفهاني قال ثنا محمد ابن إبراهيم قال ثنا أبو مسلم الكشي قال ثنا مسور بن عيسى قال ثنا القاسم بن يحيى قال ثنا ياسين الزيات عن أبي الزبير عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن من معادن التقوى تعلمك إلى ماقد علمت علم مالم تعلم والنقص فيما علمت قلة الزيادة فيه وإنما زهد الرجل في علم مالم يعلم قلة الانتفاع بما قد علم» فمشايخ الصوفية أحكموا أساس التقوى وتعلموا العلم لله تعالى وعملوا بما علموا لموضع تقواهم فعلمهم الله تعالى مالم

للوطن إلا أعطاه الله الذى يرجو وآمنه من الذى يخاف[(١)] » وقال ثابت البنانى كان شاب به حدة وكان له أم تعظه كثيرا وتقول له يابنى إن لك يوما فاذكر يومك فلما نزل به أمر الله تعالى أكبت عليه أمه وجعلت تقول له يابنى قد كنت أحذرك مصرعك هذا وأقول إن لك يوما فقال يا أمه إن لى ربا كثير المعروف وإنى لأرجو أن لايعدمنى اليوم بعض معروفه ، قال ثابت فرحمه الله بحسن ظنه بربه. وقال جابر بن وداعة كان شاب به رهق فاحتضر فقالت له أمه يابنى توصى بشىء قال نعم خاتمى لاتسلبينيه فان فيه ذكر الله تعالى فلعل الله يرحمنى فلما دفن رؤى فى المنام فقال أخبروا أمى أن الكلمة قد نفعتنى وأن الله قد غفر لى. ومرض أعرابى فقيل له إنك تموت فقال أين يذهب بى قالوا إلى الله قال فما كراهتى أن أذهب إلى من لا يرى الخير إلا منه. وقال أبو المعتمر بن سليمان قال أبى لما حضرته الوفاة يامعتمر حدثنى بالرخص لعلى ألقى الله عز وجل وأنا حسن الظن به وكانوا يستحبون أن يذكر للعبد محاسن عمله عند موته لكى يحسن ظنه بربه

(بيان الحسرة عند لقاء ملك الموت بحكايات يعرب لسان الحال عنها)

قال أشعث بن أسلم سأل إبراهيم عليه السلام ملك الموت واسمه عزرائيل وله عينان عين فى وجهه وعين فى قفاه فقال ياملك الموت ماتصنع إذا كان نفس بالمشرق ونفس بالمغرب ووقع الوباء بأرض والتقى الزحفان كيف تصنع ؟ قال أدعو الأرواح باذن الله فتكون بين أصبعى هاتين وقال قد دحيت له الأرض فتركت مثل الطشت بين يديه يتناول منها ما يشاء قال وهو يبشره بأنه خليل الله عز وجل. وقال سليمان بن داود عليهما السلام لملك الموت عليه السلام مالى لاأراك تعدل بين الناس تأخذ هذا وتدع هذا قال ما أنا بذلك بأعلم منك إنما هى صحف أو كتب تلقى إلى فيها أسماء ، وقال وهب بن منبه كان ملك من الملوك أراد أن يركب إلى الأرض فدعا بثياب ليلبسها فلم تعجبه فطلب غيرها حتى لبس ما أعجبه بعد مرات وكذلك طلب دابة فأتى بها فلم تعجبه حتى أتى بدواب فركب أحسنها فجاء إبليس فنفخ فى منخره نفخة فملأه كبرا ثم سار وسارت معه الخيول وهو لاينظر إلى الناس كبرا فجاءه رجل رث الهيئة فسلم فلم يرد عليه السلام فأخذ بلجام دابته فقال أرسل اللجام فقد تعاطيت أمرا عظيما قال إن لى إليك حاجة قال اصبر حتى أنزل قال لا الآن فقهره على لجام دابته فقال اذكرها قال هو سر فأدنى له رأسه فساره وقال أنا ملك الموت فتغير لون الملك واضطرب لسانه ثم قال دعنى حتى أرجع إلى أهلى وأقضى حاجتى وأودعهم قال لا والله لاترى أهلك وثقلك أبدا فقبض روحه فخر كأنه خشبة ثم مضى فلقى عبدا مؤمنا فى تلك الحال فسلم عليه فرد عليه السلام فقال ان لى اليك حاجة أذكرها فى أذنك فقال هات فساره وقال أنا ملك الموت فقال أهلا ومرحبا بمن طالت غيبته على فو الله ما كان فى الأرض غائب أحب إلى أن ألقاه منك فقال ملك الموت اقض حاجتك التى خرجت لها فقال مالى حاجة أكبر عندى ولا أحب من لقاء الله تعالى قال فاختر على أى حال شئت أن أقبض روحك فقال تقدر على ذلك قال نعم إنى أمرت بذلك قال فدعنى حتى أتوضأ وأصلى ثم اقبض روحى وأنا ساجد فقبض روحه وهو ساجد. وقال أبو بكر بن عبد الله المزنى جمع رجل من بنى إسرائيل مالا فلما أشرف على الموت قال لبنيه أرونى أصناف أموالى فأتى بشىء كثير من الخيل والابل والرقيق وغيره فلما نظر اليه بكى تحسرا عليه فرآه ملك الموت وهو يبكى فقال له مايبكيك فو الذى خولك ما أنا بخارج من منزلك حتى أفرق بين روحك وبدنك قال فالمهلة حتى أفرقه قال هيهات انقطعت عنك المهلة فهلا كان ذلك قبل حضور أجلك فقبض روحه. وروى أن رجلا جمع مالا فأوعى ولم يدع صنفا من المال إلا اتخذه وابتنى قصرا وجعل عليه بابين وثيقين وجمع عليه حرسا من غلمانه ثم جمع أهله وصنع لهم طعاما وقعد على سريره ورفع إحدى رجليه على الأخرى وهم يأكلون

يعلموا من غرائب العلوم ودقيق الاشارات واستنبطوا من كلام الله تعالى غرائب العلوم وعجائب الأسرار وترسخ قدمهم فى العلم قال أبو سعيد الخراز أول الفهم لكلام الله العمل به لأن فيه العلم والفهم والاستنباط وأول الفهم إلقاء السمع والمشاهدة لقوله تعالى - إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. وقال أبو بكر الواسطى الراسخون فى العلم هم الذين رسخوا بأرواحهم فى غيب الغيب وفى سر السر فعرفهم ماعرفهم وأراد منهم من مقتضى الآيات

(١) حديث دخل على شاب وهو يموت فقال كيف تجدك فقال أرجو الله وأخاف ذنوبى الحديث تقدم.

فلما فرغوا ، قال يانفس انعمى لسنين فقد جمعت لك مايكفيك فلم يفرغ من كلامه حتى أقبل إليه ملك الموت فى هيئة رجل عليه خلقان من الثياب وفى عنقه مخلاة يتشبه بالمساكين فقرع الباب بشدة عظيمة قرعا أفزعه وهو على فراشه فوثب إليه الغلمان وقالوا ماشأنك فقال ادعوا إلى مولاكم فقالوا وإلى مثلك يخرج مولانا قال نعم فأخبروه بذلك فقال هلا فعلتم به وفعلتم فقرع الباب قرعة أشد من الأولى فوثب إليه الحرس فقال أخبروه أنى ملك الموت فلما سمعوه ألقى عليهم الرعب ووقع على مولاهم الذل والتخشع فقال قولوا له قولا لينا وقولوا هل تأخذ به أحدا فدخل عليه وقال اصنع فى مالك ما أنت صانع فانى لست بخارج منها حتى أخرج روحك فأمر بماله حتى وضع بين يديه فقال حين رآه لعنك الله من مال أنت شغلتنى عن عبادة ربى ومنعتنى أن أتخلى لربى فأنطق الله المال فقال لم تسبنى وقد كنت تدخل على السلاطين بى ويرد التقى عن بابهم وكنت تنكح المتنعمات بى وتجلس مجالس الملوك بى وتنفقنى فى سبيل الشر فلا أمتنع منك ولو أنفقتنى فى سبيل الخير نفعتك خلقت وابن آدم من تراب فمنطلق ببر ومنطلق باثم ثم قبض ملك الموت روحه فسقط. وقال وهب بن منبه قبض ملك الموت روح جبار من الجبابرة مافى الأرض مثله ثم عرج إلى السماء فقالت الملائكة لمن كنت أشد رحمة ممن قبضت روحه قال أمرت بقبض نفس امرأة فى فلاة من الأرض فأتيتها وقد ولدت مولودا فرحمتها لغربتها ورحمت ولدها لصغره وكونه فى فلاة لامتعهد له بها فقالت الملائكة الجبار الذى قبضت الآن روحه هو ذلك المولود الذى رحمته فقال ملك الموت سبحان اللطيف لما يشاء قال عطاء بن يسار إذا كان ليلة النصف من شعبان دفع إلى ملك الموت صحيفة فيقال اقبض فى هذه السنة من فى هذه الصحيفة قال فان العبد ليغرس الغراس وينكح الأزواج ويبنى البنيان وإن اسمه فى تلك الصحيفة وهو لايدرى . وقال الحسن مامن يوم إلا وملك الموت يتصفح كل بيت ثلاث مرات فمن وجده منهم قد استوفى رزقه وانقضى أجله قبض روحه فاذا قبض روحه أقبل أهله برنة وبكاء فيأخذ ملك الموت بعضادتى الباب فيقول والله ما أكلت له رزقا ولا أفنيت له عمرا ولا انتقصت له أجلا وإن لى فيكم لعودة بعد عودة حتى لا أبقى منكم أحدا قال الحسن فوالله لو يرون مقامه ويسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم وقال يزيد الرقاشى بينما جبار من الجبابرة من بنى اسرائيل جالس فى منزله قد خلا ببعض أهله إذ نظر إلى شخص قد دخل من باب بيته فثار إليه فزعا مغضبا فقال له من أنت ومن أدخلك على دارى فقال أما الذى أدخلنى الدار فربها وأما أنا فالذى لايمنع منى الحجاب ولا أستأذن على الملوك ولا أخاف صولة المتسلطنين ولا يمتنع منى كل جبار عنيد ولا شيطان مريد قال فسقط فى يد الجبار وارتعد حتى سقط منكبا على وجهه ثم رفع رأسه إليه مستجديا متذللا له فقال له أنت إذن ملك الموت قال أناهو قال فهل أنت ممهلى حتى أحدث عهدا قال هيهات انقطعت مدتك وانقضت أنفاسك ونفدت ساعاتك فليس إلى تأخيرك سبيل قال فإلى أين تذهب بى قال إلى عملك الذى قدمته وإلى بيتك الذى مهدته قال فانى لم أقدم عملا صالحا ولم أمهد بيتا حسنا قال فانى لظى نزاعة للشوى ثم قبض روحه فسقط ميتا بين أهله فمن بين صارخ وباك قال يزيد الرقاشى لو يعلمون سوء المنقلب كان العويل على ذلك أكثر وعن الأعمش عن خيثمة قال دخل ملك الموت على سليمان بن داود عليهما السلام فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه يديم النظر إليه فلما خرج قال الرجل من هذا قال هذا ملك الموت قال لقد رأيته ينظر إلى كأنه يريدنى قال فماذا تريد قال أريد أن تخلصنى منه فتأمر الريح حتى تحملنى إلى أقصى الهند ففعلت الريح ذلك ثم قال سليمان لملك الموت بعد أن أتاه ثانيا رأيتك تديم النظر إلى واحد من جلسائى . قال نعم كنت أتعجب منه لأنى كنت أمرت أن أقبضه بأقصى الهند فى ساعة قريبة وكان عندك فعجبت من ذلك.

مالم يرد من غيرهم وخاضوا بحر العلم بالفهم لطلب الزيادات فانكشف لهم من مدخور الخزائن والمخزون تحت كل حرف وآية من الفهم وعجائب النص فاستخرجوا الدرر والجواهر ونطقوا بالحكمة . وقد ورد فى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه سفيان بن عيينة عن ابن جريج عن عطاء عن أبى هريرة أنه قال إن من العلم كهيئة المكنون لايعلمه إلا العلماء بالله فاذا انطقوا به لاينكره إلا أهل الغرة بالله . أخبرنا أبو زرعة قال

(الباب

(الباب الرابع فى وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده)

(وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم)

اعلم أن فى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة حيا وميتا وفعلا وقولا وجميع أحواله عبرة للناظرين وتبصرة للمستبصرين إذ لم يكن أحد أكرم على الله منه إذ كان خليل الله وحبيبه ونجيه وكان صفيه ورسوله ونبيه فانظر هل أمهله ساعة عند انقضاء مدته وهل أخره لحظة بعد حضور منيته لا، بل أرسل إليه الملائكة الكرام الموكلين بقبض أرواح الأنام فجدوا بروحه الزكية الكريمة لينقلوها وعالجوها ليرحلوها عن جسده الطاهر إلى رحمة ورضوان وخيرات حسان بل إلى مقعد صدق فى جوار الرحمن فاشتد مع ذلك فى النزع كربه وظهر أنينه وترادف قلقه وارتفع حنينه وتغير لونه وعرق جبينه واضطربت فى الانقباض والانبساط شماله ويمينه حتى بكى لمصرعه من حضره وانتحب لشدة حاله من شاهد منظره فهل رأيت منصب النبوة دافعا عنه مقدورا وهل راقب الملك فيه أهلا وعشيرا وهل ساعده إذ كان للحق نصيرا وللخلق بشيرا ونذيرا هيهات بل امتثل ما كان به مأمورا واتبع ما وجده فى اللوح مسطورا فهذا كان حاله وهو عند الله ذو المقام المحمود والحوض المورود وهو أول من تنشق عنه الأرض وهو صاحب الشفاعة يوم العرض فالعجب أنا لا نعتبر به ولسنا على ثقة فيما نلقاه بل نحن أسراء الشهوات وقرناء المعاصى والسيئآت فما بالنا لا نتعظ بمصرع محمد سيد المرسلين وإمام المتقين وحبيب رب العالمين لعلنا نظن أننا مخلدون أو نتوهم أنا مع سوء أفعالنا عند الله مكرمون هيهات هيهات بل نتيقن أنا جميعا على النار واردون ثم لا ينجو منها إلا المتقون فنحن للورود مستيقنون وللصدور عنها متوهمون لا ، بل ظلمنا أنفسنا إن كنا كذلك لغالب الظن منتظرين فما نحن والله من المتقين وقد قال الله رب العالمين ـ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ـ فلينظر كل عبد إلى نفسه انه إلى الظالمين أقرب أم إلى المتقين فانظر إلى نفسك بعد أن تنظر إلى سيرة السلف الصالحين فلقد كانوا مع ماوفقوا له من الخائفين ثم انظر إلى سيد المرسلين فانه كان من أمره على يقين إذ كان سيد النبيين وقائد المتقين واعتبر كيف كان كربه عند فراق الدنيا وكيف اشتد أمره عند الانقلاب إلى جنة المأوى قال ابن مسعود رضى الله عنه «دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت أمنا عائشة رضى الله عنها حين دنا الفراق فنظر إلينا فدمعت عيناه صلى الله عليه وسلم ثم قال مرحبا بكم حياكم الله آواكم الله نصركم الله وأوصيكم بتقوى الله وأوصى بكم الله إنى لكم منه نذير مبين ألا تعلوا على الله فى بلاده وعباده وقد دنا الأجل والمنقلب إلى الله وإلى سدرة المنتهى وإلى جنة المأوى وإلى الكأس الأوفى فاقرءوا على أنفسكم وعلى من دخل فى دينكم بعدى منى السلام ورحمة الله [1]» . وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام عند موته «من لأمتى بعدى

أنا أبو بكر بن خلف قال ثنا أبو عبد الرحمن قال سمعت النصراباذى يقول سمعت ابن عائشة يقول سمعت القرشى يقول هى أسرار الله تعالى يبديها إلى أمناء أوليائه وسادات النبلاء من غير سماع ولا دراسة وهى من الأسرار التى لم يطلع عليها إلا الخواص . وقال أبو سعيد الخراز للعارفين خزائن أودعوها علوما غريبة وأنباء عجيبة يتكلمون فيها بلسان الأبدية ويخبرون عنها بعبارة الأزلية وهى من العلم المجهول فقوله بلسان الأبدية وعبارة الأزلية إشارة إلى أنهم بالله

(الباب الرابع فى وفاة النبى صلى الله عليه وسلم)

(١) حديث ابن مسعود دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت أمنا عائشة حين دنا الفراق الحديث رواه البزار وقال هذا الكلام قد روى عن مرة عن عبد الله من غير وجه وأسانيدها متقاربة قال وعبد الرحمن الأصبهانى لم يسمع هذا من مرة وإنما هو عمن أخبره عن مرة قال ولا أعلم أحدا رواه عن عبد الله غير مرة . قلت وقد روى من غير ما وجه رواه ابن سعد فى الطبقات من رواية ابن عوف عن ابن مسعود ورويناه فى مشيخة القاضى أبى بكر الأنصارى من رواية الحسن العربى عن ابن مسعود ولكنهما منقطعان وضعيفان والحسن العربى إنما يرويه عن مرة كما رواه ابن أبى الدنيا والطبرانى فى الأوسط .

فأوحى الله تعالى إلى جبريل أن بشر حبيبي أني لاأخذله في أمته وبشره بأنه أسرع الناس خروجا من الأرض إذا بعثوا وسيدهم إذا جمعوا وأن الجنة محرمة على الأمم حتى تدخلها أمته فقال الآن قرت عيني [(١)] » وقالت عائشة رضي الله عنها «أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نغسله بسبع قرب من سبعة آبار ففعلنا ذلك فوجد راحة فخرج فصلى بالناس واستغفر لأهل أحد ودعا لهم وأوصى بالأنصار فقال أما بعد يامعشر المهاجرين فانكم تزيدون وأصبحت الأنصار لاتزيد على هيئتها التي هي عليها اليوم وإن الأنصار عيبتي التي أويت إليها فأكرموا كريمهم يعني محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ثم قال إن عبدا خير بين الدنيا وبين ماعند الله فاختار ماعند الله فبكى أبو بكر رضي الله عنه وظن أنه يريد نفسه فقال النبي صلى الله عليه وسلم على رسلك ياأبابكر سدوا هذه الأبواب الشوارع في المسجد إلاباب أبي بكر فاني لا أعلم امرأ أفضل عندي في الصحبة من أبي بكر [(٢)] » قالت عائشة رضي الله عنها « فقبض صلى الله عليه وسلم في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري وجمع الله بين ريقي وريقه عند الموت فدخل علي أخي عبد الرحمن وبيده سواك فجعل ينظر إليه فعرفت أنه يعجبه ذلك فقلت له آخذه لك فأومأ برأسه أن نعم فناولته إياه فأدخله في فيه فاشتد عليه فقلت ألينه لك فأومأ برأسه أن نعم فلينته وكان بين يديه ركوة ماء فجعل يدخل فيها يده ويقول لاإله إلاالله إن للموت لسكرات ثم نصب يده يقول الرفيق الأعلى الرفيق الأعلى فقلت إذن والله لايختارنا [(٣)] » وروى سعيد بن عبد الله عن أبيه قال لما رأت الأنصار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يزداد ثقلا أطافوا بالمسجد فدخل العباس رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم فأعلمه بمكانهم وإشفاقهم ثم دخل عليه الفضل فأعلمه بمثل ذلك ثم دخل عليه علي رضي الله عنه فأعلمه بمثله فمد يده وقال ها فتناولوه فقال ماتقولون ؟ قالوا نقول نخشى أن تموت وتصايح نساؤهم لاجتماع رجالهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فثار رسول الله ﷺ فخرج متوكئا على علي والفضل والعباس أمامه ورسول الله صلى الله عليه وسلم معصوب الرأس يخط برجليه حتى جلس على أسفل مرقاة من المنبر وثاب الناس إليه فحمد الله وأثنى عليه وقال : أيها الناس إنه بلغني أنكم تخافون على الموت كأنه استنكار منكم للموت وماتنكرون من موت نبيكم ألم أنع إليكم وتنعى إليكم أنفسكم هل خلدني قبلي فيمن بعث فأخلد فيكم ألا إني لاحق بربي وإنكم لاحقون به وإني أوصيكم بالمهاجرين الأولين خيرا وأوصى المهاجرين فيما بينهم فان الله عز وجل قال ـ والعصر إن الانسان لفي خسر إلاالذين آمنوا ـ إلى آخرها وإن الأمور تجري باذن الله فلايحملنكم استبطاء أمر على استعجاله فان الله عز وجل لايعجل لعجلة أحد ومن غالب الله غلبه ومن خادع الله خدعه ـ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم ـ وأوصيكم بالأنصار خيرا فانهم الذين تبوءوا الدار والايمان من قبلكم

ينطقون وقد قال تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم « بي ينطق » وهو العلم اللدني الذي قال الله تعالى فيه في حق الخضر ـ آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما ـ فما تداولته ألسنتهم من الكلمات تفهيما من بعضهم للبعض وإشارة منهم إلى أحوال يجدونها ومعاملات قلبية يعرفونها قولهم الجمع والتفرقة قيل أصل الجمع والتفرقة قوله تعالى ـ شهد الله أنه لاإله إلا هو ـ فهذا جمع ثم فرق فقال والملائكة وأولوا العلم ـ وقوله تعالى ـ آمنا بالله ـ جمع ثم فرق بقوله ـ وما أنزل إلينا ـ والجمع أصل والتفرقة

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عند موته من لأمتي بعدي فأوحى الله تعالى إلى جبريل أن بشر حبيبي أني لاأخذله في أمته الحديث الطبراني من حديث جابر وابن عباس في حديث طويل فيه من لأمتي المصطفاة من بعدي قال أبشر ياحبيب الله فان الله عز وجل يقول قد حرمت الجنة على جميع الأنبياء والأمم حتى تدخلها أنت وأمتك قال الآن طابت نفسي وإسناده ضعيف (٢) حديث عائشة أمرنا أن نغسله بسبع قرب من سبعة آبار ففعلنا ذلك فوجد راحة فخرج فصلى بالناس واستغفر لأهل أحد الحديث الدارمي في مسنده وفيه ابراهيم بن المختار مختلف فيه عن محمد ابن اسحق وهو مدلس وقد رواه بالعنعنة (٣) حديث عائشة قبض في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري وجمع الله بين ريقي وريقه عند الموت الحديث متفق عليه .

أن

أن تحسنوا إليهم ألم يشاطروكم الثمار ألم يوسعوا عليكم فى الديار ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصة ألا فمن ولى أن يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم ألا ولا تستأثروا عليهم ألا وإنى فرط لكم وأنتم لاحقون بى ألا وإن موعدكم الحوض حوضى أعرض مما بين بصرى الشام وصنعاء اليمن يصب فيه ميزاب الكوثر ماء أشد بياضا من اللبن وألين من الزبد وأحلى من الشهد من شرب منه لم يظمأ أبدا حصباؤه اللؤلؤ وبطحاؤه المسك من حرمه فى الموقف غدا حرم الخير كله ألا فمن أحب أن يرده على غدا فليكفف لسانه ويده إلا مما ينبغى فقال العباس يانبى الله أوص بقريش فقال إنما أوصى بهذا الأمر قريشا والناس تبع لقريش برهم لبرهم وفاجرهم لفاجرهم فاستوصوا آل قريش بالناس خيرا يا أيها الناس إن الذنوب تغير النعم وتبدل القسم فاذا بر الناس برهم أئمتهم وإذا فجر الناس عقوهم قال الله تعالى ـ وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون ـ [(١)] » وروى ابن مسعود رضى الله عنه « أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لأبى بكر رضى الله عنه سل ياأبا بكر فقال يارسول الله دنا الأجل فقال قد دنا الأجل وتدلى فقال ليهنك يانبى الله ما عند الله فليت شعرى عن منقلبنا فقال إلى الله وإلى سدرة المنتهى ثم إلى جنة المأوى والفردوس الأعلى والكأس الأوفى والرفيق الأعلى والحظ والعيش المهنا فقال يانبى الله من يلى غسلك؟ قال رجال من أهل بيتى الأدنى فالأدنى قال ففيم نكفنك ؟ فقال فى ثيابى هذه وفى حلة يمانية وفى بياض مصر فقال كيف الصلاة عليك منا وبكينا وبكى ثم قال مهلا غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيرا إذا غسلتمونى وكفنتمونى فضعونى على سريرى فى بيتى هذا على شفير قبرى ثم اخرجوا عنى ساعة فان أول من يصلى على الله عز وجل هو الذى يصلى عليكم وملائكته ـ ثم يأذن للملائكة فى الصلاة على فأول من يدخل على من خلق الله ويصلى على جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم ملك الموت مع جنود كثيرة ثم الملائكة بأجمعها صلى الله عليهم أجمعين ثم أنتم فادخلوا على أفواجا فصلوا على أفواجا زمرة زمرة وسلموا تسليما ولا تؤذونى بتزكية ولا صيحة ولا رنة وليبدأ منكم الامام وأهل بيتى الأدنى فالأدنى ثم زمر النساء ثم زمر الصبيان قال فمن يدخلك القبر ؟ قال زمر من أهل بيتى الأدنى فالأدنى مع ملائكة كثيرة لا ترونهم وهم يرونكم قوموا فأدوا عنى إلى من بعدى [(٢)] » وقال عبد الله بن زمعة جاء بلال فى أول شهر ربيع الأول فأذن بالصلاة فقال رسول الله ﷺ « مروا أبا بكر يصلى بالناس فخرجت فلم أر بحضرة الباب إلا عمر فى رجال ليس فيهم أبو بكر فقلت قم ياعمر فصل بالناس فقام عمر فلما كبر وكان رجلا صيتا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته بالتكبير فقال أين أبو بكر يأبى الله ذلك والمسلمون قالها ثلاث مرات مروا أبا بكر فليصل بالناس فقالت عائشة رضى الله عنها يارسول الله إن أبا بكر رجل رقيق القلب إذا قام فى مقامك غلبه البكاء فقال إنكن صويحبات يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس

فرع فكل جمع بلا تفرقة زندقة وكل تفرقة بلا جمع تعطيل . وقال الجنيد القرب بالوجد جمع وغيبته فى البشرية تفرقة وقيل جمعهم فى المعرفة وفرقهم فى الأحوال والجمع اتصال لا يشاهد صاحبه إلا الحق فمتى شاهد غيره فما جمع والتفرقة شهود لمن شاء بالمباينة وعباراتهم فى ذلك كثيرة والمقصود أنهم أشاروا بالجمع إلى تجريد التوحيد وأشاروا بالتفرقة إلى الاكتساب فعلى هذا لاجمع إلا بتفرقة ويقولون فلان فى عين الجمع يعنون استيلاء

---

(١) حديث سعيد بن عبد الله عن أبيه قال لما رأت الأنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يزداد ثقلا أطافوا بالمسجد فدخل العباس فأعلمه بمكانهم وإشفاقهم فذكر الحديث فى خروجه متوكئا معصوب الرأس يخط رجليه حتى جلس على أسفل مرقاة من المنبر فذكر خطبته بطولها هو حديث مرسل ضعيف وفيه نكارة ولم أجد له أصلا وأبوه عبد الله بن ضرار بن الأزور تابعى. روى عن ابن مسعود قال أبو حاتم فيه وفى أبيه سعيد ليس بالقوى (٢) حديث ابن مسعود أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لأبى بكر سل يا أبا بكر فقال يارسول الله دنا الأجل فقال قد دنا الأجل الحديث فى سؤالهم له من يلى غسلك وفيم نكفنك وكيفية الصلاة عليه رواه ابن سعد فى الطبقات عن محمد ابن عمر وهو الواقدى باسناد ضعيف إلى ابن عوف عن ابن مسعود وهو مرسل ضعيف كما تقدم.

قال فصلى أبو بكر بعد الصلاة التى صلى عمر فكان عمر يقول لعبد الله بن زمعة بعد ذلك ويحك ماذا صنعت بى والله لولا أنى ظننت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك مافعلت فيقول عبد الله إنى لم أر أحدا أولى بذلك منك قالت عائشة رضى الله عنها وما قلت ذاك ولا صرفته عن أبى بكر إلا رغبة به عن الدنيا ولما فى الولاية من المخاطرة والهلكة إلا من سلم الله وخشيت أيضا أن لا يكون الناس يحبون رجلا صلى فى مقام النبى صلى الله عليه وسلم وهو حى أبدا إلا أن يشاء الله فيحسدونه ويبغون عليه ويتشاءمون به فاذن الأمر أمر الله والقضاء قضاؤه وعصمه الله من كل ماتخوفت عليه من أمر الدنيا والدين (١) » وقالت عائشة رضى الله عنها فلما كان اليوم الذى مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا منه خفة فى أول النهار فتفرق عنه الرجال إلى منازلهم وحوائجهم مستبشرين وأخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنساء فبينا نحن على ذلك لم نكن على مثل حالنا فى الرجاء والفرح قبل ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اخرجن عنى هذا الملك يستأذن علىّ فخرج من فى البيت غيرى ورأسه فى حجرى » فجلس وتنحيت فى جانب البيت فناجى الملك طويلا ثم إنه دعانى فأعاد رأسه فى حجرى وقال للنسوة ادخلن فقلت ماهذا بحس جبريل عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل يا عائشة هذا ملك الموت جاءنى فقال إن الله عز وجل أرسلنى وأمرنى أن لا أدخل عليك إلا باذن فان لم تأذن لى أرجع وإن أذنت لى دخلت وأمرنى أن لا أقبضك حتى تأمرنى فماذا أمرك فقلت اكفف عنى حتى يأتينى جبريل عليه السلام فهذه ساعة جبريل فقالت عائشة رضى الله عنها فاستقبلنا بأمر لم يكن له عندنا جواب ولا رأى فوجمنا وكأنما ضربنا بصاخة مانحير إليه شيئا ومايتكلم أحد من أهل البيت إعظاما لذلك الأمر وهيبة ملأت أجوافنا قالت وجاء جبريل فى ساعته فسلم فعرفت حسه خرج أهل البيت فدخل فقال إن الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول كيف تجدك وهو أعلم بالذى تجد منك ولكن أراد أن يزيدك كرامة وشرفا وأن يتم كرامتك وشرفك على الخلق وأن تكون سنة فى أمتك فقال أجدنى وجعا فقال أبشر فان الله تعالى أراد أن يبلغك ماأعدلك فقال ياجبريل إن ملك الموت استأذن علىّ وأخبره الخبر فقال جبريل يامحمد إن ربك إليك مشتاق ألم يعلمك الذى يريد بك لا والله ما استأذن ملك الموت على أحد قط ولا يستأذن عليه أبدا إلا أن ربك متم شرفك وهو إليك مشتاق قال فلا تبرح إذن حتى يجىء وأذن للنساء فقال يافاطمة ادنى فأكبت عليه فناجاها فرفعت رأسها وعيناها تدمع وما تطيق الكلام ثم قال أدنى منى رأسك فأكبت عليه فناجاها فرفعت رأسها وهى تضحك وما تطيق الكلام فكان الذى رأينا منها عجبا فسألتها بعد ذلك فقالت أخبرنى وقال إنى ميت اليوم فبكيت ثم قال إنى دعوت الله أن يلحقك بى فى أول أهلى وأن يجعلك معى فضحكت وأدنت ابنيها منه فشمهما قالت وجاء ملك الموت فسلم واستأذن فأذن له فقال الملك ماتأمرنا يامحمد قال ألحقنى بربى الآن فقال بلى من يومك هذا أما إن ربك إليك مشتاق ولم يتردد عن أحد ترديده عنك

مراقبة الحق على باطنه فاذا عاد إلى شىء من أعماله عاد إلى التفرقة فصحة الجمع بالتفرقة وصحة التفرقة بالجمع فهذا يرجع حاصله إلى أن الجمع من العلم بالله والتفرقة من العلم بأمر الله ولابد منهما جميعا . قال المزين الجمع عين الفناء بالله والتفرقة العبودية متصل بعضها بالبعض وقد غلط قوم وادعوا أنهم فى عين الجمع وأشاروا إلى صرف التوحيد وعطلوا الاكتساب فتزندقوا وإنما الجمع حكم الروح والتفرقة حكم القالب وما دام هذا التركيب باقيا فلابد من الجمع

---

(١) حديث عبد الله بن زمعة جاء بلال فى أول ربيع الأول فأذن بالصلاة فقال النبى صلى الله عليه وسلم مروا أبا بكر فليصل بالناس فخرجت فلم أر بحضرة الباب إلا عمر فى رجال ليس فيهم أبو بكر الحديث أبو داود باسناد جيد نحوه مختصرا دون قوله فقالت عائشة إن أبا بكر رجل رقيق إلى آخره ولم يقل فى أول ربيع الأول وقال مروا من يصلى بالناس وقال يأبى الله ذلك والمؤمنون مرتين وفى رواية له فقال لا لا لا ليصل للناس ابن أبى قحافة يقول ذلك مغضبا وأما ما فى آخره من قول عائشة ففى الصحيحين من حديثها فقالت عائشة يارسول الله إن أبا بكر رجل رقيق إذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء فقال إنكن صواحبات يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس .

ولم ينه عن الدخول على أحد إلا باذن غيرك ولكن ساعتك أمامك وخرج قالت وجاء جبريل فقال السلام عليك يارسول الله هذا آخر ماأنزل فيه إلى الأرض أبدا طوى الوحى وطويت الدنيا وما كان لى فى الأرض حاجة غيرك ومالى فيها حاجة إلا حضورك ثم لزوم موقفى لا والذى بعث محمدا بالحق مافى البيت أحد يستطيع أن يحير إليه فى ذلك كلمة ولا يبعث إلى أحد من رجاله لعظم مايسمع من حديثه ووجدنا وإشفاقنا قالت فقمت إلى النبى ﷺ حتى أضع رأسه بين ثديى وأمسكت بصدره وجعل يغمى عليه حتى يغلب وجبهته ترشح رشحا مارأيته من إنسان قط فجعلت أسلت ذلك العرق وماوجدت رائحة شىء أطيب منه فكنت أقول له إذا أفاق بأبى أنت وأمى ونفسى وأهلى ماتلقى جبهتك من الرشح فقال ياعائشة إن نفس المؤمن تخرج بالرشح ونفس الكافر تخرج من شدقيه كنفس الحمار فعند ذلك ارتعنا وبعثنا إلى أهلنا فكان أول رجل جاءنا ولم يشهده أخى بعثه إلىّ أبى فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يجىء أحد وإنما صدهم الله عنه لأنه ولاه جبريل وميكائيل وجعل إذا أغمى عليه قال بل الرفيق الأعلى كأن الخيرة تعاد عليه فاذا أطاق الكلام قال «الصلاة الصلاة إنكم لا تزالون متماسكين ماصليتم جميعا الصلاة الصلاة كان يوصى بها حتى مات وهو يقول الصلاة الصلاة[1]» قالت عائشة رضى الله عنها مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ارتفاع الضحى وانتصاف النهار يوم الاثنين [2] قالت فاطمة رضى الله عنها مالقيت من يوم الاثنين والله لاتزال الأمة تصاب فيه بعظيمة

---

(١) حديث عائشة لما كان اليوم الذى مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا منه خفة فى أول النهار فتفرق عنه الرجال إلى منازلهم وحوائجهم مستبشرين وأخلوا رسول الله ﷺ بالنساء فبينا نحن على ذلك لم يكن على مثل حالنا فى الرجاء والفرح قبل ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجن عنى ، هذا الملك يستأذن علىّ الحديث بطوله فى مجىء ملك الموت ثم ذهابه ثم مجىء جبريل ثم مجىء ملك الموت ووفاته صلى الله عليه وسلم الطبرانى فى الكبير من حديث جابر وابن عباس مع اختلاف فى حديث طويل فيه فلما كان يوم الاثنين اشتد الأمر وأوحى الله إلى ملك الموت أن اهبط إلى حبيبى وصفيى محمد صلى الله عليه وسلم فى أحسن صورة وارفق به فى قبض روحه وفيه دخول ملك الموت واستئذانه فى قبضه فقال ياملك الموت أين خلفت حبيبى جبريل قال خلفته فى سماء الدنيا والملائكة يعزونه فيك فما كان بأسرع أن أتاه جبريل فقعد عند رأسه وذكر بشارة جبريل له بما أعد الله له وفيه أدن ياملك الموت فانته إلى ماأمرت به الحديث وفيه فدنا ملك الموت يعالج قبض روح النبى صلى الله عليه وسلم وذكر كربه لذلك إلى أن قال فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حديث طويل فى ورقتين كبار وهو منكر وفيه عبد المنعم بن إدريس ابن سنان عن أبيه عن وهب بن منبه قال أحمد كان يكذب على وهب بن منبه وأبوه إدريس أيضا متروك قاله الدار قطنى ورواه الطبرانى أيضا من حديث الحسين بن على أن جبريل جاءه أولا فقال له عن ربه كيف تجدك ثم جاءه جبريل اليوم الثالث ومعه ملك الموت وملك الهواء إسماعيل وأن جبريل دخل أولا فسأله ثم استأذن ملك الموت وقوله امض لما أمرت به وهو منكر أيضا فيه عبد الله بن ميمون القداح قال البخارى ذاهب الحديث ورواه أيضا من حديث ابن عباس فى مجىء ملك الموت أولا واستئذانه قوله إن ربك يقرئك السلام فقال أين جبريل فقال هو قريب منى الآن يأتى فخرج ملك الموت حتى نزل عليه جبريل الحديث وفيه المختار بن نافع منكر الحديث.

(٢) حديث عائشة مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ارتفاع الضحى وانتصاف النهار يوم الاثنين رواه ابن عبد البر .

والتفرقة . وقال الواسطى إذا نظرت إلى نفسك فرقت وإذا نظرت إلى ربك جمعت ، وإذا كنت قائما بغيرك فأنت فان بلا جمع ولاتفرقة . وقيل جمعهم بذاته وفرقهم فى صفاته وقد يريدون بالجمع والتفرقة أنه اذا أثبت لنفسه كسبا ونظرا الى أعماله فهو فى التفرقة واذا أثبت الأشياء بالحق فهو فى الجمع ومجموع الاشارات ينبىء أن الكون يفرق والمكون يجمع فمن أفرد المكون جمع ومن نظر الى الكون فرق فالتفرقة عبودية والجمع توحيد فاذا

وقالت أم كلثوم يوم أصيب علىّ كرم الله وجهه بالكوفة مثلها مالقيت من يوم الاثنين مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه قتل علىّ وفيه قتل أبى فمالقيت من يوم الاثنين وقالت عائشة رضى الله عنها «لما مات رسول الله ﷺ اقتحم الناس حين ارتفعت الرنة وسجى رسول الله صلى الله عليه وسلم الملائكة بثوبه فاختلفوا فكذب بعضهم بموته وأخرس بعضهم فماتكلم إلا بعد البعد وخلط آخرون فلاثوا الكلام بغير بيان وبقى آخرون معهم عقولهم وأقعد آخرون فكان عمر بن الخطاب فيمن كذب بموته وعلىّ فيمن أقعد وعثمان فيمن أخرس فخرج عمر على الناس وقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمت وليرجعنه الله عزوجل وليقطعن أيدى وأرجل رجال من المنافقين يتمنون لرسول الله صلى الله عليه وسلم الموت إنما واعده الله عز وجل كما واعد موسى وهو آتيكم[(1)] »وفى رواية أنه قال : يا أيها الناس كفوا ألسنتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لم يمت والله لاأسمع أحدا يذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات إلاعلوته بسيفى هذا . وأما علىّ فانه أقعد فلم يبرح فى البيت وأما عثمان فجعل لايكلم أحدا يؤخذ بيده فيجاء به ويذهب به ولم يكن أحد من المسلمين فى مثل حال أبى بكر والعباس فان الله عز وجل أيدهما بالتوفيق والسداد وإن كان الناس لم يرعووا إلابقول أبى بكر حتى جاء العباس فقال والله الذى لاإله إلاهو لقد ذاق رسول الله صلى الله عليه وسلم الموت ولقد قال وهو بين أظهركم ـ إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ـ وبلغ أبابكر الخبر وهو فى بنى الحرث بن الخزرج فجاء ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إليه ثم أكب عليه فقبله ثم قال بأبى أنت وأمى يارسول الله ماكان الله ليذيقك الموت مرتين فقد والله توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج إلى الناس فقال أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد رب محمد فانه حىّ لايموت قال الله تعالى ـ وما محمد إلارسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أوقتل انقلبتم على أعقابكم ـ [(2)]» الآية فكأن الناس لم يسمعوا هذه الآية إلايومئذ وفى رواية : أن أبابكر رضى الله عنه لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وعيناه تهملان وغصصه ترتفع كقصع الجرة وهو فى ذلك جلد الفعل والمقال فأكب عليه فكشف عن وجهه وقبل جبينه وخديه ومسح وجهه وجعل يبكى ويقول : بأبى أنت وأمى ونفسى وأهلى طبت حيا

أثبت طاعته نظرا الى كسبه فرق واذا أثبتها بالله جمع واذا تحقق بالفناء فهو جمع الجمع ويمكن أن يقال رؤية الأفعال تفرقة ورؤية الصفات جمع ورؤية الذات جمع الجمع . سئل بعضهم عن حال موسى عليه السلام فى وقت الكلام فقال : أفنى موسى عن موسى فلم يكن لموسى خبر من موسى ثم كلم فكان المكلم والمكلم هو وكيف كان يطيق موسى حمل الخطاب ورد الجواب لولا بإياه سمع ومعنى هذا أن الله تعالى منحه قوة بتلك

---

(١) حديث عائشة لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتحم الناس حين ارتفعت الرنة وسجى رسول الله ﷺ الملائكة بثوبه فاختلفوا فكذب بعضهم بموته وأخرس بعضهم فما تكلم إلا بعد البعد وخلط آخرون ومعهم عقولهم وأقعد آخرون وكان عمر بن الخطاب ممن كذب بموته وعلىّ فيمن أقعد وعثمان فيمن أخرس فخرج عمر على الناس وقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمت الحديث إلى قوله عند ربكم تختصمون لم أجد له أصلا وهو منكر (٢) حديث بلغ أبابكر الخبر وهو فى بنى الحارث بن الخزرج فجاء فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر اليه ثم أكب عليه فقبله وبكى ثم قال بأبى أنت وأمى ماكان الله ليذيقك الموت مرتين الحديث الى آخر قوله وكأن الناس لم يسمعوا هذه الآية إلايومئذ البخارى ومسلم من حديث عائشة أن أبابكر أقبل على فرس من مسكنه بالسنح حتى نزل ودخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فيمم رسول الله ﷺ وهو مغشى بثوب حبرة فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله وبكى ثم قال بأبى وأمى أنت والله لا يجمع الله عليك موتتين أما الموتة التى كتبت عليك فقدمتها ولهما من حديث ابن عباس أن أبابكر خرج وعمر يكلم الناس الحديث وفيه والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر لفظ البخارى فيهما .

حيا وميتا انقطع لموتك مالم ينقطع لموت أحد من الأنبياء والنبوة فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء وخصصت حتى صرت مسلاة وعممت حتى صرنا فيك سواء ولولا أن موتك كان اختيارا منك لجدنا لحزنك بالنفوس ولولا أنك نهيت عن البكاء لأنفدنا عليك ماء العيون فأما مالا نستطيع نفيه عنا فكمد وادكار محالفان لا يبرحان اللهم فأبلغه عنا اذكرنا يا محمد صلى الله عليك عند ربك ولنكن من بالك فلولا ما خلفت من السكينة لم يقم أحد لما خلفت من الوحشة اللهم أبلغ نبيك عنا واحفظه فينا (١) . وعن ابن عمر أنه لما دخل أبو بكر البيت وصلى وأثنى عج أهل البيت عجيجا سمعه أهل المصلى كلما ذكر شيئا ازدادوا فما سكن عجيجهم إلا تسليم رجل على الباب صيت جلد قال السلام عليكم يا أهل البيت ـ كل نفس ذائقة الموت ـ الآية إن فى الله خلفا من كل أحد ودركا لكل رغبة ونجاة من كل مخافة فالله فارجوا وبه فثقوا فاستمعوا له وأنكروه وقطعوا البكاء فلما انقطع البكاء فقد صوته فاطلع أحدهم فلم ير أحدا ثم عادوا فبكوا فناداهم مناد آخر لا يعرفون صوته يا أهل البيت اذكروا الله واحمدوه على كل حال تكونوا من المخلصين إن فى الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل رغبة فالله فأطيعوا وبأمره فاعملوا فقال أبو بكر هذا الخضر واليسع عليهما السلام حضرا النبي صلى الله عليه وسلم (٢) واستوفى القعقاع بن عمرو حكاية خطبة أبى بكر رضى الله عنه فقال قام أبو بكر فى الناس خطيبا حيث قضى الناس عبراتهم بخطبة جلها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه

---

(١) حديث إن أبا بكر لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وعيناه تهملان وغصصه ترتفع كقصع الجرة وهو فى ذلك جلد الفعل والقال فأكب عليه فكشف الثوب عن وجهه الحديث إلى قوله واحفظه فينا ابن أبى الدنيا فى كتاب العزاء من حديث ابن عمر باسناد ضعيف جاء أبو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم مسجى فكشف الثوب عن وجهه الحديث إلى آخره (٢) حديث ابن عمر فى سماع التعزية به صلى الله عليه وسلم إن فى الله خلفا من كل أحد ودركا لكل رغبة ونجاة من كل مخافة فالله فارجوا وبه فثقوا ثم سمعوا آخر بعده إن فى الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل رغبة فالله فأطيعوا وبأمره فاعملوا فقال أبو بكر هذا الخضر واليسع لم أجد فيه ذكر اليسع وأما ذكر الخضر فى التعزية فأنكر النووى وجوده فى كتب الحديث وقال إنما ذكره الأصحاب قلت بلى قد رواه الحاكم فى المستدرك فى حديث أنس ولم يصححه ولا يصح ورواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العزاء من حديث أنس أيضا قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمع أصحابه حوله يبكون فدخل عليهم رجل طويل شعر المنكبين فى إزار ورداء يتخطى أصحاب رسول الله ﷺ حتى أخذ بعضادتى باب البيت فبكى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أقبل على أصحابه فقال إن فى الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل فائت وخلفا من كل هالك فإلى الله تعالى فأنيبوا ونظره إليكم فى البلاء فانظروا فان المصاب من لم يجبره الثواب ثم ذهب الرجل فقال أبو بكر علىّ الرجل فنظروا يمينا وشمالا فلم يروا أحدا فقال أبو بكر لعل هذا الخضر أخو نبينا عليه السلام جاء يعزينا ورواه الطبرانى فى الأوسط وإسناده ضعيف جدا ورواه ابن أبى الدنيا أيضا من حديث على بن أبى طالب لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء آت نسمع حسه ولا نرى شخصه قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته إن فى الله عوضا من كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل فائت فبالله فثقوا وإياه فارجوا فان المحروم من حرم الثواب والسلام عليكم فقال علىّ تدرون من هذا هو الخضر وفيه محمد بن جعفر الصادق تكلم فيه وفيه انقطاع بين على بن الحسين وبين جده على والمعروف عن على بن الحسين مرسلا من غير ذكر على كما رواه الشافعى فى الأم وليس فيه ذكر الخضر.

القوة مع ولولا تلك القوة ما قدر على السمع ثم أنشد القائل متمثلا :

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى
برق تألق موهنا لمعانه
يبدو كحاشية الرداء ودونه
صعب الذرى متمنع أركانه
فبدا لينظر كيف لاح فلم يطق
نظرا إليه ورده أشجانه
فالنار مااشتملت عليه ضلوعه
والماء ما سمحت به أجفانه

ومنها قولهم التجلى والاستتار .قال الجنيد

على كل حال وقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وغلب الأحزاب وحده فلله الحمد وحده وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وخاتم أنبيائه وأشهد أن الكتاب كما نزل وأن الدين كما شرع وأن الحديث كما حدث وأن القول كما قال وأن الله هو الحق المبين اللهم فصل على محمد عبدك ورسولك ونبيك وحبيبك وأمينك وخيرتك وصفوتك بأفضل ماصليت به على أحد من خلقك اللهم واجعل صلواتك ومعافاتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وخاتم النبيين وإمام المتقين محمد قائد الخير وإمام الخير ورسول الرحمة اللهم قرب زلفته وعظم برهانه وكرم مقامه وابعثه مقاما محمودا يغبطه به الأولون والآخرون وانفعنا بمقامه المحمود يوم القيامة واخلفه فينا فى الدنيا والآخرة وبلغه الدرجة والوسيلة فى الجنة اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت على إبراهيم إنك حميد مجيد أيها الناس إنه من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لم يمت وإن الله قد تقدم إليكم فى أمره فلا تدعوه جزعا فان الله عز وجل قد اختار لنبيه صلى الله عليه وسلم ماعنده على ماعندكم وقبضه إلى ثوابه وخلف فيكم كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فمن أخذ بهما عرف ومن فرق بينهما أنكر ـ ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ـ ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم ولا يفتننكم عن دينكم وعاجلوا الشيطان بالخير تعجزوه ولاتستنظروه فيلحق بكم ويفتنكم . وقال ابن عباس لما فرغ أبو بكر من خطبته قال ياعمر أنت الذى بلغنى أنك تقول مامات نبى الله صلى الله عليه وسلم أما ترى أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال يوم كذا: كذا وكذا ويوم كذا : كذا وكذا وقال تعالى فى كتابه ـ إنك ميت وإنهم ميتون ـ فقال والله لكأنى لم أسمع بها فى كتاب الله قبل الآن لما نزل بنا أشهد أن الكتاب كما أنزل وأن الحديث كما حدث وأن الله حى لايموت ـ إنا لله وإنا إليه راجعون ـ وصلوات الله على رسوله وعند الله نحتسب رسوله صلى الله عليه وسلم ثم جلس إلى أبى بكر . وقالت عائشة رضى الله عنها لما اجتمعوا لغسله قالوا : والله ماندرى كيف نغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم أنجرده عن ثيابه كما نصنع بموتانا أو نغسله فى ثيابه قالت فأرسل الله عليهم النوم حتى مابقى منهم رجل إلا واضع لحيته على صدره نائما ثم قال قائل لايدرى من هو غسلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه ثيابه فانتبهوا ففعلوا ذلك فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قميصه حتى إذا فرغوا من غسله كفن وقال على كرم الله وجهه أردنا خلع قميصه فنودينا لاتخلعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثيابه فأقررناه فغسلناه فى قميصه كما نغسل موتانا مستلقيا مانشاء أن يقلب لنا منه عضو لم يبالغ فيه إلا قلب لنا حتى نفرغ منه وإن معنا لحفيفا فى البيت كالريح الرخاء ويصوت بنا ارفقوا برسول الله ﷺ فانكم ستكفون فهكذا كانت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يترك سبدا ولا لبدا إلا دفن معه قال أبو جعفر فرش لحده بمفرشه وقطيفته وفرشت ثيابه عليها التى كان يلبس يقظان على القطيفة والمفرش ثم وضع عليها فى أكفانه فلم يترك بعد وفاته مالا ولابنى فى حياته لبنة على لبنة ولا وضع قصبة على قصبة (١) ففى وفاته عبرة تامة وللمسلمين به أسوة حسنة .

(وفاة أبى بكر الصدّيق رضى الله تعالى عنه)

لما احتضر أبو بكر رضى الله تعالى عنه جاءت عائشة رضى الله عنها فتمثلت بهذا البيت :

(١) حديث أبى جعفر فرش لحده بمفرشه وقطيفة وفيه فلم يترك بعد وفاته مالا ولا بنى فى حياته لبنة على لبنة ولا وضع قصبة على قصبة أما وضع المفرشة والقطيفة فالذى وضع القطيفة شقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس ذكر ذلك من شرط كتابنا وأما كونه لم يترك مالا فقد تقدم من حديث عائشة وغيرها وأما كونه مابنى فى حياته فتقدم أيضا .

إنما هو تأديب وتهذيب وتذويب فالتأديب محل الاستتار وهو للعوام والتهذيب للخواص وهو التجلى والتذويب للأولياء وهو المشاهدة. وحاصل الاشارات فى الاستتار والتجلى راجع إلى ظهور صفات النفس. (ومنها الاستتار) وهو إشارة إلى غيبة صفات النفس بكمال قوة صفات القلب (ومنها التجلى) ثم التجلى قد يكون بطريق الأفعال وقد يكون بطريق الصفات وقد يكون بطريق الذات والحق تعالى أبقى على الخواص موضع الاستتار رحمة منه

لعمرك ما يغنى الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

فكشف عن وجهه وقال ليس كذا ولكن قولى ـ وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ـ انظروا ثوبىّ هذين فاغسلوهما وكفنونى فيهما فان الحىّ إلى الجديد أحوج من الميت. وقالت عائشة رضى الله عنها عند موته:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ربيع اليتامى عصمة للأرامل

فقال أبوبكر ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلوا عليه فقالوا ألا ندعولك طبيبا ينظر إليك؟ قال قد نظر إلىّ طبيبي وقال إنى فعال لما أريد. ودخل عليه سلمان الفارسي رضى الله تعالى عنه يعوده فقال ياأبا بكر أوصنا فقال: إن الله فاتح عليكم الدنيا فلاتأخذنّ منها إلابلاغك، واعلم أن من صلى صلاة الصبح فهو فى ذمة الله فلا تخفرنّ الله فى ذمته فيكبك فى النار على وجهك، ولما ثقل أبوبكر رضى الله تعالى عنه وأراد الناس منه أن يستخلف فاستخلف عمر رضى الله عنه فقال الناس له استخلفت علينا فظا غليظا فماذا تقول لربك فقال أقول استخلفت على خلقك خير خلقك ثم أرسل إلى عمر رضى الله عنه فجاء فقال إنى موصيك بوصية. اعلم أن لله حقا فى النهار لايقبله فى الليل وأن لله حقا فى الليل لايقبله فى النهار وأنه لايقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الحق فى الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان لايوضع فيه إلاالحق أن يثقل وإنما خفت موازين من خفت موازينهم يوم القيامة باتباع الباطل وخفته عليهم وحق لميزان لايوضع فيه إلاالباطل أن يخف وإن الله ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم وتجاوزعن سيئاتهم فيقول القائل أنا دون هؤلاء ولاأبلغ مبلغ هؤلاء فان الله ذكر أهل النار بأسوإ أعمالهم ورد عليهم صالح الذى عملوا فيقول القائل أناأفضل من هؤلاء وإن الله ذكر آية الرحمة وآية العذاب ليكون المؤمن راغبا راهبا ولايلقى بيديه إلى التهلكة ولايتمنى على الله غير الحق فان حفظت وصيتى هذه فلايكون غائب أحب إليك من الموت ولابدلك منه وإن ضيعت وصيتى فلايكون غائب أبغض إليك من الموت ولابدلك منه ولست بمعجزه، وقال سعيد بن المسيب لما احتضر أبوبكر رضى الله عنه أتاه ناس من الصحابة فقالوا ياخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم زودنا فانا نراك لما بك. فقال أبوبكر من قال هؤلاء الكلمات ثم مات جعل الله روحه فى الأفق المبين قالوا وما الأفق المبين؟ قال قاع بين يدى العرش فيه رياض الله وأنهار وأشجار يغشاه كل يوم مائة رحمة فمن قال هذا القول جعل الله روحه فى هذا المكان: اللهم إنك ابتدأت الخلق من غير حاجة بك إليهم ثم جعلتهم فريقين فريقا للنعيم وفريقا للسعير فاجعلنى للنعيم ولا تجعلنى للسعير. اللهم إنك خلقت الخلق فرقا وميزتهم قبل أن تخلقهم فجعلت منهم شقيا وسعيدا وغويا ورشيدا فلاتشقنى بمعاصيك. اللهم إنك علمت ماتكسب كل نفس قبل أن تخلقها فلامحيص لها مما علمت فاجعلنى ممن تستعمله بطاعتك. اللهم إن أحدا لايشاء حتى تشاء فاجعل مشيئتك أن أشاء مايقربنى إليك. اللهم إنك قد قدرت حركات العباد فلايتحرك شىء إلاباذنك فاجعل حركاتى فى تقواك. اللهم إنك خلقت الخير والشر وجعلت لكل واحد منهما عاملا يعمل به فاجعلنى من خير القسمين. اللهم إنك خلقت الجنة والنار وجعلت لكل واحد منهما أهلا فاجعلنى من سكان جنتك. اللهم إنك أردت بقوم الضلال وضيقت به صدورهم فاشرح صدرى للايمان وزينه فى قلبى. اللهم إنك دبرت الأمور وجعلت مصيرها إليك فأحينى بعد الموت حياة طيبة وقربنى إليك زلفى. اللهم من أصبح وأمسى ثقته ورجاؤه غيرك فأنت ثقتى ورجائى ولاحول ولاقوة إلابالله قال أبوبكر هذا كله فى كتاب الله عز وجل.

لهم ولغيرهم فأما لهم فلأنهم به يرجعون إلى مصالح النفوس وأما لغيرهم فلأنه لولا مواضع الاستتار لم ينتفع بهم لاستغراقهم فى جمع الجمع وبروزهم لله الواحد القهار. قال بعضهم علامة تجلى الحق للأسرار هو أن لايشهد السر مايتسلط عليه التعبير ويحويه الفهم فمن عبر أوفهم فهو صاحب استدلال لاناظر اجلال. وقال بعضهم التجلى رفع حجبة البشرية لا أن يتلون ذات الحق عز وجل والاستتار أن تكون البشرية حائلة بينك وبين شهود الغيب.
(ومنها التجريد والتفريد)

(وفاة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه)

قال عمرو بن ميمون كنت قائما غداة أصيب عمر مابينى وبينه إلاعبدالله بن عباس وكان إذامر بين الصفين قام بينهما فاذا رأى خللا قال استووا حتى إذا لم ير فيهم خللا تقدم فكبر قال وربماقرأ سورة يوسف أوالنحل أونحو ذلك فى الركعة الأولى حتى يجتمع الناس فماهو إلاأن كبرفسمعته يقول قتلنى أوأكلنى الكلب حين طعنه أبولؤلؤة وطار العلج بسكين ذات طرفين لايمر على أحد يمينا أوشمالا إلاطعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا فمات منهم تسعة وفى رواية سبعة فلمارأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسا فلما ظن العلج أنه مأخوذ نحر نفسه ، وتناول عمر رضى الله عنه عبد الرحمن بن عوف فقدمه فأما من كان يلى عمر فقد رأى مارأيت وأمانواحى المسجد مايدرون ماالأمرغيرأنهم فقدوا صوت عمر وهم يقولون سبحان الله سبحان الله فصلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة فلما انصرفوا قال ياابن العباس انظر من قتلنى قال فغاب ساعة ثم جاء فقال غلام المغيرة بن شعبة فقال عمر رضى الله عنه قاتله الله لقد كنت أمرت به معروفا ، ثم قال الحمد لله الذى لم يجعل منيتى بيد رجل مسلم قد كنت أنت وأبوك تحبان أن يكثر العلوج بالمدينة وكان العباس أكثرهم رقيقا فقال ابن عباس إن شئت فعلت : أى إن شئت قتلناهم قال بعد ماتكلموا بلسانكم وصلوا إلى قبلتكم وحجوا حجكم فاحتمل إلى بيته فانطلقنا معه قال وكأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ قال فقائل يقول أخاف عليه وقائل يقول لابأس فأتى بنبيذ فشرب منه فخرج من جوفه ثم أتى بلبن فشرب منه فخرج من جوفه فعرفوا أنه ميت قال فدخلنا عليه وجاء الناس يثنون عليه وجاء رجل شاب فقال أبشر ياأمير المؤمنين ببشرى من الله عز وجل قد كان لك صحبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم فى الاسلام ماقد علمت ثم وليت فعدلت ثم شهادة فقال وددت أن ذلك كان كفافا لاعلى ولالى فلما أدبر الرجل إذا إزاره يمس الأرض فقال ردوا على الغلام فقال ياابن أخى ارفع ثوبك فانه أنقى لثوبك وأتقى لربك ثم قال ياعبد الله انظر ماعلى من الدين فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفا أونحوه فقال إن وفى به مال آل عمر فأده من أموالهم وإلافسل فى بنى عدى بن كعب فان لم تف أموالهم فسل فى قريش ولاتعدهم إلى غيرهم وأد عنى هذا المال انطلق إلى أم المؤمنين عائشة فقل عمر يقرأ عليك السلام ولاتقل أمير المؤمنين فانى لست اليوم للمؤمنين أميرا وقل يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه فذهب عبد الله فسلم واستأذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكى فقال يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه فقالت كنت أريده لنفسى ولأوثرنه اليوم على نفسى فلما أقبل قيل هذا عبدالله بن عمر قد جاء فقال ارفعونى فأسنده رجل إليه فقال مالديك قال الذى تحب ياأمير المؤمنين قد أذنت قال الحمدلله ماكان شىء أهم إلى من ذلك فاذا أناقبضت فاحملونى ثم سلم وقل يستأذن عمر فان أذنت لى فأدخلونى وإن ردتنى ردونى إلى مقابر المسلمين وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء يسترنها فلما رأيناها قمنا فولجت عليه فبكت عنده ساعة واستأذن الرجال فولجت داخلا فسمعنا بكاءها من داخل فقالوا أوص ياأمير المؤمنين واستخلف فقال ماأرى أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فسمى عليا وعثمان والزبير وطلحة وسعدا وعبدالرحمن وقال يشهدكم عبدالله بن عمر وليس له من الأمر شىء كهيئة التعزية له فان أصابت الامارة سعدا فذاك وإلافليستعن به أيكم أمر فانى لم أعزله من عجز ولاخيانة وقال أوصى الخليفة من بعدى بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم فضلهم ويحفظ لهم حرمتهم وأوصيه بالأنصار خيرا الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم أن يقبل من محسنهم وأن يعفو عن مسيئهم وأوصيه بأهل الأمصار خيرا فانهم ردء الاسلام

الاشارة منهم فى التجريد والتفريد أن العبد يتجرد عن الأغراض فيما يفعله لايأتى بما يأتى به نظرا إلى الأغراض فى الدنيا والآخرة بل ما كوشف به من حق العظمة يؤديه حسب جهده عبودية وانقيادا والتفريد أن لايرى نفسه فيما يأتى به بل يرى منة الله عليه فالتجريد بنفى الأغيار والتفريد بنفى نفسه واستغراقه فى رؤية نعمة الله عليه وغيبته عن كسبه (ومنها الوجد والتواجد والوجود) فالوجد مايرد على الباطن من الله يكسبه فرحا أوحزنا ويغيره عن هيئته

وجباة

وجباة الأموال وغيظ العدو وأن لا يأخذ منهم إلا فضلهم عن رضا منهم وأوصيه بالأعراب خيرا فانهم أصل العرب ومادة الاسلام وأن يأخذ من حواشى أموالهم ويرد على فقرائهم وأوصيه بذمة الله عز وجل وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوفى لهم بعهدهم وأن يقاتل لهم من ورائهم ولا يكلفهم إلا طاقتهم قال فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشى فسلم عبد الله بن عمر وقال يستأذن عمر بن الخطاب فقالت أدخلوه فأدخلوه فى موضع هنالك مع صاحبيه الحديث وعن النبى صلى الله عليه وسلم قال « قال لى جبريل عليه السلام ليبك الاسلام على موت عمر (١) » وعن ابن عباس قال «وضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع وأنا فيهم فلم يرعنى إلا رجل قد أخذ بمنكبى فالتفت فاذا هو على بن أبى طالب رضى الله عنه فترحم على عمر وقال ماخلفت أحدا أحب إلى أن ألقى الله بمثل عمله منك وايم الله إن كنت لأظن ليجعلنك الله مع صاحبيك وذلك أنى كنت كثيرا أسمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول « ذهبت أنا وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر ودخلت أنا وأبو بكر وعمر (٢) » فانى كنت لأرجو أو لأظن أن يجعلك الله معهما .

(وفاة عثمان رضى الله عنه)

الحديث فى قتله مشهور وقد قال عبد الله بن سلام أتيت أخى عثمان لأسلم عليه وهو محصور فدخلت عليه فقال مرحبا يا أخى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة فى هذه الخوخة وهى خوخة فى البيت فقال ياعثمان حصروك قلت نعم قال عطشوك قلت نعم فأدلى إلى دلوا فيه ماء فشربت حتى رويت حتى إنى لأجد برده بين ثديى وبين كتفى وقال لى إن شئت نصرت عليهم وإن شئت أفطرت عندنا فاخترت أن أفطر عنده فقتل ذلك اليوم رضى الله عنه . وقال عبد الله بن سلام لمن حضر : تشحط عثمان فى الموت حين جرح ماذا قال عثمان وهو يتشحط ؟ قالوا سمعناه يقول : اللهم اجمع أمة محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثا قال والذى نفسى بيده لو دعا الله أن لايجتمعوا أبدا ما اجتمعوا إلى يوم القيامة وعن ثمامة بن حزن القشيرى قال شهدت الدار حين أشرف عليهم عثمان رضى الله عنه فقال ائتونى بصاحبيكم اللذين ألباكم على قال فجىء بهما كأنما هما جملان أو حماران فأشرف عليهم عثمان رضى الله عنه فقال أنشدكم بالله والاسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال من يشترى رومة يجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها فى الجنة فاشتريتها من صلب مالى فأنتم اليوم تمنعونى أن أشرب منها ومن ماء البحر ؟ قالوا اللهم نعم قال أنشدكم الله والاسلام هل تعلمون أنى جهزت جيش العسرة من مالى ؟ قالوا نعم قال أنشدكم الله والاسلام هل تعلمون أن المسجد كان قد ضاق بأهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشترى بقعة آل فلان فيزيدها فى المسجد بخير منها فى الجنة فاشتريتها من صلب مالى فأنتم اليوم تمنعونى أن أصلى فيها ركعتين ؟ قالوا اللهم نعم قال أنشدكم الله والاسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على ثبير بمكة ومعه أبو بكر وعمر وأنا فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض قال فركضه برجله وقال اسكن ثبير فما عليك إلا نبى وصديق وشهيدان ؟ قالوا اللهم نعم قال الله أكبر شهدوا لى ورب الكعبة أنى شهيد (٣) . وروى عن شيخ من ضبة أن عثمان حين

وبتطلع إلى الله تعالى وهو فرحة يجدها المغلوب عليه بصفات نفسه ينظر منها إلى الله تعالى والتواجد استجلاب الوجد بالذكر والتفكر والوجود اتساع فرجة الوجد بالخروج إلى فضاء الوجدان فلا وجد مع الوجدان ولا خبر مع العيان فالوجد بعرضية الزوال والوجود ثابت ثبوت الجبال وقد قيل :

قد كان يطربنى وجدى فأقعدنى
عن رؤية الوجد من فى الوجد موجود
والوجد يطرب من فى الوجد راحته
والوجد عند حضور الحق مفقود

(١) حديث قال لى جبريل عليه السلام ليبك الاسلام على موت عمر أبو بكر الآجرى فى كتاب الشريعة من حديث أبى بن كعب بسند ضعيف جدا وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات (٢) حديث ابن عباس قال وضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون فذكر قول على بن أبى طالب كنت كثيرا أسمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول ذهبت أنا وأبو بكر وعمر الحديث متفق عليه (٣) حديث ثمامة ابن حزن القشيرى شهدت الدار حين أشرف عليهم عثمان الحديث الترمذى وقال حسن والنسائى.

ضرب والدماء تسيل على لحيته جعل يقول لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين اللهم إنى أستعديك عليهم وأستعينك على جميع أمورى وأسألك الصبر على ماابتليتنى .

(وفاة على كرم الله وجهه)

قال الأصبغ الحنظلى لما كانت الليلة التى أصيب فيها على كرم الله وجهه أتاه ابن التياح حين طلع الفجر يؤذنه بالصلاة وهو مضطجع متثاقل فعاد الثانية وهو كذلك ثم عاد الثالثة فقام على يمشى وهو يقول:

اشدد حيازمك للموت فان الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت إذا حل بواديكا

فلما بلغ الباب الصغير شد عليه ابن ملجم فضربه فخرجت أم كلثوم ابنة على رضى الله عنه فجعلت تقول مالى ولصلاة الغداة قتل زوجى أمير المؤمنين صلاة الغداة وقتل أبى صلاة الغداة وعن شيخ من قريش أن عليا كرم الله وجهه لما ضربه ابن ملجم قال فزت ورب الكعبة وعن محمد بن على أنه لما ضرب أوصى بنيه ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا الله حتى قبض ولما ثقل الحسن بن على رضى الله عنهما دخل عليه الحسين رضى الله عنه فقال ياأخى لأى شىء تجزع تقدم على رسول الله ﷺ وعلى على بن أبى طالب وهما أبواك وعلى خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وهما أماك وعلى حمزة وجعفر وهما عماك فقال ياأخى أقدم على أمر لم أقدم على مثله وعن محمد بن الحسن رضى الله عنهما قال لما نزل القوم بالحسين رضى الله عنه وأيقن أنهم قاتلوه قام فى أصحابه خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال قد نزل من الأمر ماترون وإن الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها وانشمرت حتى لم يبق منها إلا كصبابة الإناء ألا خسيس من عيش كالمرعى الوبيل ألا ترون الحق لا يعمل به والباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن فى لقاء الله تعالى وإنى لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا اجراما.

(الباب الخامس فى كلام المحتضرين من الخلفاء والأمراء والصالحين)

لما حضرت معاوية بن أبى سفيان الوفاة قال أقعدونى فأقعد فجعل يسبح الله تعالى ويذكره ثم بكى وقال تذكر ربك يامعاوية بعد الهرم والانحطاط ألا كان هذا وغصن الشباب نضر ريان وبكى حتى علا بكاؤه وقال يارب ارحم الشيخ العاصى ذا القلب القاسى اللهم أقل العثرة واغفر الزلة وعد بحلمك على من لم يرج غيرك ولم يثق بأحد سواك . وروى عن شيخ من قريش أنه دخل مع جماعة عليه فى مرضه فرأوا فى جلده غضونا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فهل الدنيا أجمع إلا ما جربنا ورأينا أما والله لقد استقبلنا زهرتها بجدتنا وباستلذاذنا بعيشنا فما لبثتنا الدنيا أن نقضت ذلك منا حالا بعد حال وعروة بعد عروة فأصبحت الدنيا وقد وترتنا وأخلقتنا واستلأمت إلينا أف للدنيا من دار ثم أف لها من دار . وروى أن آخر خطبة خطبها معاوية أن قال : أيها الناس إن من زرع قد استحصد وإنى قد وليتكم ولن يليكم أحد من بعدى إلا وهو شر منى كما كان من قبلى خيرا منى ويايزيد إذا وفى أجلى فول غسلى رجلا لبيبا فان اللبيب من الله بمكان فلينعم الغسل وليجهر بالتكبير ثم اعمد إلى منديل فى الخزانة فيه ثوب من ثياب النبى صلى الله عليه وسلم وقراضة من شعره وأظفاره فاستودع القراضة أنفى وفمى وأذنى وعينى واجعل الثوب على جلدى دون أكفانى ويايزيد احفظ وصية الله فى الوالدين فاذا أدرجتمونى فى جديدى ووضعتمونى فى حفرتى فخلوا معاوية وأرحم الراحمين . وقال محمد بن عقبة لما نزل بمعاوية الموت قال ياليتنى كنت رجلا من قريش بذى طوى وإنى لم أل من هذا الأمر شيئا . ولما حضرت عبد الملك بن مروان الوفاة نظر إلى غسال بجانب دمشق يلوى ثوبا بيده ثم يضرب به المغسلة فقال عبد الملك ليتنى كنت غسالا آكل من كسب يدى يوما بيوم

(ومنها الغلبة) الغلبة وجد متلاحق فالوجد كالبرق يبدو والغلبة كتلاحق البرق وتواتره يغيب عن التمييز فالوجد ينطفىء سريعا والغلبة تبقى للأسرار حرزا منيعا. (ومنها المسامرة) وهى تفرد الأرواح بخفى مناجاتهما ولطيف مناغاتها فى سر السر بلطيف إدراكها القلب لتفرد الروح بها فتلتذ بها دون القلب (ومنها السكر والصحو) فالسكر استيلاء سلطان الحال والصحو العود إلى ترتيب الأفعال وتهذيب الأقوال قال محمد بن خفيف

ولم

ولم أك من أمر الدنيا شيئا فبلغ ذلك أباحازم فقال الحمد لله الذى جعلهم إذا حضرهم الموت يتمنون ما نحن فيه وإذا حضرنا للموت لم نتمن ماهم فيه . وقيل لعبدالملك بن مروان فى مرضه الذى مات فيه كيف تجدك ياأمير المؤمنين ؟ قال أجدنى كما قال الله تعالى ـ ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ماخولناكم وراء ظهوركم ـ الآية ، ومات . وقالت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان امرأة عمر بن عبدالعزيز كنت أسمع عمر فى مرضه الذى مات فيه يقول : اللهم أخف عليهم موتى ولو ساعة من نهار فلما كان اليوم الذى قبض فيه خرجت من عنده فجلست فى بيت آخر بينى وبينه باب وهو فى قبة له فسمعته يقول ـ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ـ ثم هدأ فجعلت لاأسمع له حركة ولا كلاما فقلت لوصيف له انظر أنائم هو فلما دخل صاح فوثبت فاذا هو ميت وقيل له لما حضره الموت اعهد ياأمير المؤمنين قال أحذركم مثل مصرعى هذا فانه لابد لكم منه وروى أنه لما ثقل عمر بن عبدالعزيز دعى له طبيب فلما نظر إليه قال أرى الرجل قد سقى السم ولا آمن عليه الموت فرفع عمر بصره وقال ولا تأمن الموت أيضا على من لم يسق السم قال الطبيب هل أحسست بذلك ياأمير المؤمنين قال نعم قد عرفت ذلك حين وقع فى بطنى قال فتعالج ياأمير المؤمنين فانى أخاف أن تذهب نفسك قال ربى خير مذهوب إليه والله لوعلمت أن شفائى عند شحمة أذنى مارفعت يدى إلى أذنى فتناولته اللهم خر لعمر فى لقائك فلم يلبث إلاأياما حتى مات وقيل لما حضرته الوفاة بكى فقيل له مايبكيك ياأمير المؤمنين أبشر فقد أحيا الله بك سننا وأظهر بك عدلا فبكى ثم قال أليس أوقف فأسئل عن أمر هذا الخلق فوالله لوعدلت فيهم لخفت على نفسى أن لاتقوم بحجتها بين يدى الله إلا أن يلقنها الله حجتها فكيف بكثير مما ضيعنا وفاضت عيناه فلم يلبث إلايسيرا حتى مات ولما قرب وقت موته قال أجلسونى فأجلسوه فقال : أنا الذى أمرتنى فقصرت ونهيتنى فعصيت ثلاث مرات ولكن لاإله إلاالله ثم رفع رأسه فأحد النظر فقيل له فى ذلك فقال إنى لأرى خضرة ماهم بإنس ولاجن ثم قبض رحمه الله . وحكى عن هرون الرشيد أنه انتقى أكفانه بيده عند الموت وكان ينظر إليها ويقول ماأغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه وفرش المأمون رمادا واضطجع عليه وكان يقول يامن لايزول ملكه ارحم من قد زال ملكه وكان المعتصم يقول عند موته لو علمت أن عمرى هكذا قصير مافعلت وكان المنتصر يضطرب على نفسه عند موته فقيل له لابأس عليك ياأمير المؤمنين فقال ليس إلاهذا لقد ذهبت الدنيا وأقبلت الآخرة . وقال عمرو بن العاص عند الوفاة وقد نظر إلى صناديق لبنيه من يأخذها بما فيها ليته كان بعرا . وقال الحجاج عند موته اللهم اغفرلى فان الناس يقولون إنك لاتغفر لى فكان عمر بن عبدالعزيز تعجبه هذه الكلمة منه ويغبطه عليها ولما حكى ذلك للحسن قال أقالها ؟ قيل نعم قال عسى .

(بيان أقاويل جماعة من خصوص الصالحين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم)

(من أهل التصوف رضى الله عنهم أجمعين)

لما حضرت معاذا رضى الله عنه الوفاة قال اللهم إنى قد كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك اللهم إنك تعلم أنى لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجرى الأنهار ولا لغرس الأشجار ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر ولما اشتد به النزع ونزع نزعا لم ينزعه أحد كان كلما أفاق من غمرة فتح طرفه ثم قال رب ماأخنقنى خنقك فوعزتك إنك تعلم أن قلبى يحبك ولما حضرت سلمان الوفاة بكى فقيل له مايبكيك قال ماأبكى جزعا على الدنيا ولكن عهد إلينا رسول الله

السكر غليان القلب عند معارضات ذكر المحبوب وقال الواسطى مقامات الوجد أربعة الذهول ثم الحيرة ثم السكر ثم الصحو كمن سمع بالبحر ثم دنا منه ثم دخل فيه ثم أخذته الأمواج فعلى هذا من بقى عليه أثر من سريان الحال فيه فعليه أثر من السكر ومن عاد كل شىء منه إلى مستقره فهو صاح فالسكر لأرباب القلوب والصحو للمكاشفين بحقائق الغيوب . (ومنها المحو والإثبات) المحو بإزالة أوصاف النفوس والاثبات بما أدير عليهم من آثار الحب كؤوس أو المحو

صلى الله عليه وسلم أن تكون بلغة أحدنا من الدنيا كزادالراكب (١)» فلما مات سلمان نظر في جميع ماترك فإذا قيمته بضعة عشر درهما ولما حضر بلالا الوفاة قالت امرأته واحزناه فقال بل واطرباه غدا نلقى الأحبة محمدا وحزبه وقيل فتح عبدالله بن المبارك عينه عند الوفاة وضحك وقال لمثل هذا فليعمل العاملون ــ ولما حضر إبراهيم النخعى الوفاة بكى فقيل له مايبكيك قال أنتظر من الله رسولا يبشرنى بالجنة أوبالنار ولما حضر ابن المنكدر الوفاة بكى فقيل له مايبكيك فقال والله ماأبكى لذنب أعلم أنى أتيته ولكن أخاف أنى أتيت شيئا حسبته هينا وهو عند الله عظيم ولما حضر عامر بن عبد القيس الوفاة بكى فقيل له مايبكيك قال ماأبكى جزعا من الموت ولاحرصا على الدنيا ولكن أبكى على مايفوتنى من ظمأ الهواجر وعلى قيام الليل فى الشتاء. ولما حضرت فضيلا الوفاة غشى عليه ثم فتح عينيه وقال وابعد سفراه واقلة زاداه ولما حضرت ابن المبارك الوفاة قال لنصر مولاه اجعل رأسى على التراب فبكى نصر فقال له مايبكيك قال ذكرت ما كنت فيه من النعيم وأنت هو ذا تموت فقيرا غريبا قال اسكت فإنى سألت الله تعالى أن يحيينى حياة الأغنياء وأن يميتنى موت الفقراء ثم قال له لقنى ولاتعد على مالم أتكلم بكلام ثان. وقال عطاء بن يسار تبدى إبليس لرجل عند الموت فقال له نجوت فقال ما آمنك بعد وبكى بعضهم عند الموت فقيل له مايبكيك قال آية فى كتاب الله تعالى قوله عز وجل ــ إنما يتقبل الله من المتقين ــ ودخل الحسن رضى الله عنه على رجل يجود بنفسه فقال إن أمرا هذا أوله لجدير أن يتقى آخره وإن أمرا هذا آخره لجدير أن يزهد فى أوله. وقال الجريرى كنت عند الجنيد فى حال نزعه وكان يوم الجمعة ويوم النيروز وهو يقرأ القرآن فختم فقلت له فى هذه الحالة ياأبا القاسم فقال ومن أولى بذلك منى وهو ذا تطوى صحيفتى. وقال رويم حضرت وفاة أبى سعيد الخراز وهو يقول:

حنين قلوب العارفين إلى الذكر ... وتذكارهم وقت المناجاة للسر
أديرت كؤوس المنايا عليهم ... فأغفوا عن الدنيا كإغفاء ذى الشكر
همومهمو جوالة بمعسكر ... به أهل ود الله كالأنجم الزهر
فأجسامهم فى الأرض قتلى بحبه ... وأرواحهم فى الحجب نحو العلا تسرى
فما عرّسوا إلا بقرب حبيبهم ... وماعرّجوا من مس بؤس ولاضر

وقيل للجنيد إن أباسعيد الخراز كان كثير التواجد عند الموت فقال لم يكن بعجب أن تطير روحه اشتياقا وقيل لذى النون عندموته ماتشتهى قال أن أعرفه قبل موتى بلحظة وقيل لبعضهم وهو فى النزع قل الله فقال إلى متى تقولون الله وأنا محترق بالله. وقال بعضهم كنت عند ممشاد الدينورى فقدم فقير وقال السلام عليكم هل هنا موضع نظيف يمكن الانسان أن يموت فيه قال فأشاروا إليه بمكان وكان ثم عين ماء فجدد الفقير الوضوء وركع ماشاء الله ومضى إلى ذلك المكان ومد رجليه ومات وكان أبو العباس الدينورى يتكلم فى مجلسه فصاحت امرأة تواجدا فقال لها موتى فقامت المرأة فلما بلغت باب الدار التفتت إليه وقالت قد مت ووقعت ميتة. ويحكى عن فاطمة أخت أبى على الروذبارى قالت لما قرب أجل أبى على الروذبارى وكان رأسه فى حجرى فتح عينيه وقال هذه أبواب السماء قد فتحت وهذه الجنان قد زينت وهذا قائل يقول ياأبا على قد بلغناك الرتبة القصوى وإن لم تردها ثم أنشأ يقول:

وحقك لانظرت إلى سواكا ... بعين مودة حتى أراكا
أراك معذبى بفتور لحظ ... وبالخد المورد من حياكا

محو رسوم الأعمال بنظر الفناء إلى نفسه ومامنه والاثبات إثباتها بما أنشأ الحق له من الوجود به فهو بالحق لابنفسه باثبات الحق إياه مستأنفا بعد أن محاه عن أوصافه. قال ابن عطاء يمحو أوصافهم ويثبت أسرارهم (ومنها علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين) فعلم اليقين ما كان من طريق النظر والاستدلال وعين اليقين ما كان من طريق الكشوف والنوال وحق اليقين ما كان بتحقيق الانفصال عن لوث الصلصال

(١) حديث لما حضرت سلمان الوفاة بكى وفيه عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون بلغة أحدنا من الدنيا كزاد الراكب أحمد والحاكم وصححه وقد تقدم.

وقيل

وقيل للجنيد قل لا إله إلا الله فقال مانسيته فأذكره وسأل جعفر بن نصير بكران الدينورى خادم الشبلى ما الذى رأيت منه فقال قال علىّ درهم مظلمة وتصدقت عن صاحبه بألوف فما على قلبى شغل أعظم منه ثم قال وضئنى للصلاة ففعلت فنسيت تخليل لحيته وقد أمسك على لسانه فقبض على يدى وأدخلها فى لحيته ثم مات فبكى جعفر وقال ماتقولون فى رجل لم يفته فى آخر عمره أدب من آداب الشريعة وقيل لبشر بن الحرث لما احتضر وكان يشق عليه كأنك تحب الحياة فقال القدوم على الله شديد وقيل لصالح بن مسمار ألا توصى بابنك وعيالك فقال إنى لأستحي من الله أن أوصى بهم إلى غيره ولما احتضر أبو سليمان الدارانى أتاه أصحابه فقالوا أبشر فانك تقدم على رب غفور رحيم فقال لهم ألا تقولون احذر فانك تقدم على رب يحاسبك بالصغير ويعاقبك بالكبير ولما احتضر أبو بكر الواسطى قيل له أوصنا فقال احفظوا مراد الحق فيكم احتضر بعضهم فبكت امرأته فقال لها ما يبكيك فقالت عليك أبكى فقال إن كنت باكية فابكى على نفسك فلقد بكيت لهذا اليوم أربعين سنة وقال الجنيد دخلت على سرى السقطى أعوده فى مرض موته فقلت كيف تجدك فأنشأ يقول :

كيف أشكو إلى طبيبى مابى والذى بى أصابنى من طبيبى

فأخذت المروحة لأروحه فقال كيف يجد ريح المروحة من جوفه يحترق ثم أنشأ يقول :

القلب محترق والدمع مستبق والكرب مجتمع والصبر مفترق
كيف القرار على من لاقرار له مما جناه الهوى والشوق والقلق
يارب إن يك شىء فيه لى فرج فامنن علىّ به مادام بى رمق

وحكى أن قوما من أصحاب الشبلى دخلوا عليه وهو فى الموت فقالوا له قل لا إله إلا الله فأنشأ يقول:

إن بيتا أنت ساكنه غير محتاج إلى السرج
وجهك المأمول حجتنا يوم يأتى الناس بالحجج
لا أتاح الله لى فرجا يوم أدعو منك بالفرج

وحكى أن أبا العباس بن عطاء دخل على الجنيد فى وقت نزعه فسلم عليه فلم يجبه ثم أجاب بعد ساعة وقال اعذرنى فانى كنت فى وردى ثم ولى وجهه إلى القبلة وكبر ومات وقيل للكتانى لما حضرته الوفاة ما كان عملك فقال لو لم يقرب أجلى ما أخبرتكم به وقفت على باب قلبى أربعين سنة فكلما مر فيه غير الله حجبته عنه وحكى عن المعتمر قال كنت فيمن حضر الحكم بن عبد الملك حين جاءه الحق فقلت اللهم هون عليه سكرات الموت فانه كان وكان فذكرت محاسنه فأفاق فقال من المتكلم؟ فقلت أنا فقال إن ملك الموت عليه السلام يقول لى إنى بكل سخى رفيق ثم طفىء ولما حضرت يوسف بن أسباط الوفاة شهده حذيفة فوجده قلقا فقال ياأبا محمد هذا أوان القلق والجزع فقال ياأباعبد الله وكيف لا أقلق ولا أجزع وإنى لا أعلم أنى صدقت الله فى شىء من عملى فقال حذيفة واعجباه لهذا الرجل الصالح يحلف عند موته أنه لا يعلم أنه صدق الله فى شىء من عمله . وعن المغازلى قال دخلت على شيخ لى من أصحاب هذه الصفة وهو عليل وهو يقول يمكنك أن تعمل ماتريد فارفق بى . ودخل بعض المشايخ على ممشاد الدينورى فى وقت وفاته فقال له فعل الله تعالى وصنع من باب الدعاء فضحك ثم قال منذ ثلاثين سنة تعرض على الجنة بما فيها لما أعرتها طرفى . وقيل لرويم عند الموت قل لا إله إلا الله فقال لا أحسن غيره ولما حضرت الثورى الوفاة قيل له قل لا إله إلا الله فقال أليس ثم أمر . ودخل المزنى على الشافعى رحمة الله عليهما فى مرضه الذى توفى فيه فقال له كيف أصبحت ياأباعبد الله فقال أصبحت من الدنيا راحلا وللاخوان مفارقا ولسوء عملى ملاقيا ولكأس المنية شاربا وعلى الله تعالى واردا ولا أدرى أروحى تصير إلى الجنة فأهنيها أم إلى النار فأعزيها ثم أنشأ يقول :

بورود رائد الوصال قال فارس : علم اليقين لا اضطراب فيه وعين اليقين هو العلم الذى أودعه الله الأسرار والعلم إذا انفرد عن نعت اليقين كان علما بشبهة فاذا انضم إليه اليقين كان علما بلا شبهة وحق اليقين هو حقيقة ما أشار إليه علم اليقين وعين اليقين . وقال الجنيد حق اليقين ما يتحقق العبد بذلك وهو أن يشاهد الغيوب كما يشاهد المرئيات مشاهدة عيان ويحكم على الغيب فيخبر عنه بالصدق كما أخبر الصديق حين قال لما

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي ... جعلت رجائي نحو عفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته ... بعفوك ربي كان عفوك أعظما
فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل ... تجود وتعفو منة وتكرما
ولولاك لم يغوى بإبليس عابد ... فكيف وقد أغوى صفيك آدما

ولما حضر أحمد بن خضرويه الوفاة سئل عن مسئلة فدمعت عيناه وقال يابنى باب كنت أدقه خمسا وتسعين سنة هوذا يفتح الساعة لى لاأدرى أيفتح بالسعادة أو الشقاوة فأنّى لى أوان الجواب فهذه أقاويلهم وإنما اختلفت بحسب اختلاف أحوالهم فغلب على بعضهم الخوف وعلى بعضهم الرجاء وعلى بعضهم الشوق والحب فتكلم كل واحد منهم على مقتضى حاله والكل صحيح بالاضافة إلى أحوالهم.

(الباب السادس فى أقاويل العارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور)

اعلم أن الجنائز عبرة للبصير وفيها تنبيه وتذكير لأهل الغفلة فانها لاتزيدهم مشاهدتها إلاقساوة لأنهم يظنون أنهم أبدا إلى جنازة غيرهم ينظرون ولا يحسبون أنهم لامحالة على الجنائز محملون أو يحسبون ذلك ولكنهم على القرب لايقدرون ولا يتفكرون أن المحمولين على الجنائز هكذا كانوا يحسبون فبطل حسبانهم وانقرض على القرب زمانهم فلا ينظر عبد إلى جنازة إلا ويقدر نفسه محمولا عليها فانه محمول عليها على القرب وكأن قد ولعله فى غد أو بعد غد. وروى عن أبى هريرة أنه كان إذا رأى جنازة قال امضوا فانا على الأثر . وكان مكحول الدمشقى إذا رأى جنازة قال اغدوا فإنا رائحون موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الأول والآخر لا عقل له . وقال أسيد بن حضير ماشهدت جنازة فحدثتنى نفسى بشىء سوى ماهو مفعول به وما هو صائر إليه ولما مات أخو مالك بن دينار خرج مالك فى جنازته يبكى ويقول والله لا تقر عينى حتى أعلم إلى ماذا صرت إليه ولاأعلم مادمت حيا وقال الأعمش كنا نشهد الجنائز فلا ندرى من نعزى لحزن الجميع وقال ثابت البنانى كنا نشهد الجنائز فلانرى إلا متقنعا باكيا فهكذا كان خوفهم من الموت والآن لانظر إلى جماعة يحضرون جنازة إلا وأكثرهم يضحكون ويلهون ولا يتكلمون إلا فى ميراثه وما خلفه لورثته ولا يتفكر أقرانه وأقاربه إلا فى الحيلة التى بها يتناول بعض ماخلفه ولا يتفكر واحد منهم إلا ما شاء الله فى جنازة نفسه وفى حاله إذا حمل عليها ولا سبب لهذه الغفلة إلا قسوة القلوب بكثرة المعاصى والذنوب حتى نسينا الله تعالى واليوم الآخر والأهوال التى بين أيدينا فصرنا نلهو ونغفل ونشتغل بما لايعنينا فنسأل الله تعالى اليقظة من هذه الغفلة فان أحسن أحوال الحاضرين على الجنائز بكاؤهم على الميت ولو عقلوا لبكوا على أنفسهم لا على الميت نظر إبراهيم الزيات إلى أناس يترحمون على الميت فقال لو ترحمون على أنفسكم لكان خيرا لكم إنه نجا من أهوال ثلاثة : وجه ملك الموت وقد رأى ، ومرارة الموت وقد ذاق ، وخوف الخاتمة وقد أمن . وقال أبو عمرو بن العلاء : جلست إلى جرير وهو يملى على كاتبه شعرا فأطلعت جنازة فأمسك وقال شيبتنى والله هذه الجنائز وأنشأ يقول :

تروعنا الجنائز مقبلات ... ونلهو حين تذهب مدبرات
كروعة ثلة لمغار ذئب ... فلما غاب عادت راتعات

فمن آداب حضور الجنائز التفكر والتنبه والاستعداد والمشى أمامها على هيئة التواضع كما ذكرنا آدابه وسننه فى فن الفقه ومن آدابه حسن الظن بالميت وإن كان فاسقا وإساءة الظن بالنفس وإن كان ظاهرها الصلاح فان الخاتمة خطرة لاتدرى حقيقتها ، ولذلك روى عن عمر بن ذر أنه مات

قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماذا أبقيت لعيالك قال الله ورسوله » وقال بعضهم : علم اليقين حال التفرقة وعين اليقين حال الجمع وحق اليقين جمع الجمع بلسان التوحيد وقيل لليقين اسم ورسم وعلم وعين وحق فالاسم والرسم للعوام وعلم اليقين للأولياء وعين اليقين لخواص الأولياء وحق اليقين للأنبياء عليهم الصلاة والسلام وحقيقة اليقين اختص بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. (ومنها الوقت) والمراد بالوقت ما هو غالب على العبد وأغلب

واحد من جيرانه وكان مسرفا على نفسه فتجافى كثير من الناس عن جنازته فحضرها هو وصلى عليها فلما دلى فى قبره وقف على قبره وقال يرحمك الله ياأبا فلان فلقد صحبت عمرك بالتوحيد وعفرت وجهك بالسجود وإن قالوا مذنب وذو خطايا فمن منا غير مذنب وغير ذى خطايا . ويحكى أن رجلا من المنهمكين فى الفساد مات فى بعض نواحى البصرة فلم تجد امرأته من يعينها على حمل جنازته إذلم يدر بها أحد من جيرانه لكثرة فسقه فاستأجرت حمالين وحملتها إلى المصلى فماصلى عليه أحد فحملتها إلى الصحراء للدفن فكان على جبل قريب من الموضع زاهد من الزهاد الكبار فرأته كالمنتظر للجنازة ثم قصد أن يصلى عليها فانتشر الخبر فى البلد بأن الزاهد نزل ليصلى على فلان فخرج أهل البلد فصلى الزاهد وصلوا عليه وتعجب الناس من صلاة الزاهد عليه فقال قيل لى فى المنام انزل إلى موضع فلان ترى فيه جنازة ليس معها أحد إلا امرأة فصلّ عليه فانه مغفور له فزاد تعجب الناس فاستدعى الزاهد امرأته وسألها عن حاله وأنه كيف كانت سيرته قالت كما عرف كان طول نهاره فى الماخور مشغولا بشرب الخمر فقال انظرى هل تعرفين منه شيئا من أعمال الخير قالت نعم ثلاثة أشياء : كان كل يوم يفيق من سكره وقت الصبح يبدل ثيابه ويتوضأ ويصلى الصبح فى جماعة ثم يعود إلى الماخور ويشتغل بالفسق ، والثانى أنه كان أبدا لايخلو بيته من يتيم أو يتيمين وكان إحسانه إليهم أكثر من إحسانه إلى أولاده وكان شديد التفقد لهم ، والثالث أنه كان يفيق فى أثناء سكره فى ظلام الليل فيبكى ويقول يارب أى زاوية من زوايا جهنم تريد أن تملأها بهذا الخبيث يعنى نفسه فانصرف الزاهد وقد ارتفع إشكاله من أمره . وعن صلة بن أشيم وقد دفن أخ له فقال على قبره :

فان تنج منها تنج من ذى عظيمة ... وإلا فإنى لاإخالك ناجيا

(بيان حال القبر وأقاويلهم عند القبور)

قال الضحاك قال رجل «يارسول الله من أزهد الناس قال من لم ينس القبر والبلى وترك فضل زينة الدنيا وآثر مايبقى على مايفنى ولم يعدّ غدا من أيامه وعدّ نفسه من أهل القبور (١)» . وقيل لعلى كرّم الله وجهه ماشأنك جاورت المقبرة قال إنى أجدهم خير جيران إنى أجدهم جيران صدق يكفون الألسنة ويذكرون الآخرة وقال رسول الله ﷺ «مارأيت منظرا إلا والقبر أفظع منه (٢)» وقال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه «خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقابر فجلس إلى قبر وكنت أدنى القوم منه فبكى وبكيت وبكوا فقال مايبكيكم قلنا بكينا لبكائك قال هذا قبر أمى آمنة بنت وهب استأذنت ربى فى زيارتها فأذن لى فاستأذنته أن أستغفر لها فأبى علىّ فأدركنى مايدرك الولد من الرقة (٣)»

ماعلى العبد وقته فانه كالسيف يمضى الوقت بحكمه ويقطع وقد يراد بالوقت مايهجم على العبد لابكسبه فيتصرّف فيه فيكون بحكمه يقال فلان بحكم الوقت يعنى مأخوذا عما منه بما للحق.
(ومنها الغيبة والشهود) فالشهود هو الحضور وقتا بنعت المراقبة ووقتا بوصف المشاهدة فادام العبد موصوفا بالشهود والرعاية فهو حاضر فاذا فقد حال المشاهدة والمراقبة خرج من دائرة الحضور فهو غائب وقد يعنون بالغيبة

---

(١) حديث الضحاك : قال رجل يارسول الله من أزهد الناس؟ قال من لم ينس القبور والبلى الحديث تقدم (٢) حديث : مارأيت منظرا إلا والقبر أفظع منه تقدم فى الباب الثالث من آداب الصحبة (٣) حديث عمر : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقابر فجلس على قبر وكنت أدنى القوم الحديث وفيه هذا قبر آمنة بنت وهب استأذنت ربى فى زيارتها فأذن لى الحديث وتقدم فى آداب الصحبة أيضا ورواه ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور من حديث ابن مسعود وفيه ذكر لعمر بن الخطاب وآخره عند ابن ماجه مختصرا وفيه أيوب بن هانئ ضعفه ابن معين وقال أبو حاتم صالح .

وكان عثمان بن عفان رضى الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته فسئل عن ذلك وقيل له تذكر الجنة والنار فلاتبكى وتبكى إذا وقفت على قبر فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إن القبر أوّل منازل الآخرة فان نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد (١)» وقيل إن عمرو بن العاص نظر إلى المقبرة فنزل وصلى ركعتين فقيل له هذا شيء لم تكن تصنعه فقال ذكرت أهل القبور وماحيل بينهم وبينه فأحببت أن أتقرب إلى الله بهما وقال مجاهد أوّل مايكلم ابن آدم حفرته فتقول أنا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة هذا ما أعددت لك فما أعددت لى . وقال أبوذر ألا أخبركم بيوم فقرى يوم أوضع فى قبرى وكان أبو الدرداء يقعد إلى القبور فقيل له فى ذلك فقال أجلس إلى قوم يذكرونى معادى وإذا قمت لم يغتابونى وكان جعفر ابن محمد يأتى القبور ليلا ويقول ياأهل القبور مالى إذا دعوتكم لاتجيبونى ثم يقول حيل والله بينهم وبين جوابى وكأنى بى أكون مثلهم ثم يستقبل الصلاة إلى طلوع الفجر . وقال عمر بن عبد العزيز لبعض جلسائه يافلان لقد أرقت الليلة أتفكر فى القبر وساكنه إنك لو رأيت الميت بعد ثلاثة فى قبره لاستوحشت من قربه بعد طول الأنس منك به ولرأيت بيتا تجول فيه الهوام ويجرى فيه الصديد وتخترقه الديدان مع تغير الريح وبلى الأكفان بعد حسن الهيئة وطيب الريح ونقاء الثوب قال ثم شهق شهقة خر مغشيا عليه وكان يزيد الرقاشى يقول أيها المقبور فى حفرته والتخلى فى القبر بوحدته المستأنس فى بطن الأرض بأعماله ليت شعرى بأى أعمالك استبشرت وبأى اخوانك اغتبطت ثم يبكى حتى يبل عمامته ثم يقول استبشر والله بأعماله الصالحة واغتبط والله باخوانه المتعاونين على طاعة الله تعالى وكان إذا نظر إلى القبور خار كما يخور الثور وقال حاتم الأصم من مرّ بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم وكان بكر العابد يقول ياأماه ليتك كنت بى عقيما إن لابنك فى القبر حبسا طويلا ومن بعد ذلك منه رحيلا وقال يحيى بن معاذ ياابن آدم دعاك ربك إلى دار السلام فانظر من أين تجيبه إن أجبته من دنياك واشتغلت بالرحلة إليه دخلتها وإن أجبته من قبرك منعتها وكان الحسن بن صالح إذا أشرف على المقابر يقول ماأحسن ظواهرك إنما الدواهى فى بواطنك وكان عطاء السلمى إذا جن عليه الليل خرج إلى المقبرة ثم يقول ياأهل القبور متم فواموتاه وعاينتم أعمالكم فواعملاه ثم يقول غدا عطاء فى القبور غدا عطاء فى القبور فلايزال ذلك دأبه حتى يصبح وقال سفيان من أكثر من ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار وكان الربيع بن خيثم قد حفر فى داره قبرا فكان إذا وجد فى قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع ومكث ماشاء الله ثم يقول ـ رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت ـ يرددها ثم يرد على نفسه ياربيع قد رجعتك فاعمل وقال أحمد بن حرب تتعجب الأرض من رجل يمهد مضجعه ويسوى فراشه للنوم فتقول ياابن آدم لم لاتذكر طول بلاك ومابينى وبينك شىء وقال ميمون بن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى المقبرة فلما نظر إلى القبور بكى ثم أقبل علىّ فقال ياميمون هذه قبور آبائى بنى أمية كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا فى لذاتهم وعيشهم أماتراهم صرعى قد حلت بهم المثلات واستحكم فيهم البلى وأصابت الهوام مقيلا فى أبدانهم ثم بكى وقال والله ماأعلم أحدا أنعم ممن صار إلى هذه القبور وقد أمن من عذاب الله وقال ثابت البنانى دخلت المقابر فلما قصدت الخروج منها فاذا بصوت قائل يقول ياثابت لايغرنك صموت أهلها فكم

(١) حديث عثمان كان إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته وفيه إن القبر أول منازل الآخرة الترمذى وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه وتقدم فى آداب الصحبة .

الغيبة عن الأشياء بالحق فيكون على هذا المعنى حاصل ذلك راجعا إلى مقام الفناء (ومنها الذوق والشرب والرى) فالذوق إيمان والشرب علم والرى حال فالذوق لأرباب البواده والشرب لأرباب الطوالع واللوائح واللوامع والرى لأرباب الأحوال وذلك أن الأحوال هى التى تستقر لها لم يستقر فليس بحال وإنما هى لوامع وطوالع وقيل الحال لاتستقر لأنها تحول فاذا استقرت تكون مقاما (ومنها المحاضرة والمكاشفة والمشاهدة) فالمحاضرة لأرباب التلوين والمشاهدة

من

من نفس مغمومة فيها ، ويروى أن فاطمة بنت الحسين نظرت إلى جنازة زوجها الحسن بن الحسن فغطت وجهها وقالت :

وكانوا رجاء ثم أمسوا رزية لقد عظمت تلك الرزايا وجلت

وقيل إنها ضربت على قبره فسطاطا واعتكفت عليه سنة فلما مضت السنة قلعوا الفسطاط ودخلت المدينة فسمعوا صوتا من جانب البقيع هل وجدوا مافقدوا فسمعوا من الجانب الآخر بل يئسوا فانقلبوا . وقال أبو موسى التميمى : توفيت امرأة الفرزدق فخرج فى جنازتها وجوه البصرة وفيهم الحسن فقال له الحسن يا أبافراس ماذا أعددت لهذا اليوم فقال شهادة أن لا إله إلا الله منذ ستين سنة فلما دفنت أقام الفرزدق على قبرها فقال :

أخاف وراء القبر إن لم تعافنى أشد من القبر التهابا وأضيقا
إذا جاءنى يوم القيامة قائد عنيف وسواق يسوق الفرزدقا
لقد خاب من أولاد آدم من مشى إلى النار مغلول القلادة أزرقا

وقد أنشدوا فى أهل القبور :

قف بالقبور وقل على ساحاتها من منكم المغمور فى ظلماتها
ومن المكرم منكم فى قعرها قد ذاق برد الأمن من روعاتها
أما السكون لذى العيون فواحد لايستبين الفضل فى درجاتها
لو جاوبوك لأخبروك بألسن تصف الحقائق بعد من حالاتها
أما المطيع فنازل فى روضة يفضى إلى ماشاء من دوحاتها
والمجرم الطاغى بها متقلب فى حفرة يأوى إلى حياتها
وعقارب تسعى إليه فروحه فى شدة التعذيب من لدغاتها

ومر داود الطائى على امرأة تبكى على قبر وهى تقول :

عدمت الحياة ولا نلتها إذا كنت فى القبر قد ألحدوكا
فكيف أذوق لطعم الكرى وأنت بيمناك قد وسدوكا

ثم قالت يا ابناه بأى خديك بدأ الدود فصعق داود مكانه وخر مغشيا عليه . وقال مالك بن دينار مررت بالمقبرة فأنشأت أقول :

أتيت القبور فناديتها فأين المعظم والمحتقر
وأين المدل بسلطانه وأين الزكى إذا ما افتخر

قال فنوديت من بينها أسمع صوتا ولا أرى شخصا وهو يقول :

تفانوا جميعا فما مخبر وماتوا جميعا ومات الخبر
تروح وتغدو بنات الثرى فتمحو محاسن تلك الصور
فياسائلى عن أناس مضوا أما لك فيما ترى معتبر

قال فرجعت وأنا باك .

أبيات وجدت مكتوبة على القبور

وجد مكتوبا على قبر :

تناجيك أجداث وهن صموت وسكانها تحت التراب خفوت
أيا جامع الدنيا لغير بلاغه لمن تجمع الدنيا وأنت تموت

لأرباب التمكين والمكاشفة بينهما إلى أن تستقر فالمشاهدة والمحاضرة لأهل العلم والمكاشفة لأهل العين والمشاهدة لأهل الحق أى حق اليقين (ومنها الطوارق والبوادى والباده والواقع والقادح والطوالع واللوامع واللوائح) وهذه كلها ألفاظ متقاربة المعنى ويمكن بسط القول فيها ويكون حاصل ذلك راجعا إلى معنى واحد يكثر بالعبارة فلافائدة فيه والمقصود أن هذه الأسماء كلها مبادى الحال ومقدماته وإذا صح الحال استوعب

ووجد على قبر آخر مكتوبا :

أيا غانم أما ذراك فواسع وقبرك معمور الجوانب محكم
وما ينفع القبور عمران قبره إذا كان فيه جسمه يتهدم

وقال ابن السماك مررت على المقابر فاذا على قبر مكتوب :

يمر أقاربى جنبات قبرى كأن أقاربى لم يعرفونى
ذوو الميراث يقتسمون مالى وما يألون أن جحدوا ديونى
وقد أخذوا سهامهم وعاشوا فياالله أسرع ما نسونى

ووجد على قبر مكتوبا :

إن الحبيب من الأحباب مختلس لايمنع الموت بوّاب ولا حرس
فكيف تفرح بالدنيا ولذّتها يامن يعد عليه اللفظ والنفس
أصبحت ياغافلا فى النقص منغمسا وأنت دهرك فى اللذّات منغمس
لايرحم الموت ذا جهل لغرته ولا الذى كان منه العلم يقتبس
كم أخرس الموت فى قبر وقفت به عن الجواب لسانا مابه خرس
قد كان قصرك معمورا له شرف فقبرك اليوم فى الأجداث مندرس

ووجد على قبر آخر مكتوبا :

وقفت على الأحبة حين صفت قبورهم كأفراس الرهان
فلما أن بكيت وفاض دمعى رأت عيناى بينهم مكانى

ووجد على قبر طبيب مكتوبا :

قد قلت لما قال لى قائل صار لقمان إلى رمسه
فأين ما يوصف من طبه وحذقه فى الماء مع جسه
هيهات لايدفع عن غيره من كان لايدفع عن نفسه

ووجد على قبر آخر مكتوبا :

يا أيها الناس كان لى أمل قصر بى عن بلوغه الأجل
فليتق الله ربه رجل أمكنه فى حياته العمل
ما أنا وحدى نقلت حيث ترى كلّ إلى مثله سينتقل

فهذه أبيات كتبت على قبور لتقصير سكانها عن الاعتبار قبل الموت والبصير هو الذى ينظر إلى قبر غيره فيرى مكانه بين أظهرهم فيستعد للحوق بهم ويعلم أنهم لايبرحون من مكانهم ما لم يلحق بهم وليتحقق أنه لو عرض عليهم يوم من أيام عمره الذى هو مضيع له لكان ذلك أحب إليهم من الدنيا بحذافيرها لأنهم عرفوا قدر الأعمار وانكشفت لهم حقائق الأمور فانما حسرتهم على يوم من العمر ليتدارك المقصر به تقصيره فيتخلص من العقاب وليستزيد الموفق به رتبته فيتضاعف له الثواب فانهم إنما عرفوا قدر العمر بعد انقطاعه فحسرتهم على ساعة من الحياة وأنت قادر على تلك الساعة واملك تقدر على أمثالها ثم أنت مضيع لها فوطن نفسك على التحسر على تضييعها عند خروج الأمر من الاختيار إذ لم تأخذ نصيبك من ساعتك على سبيل الابتدار فقد قال بعض الصالحين رأيت أخا لى فى الله فيما يرى النائم فقلت يافلان عشت الحمد لله رب العالمين قال لأن أقدر على أن أقولها يعنى الحمد لله رب العالمين أحب إلى من الدنيا وما فيها ثم قال ألم تر حيث كانوا يدفنونى فإن فلانا

هذه الأسماء كلها ومعانيها .

(ومنها التلوين والتمكين) فالتلوين لأرباب القلوب لأنهم تحت حجب القلوب وللقلوب تخلص إلى الصفات وللصفات تعدد بتعدد جهاتها فظهر لأرباب القلوب بحسب تعدد الصفات تلوينات ولا تجاوز للقلوب وأربابها عن عالم الصفات وأما أرباب التمكين خرجوا عن مشائم الأحوال وخرقوا حجب القلوب وباشرت أرواحهم سطوع نور الذات فارتفع التلوين لعدم

قد قام فصلى ركعتين لأن أكون أقدر على ان أصليهما أحب إلىّ من الدنيا ومافيها .

(بيان أقاويلهم عند موت الولد)

حق على من مات ولده أوقريب من أقاربه أن ينزله في تقدمه عليه في الموت منزلة مالوكانا في سفر فسبقه الولد إلى البلد الذى هو مستقره ووطنه فانه لايعظم عليه تأسفه لعلمه أنه لاحق به على القرب وليس بينهما إلا تقدم وتأخر وهكذا الموت فان معناه السبق إلى الوطن إلى أن يلحق المتأخر وإذا اعتقد هذا قل جزعه وحزنه لاسيما وقد ورد في موت الولد من الثواب مايعزى به كل مصاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لأن أقدم سقطا أحب إلىّ من أن أخلف مائة فارس كلهم يقاتل في سبيل الله [1]» وإنما ذكر السقط تنبيها بالأدنى على الأعلى وإلا فالثواب على قدر محل الولد من القلب وقال زيد بن أسلم توفى ابن لداود عليه السلام فحزن عليه حزنا شديدا فقيل له ما كان عدله عندك قال ملء الأرض ذهبا قيل له فان لك من الأجر في الآخرة مثل ذلك وقال رسول الله ﷺ «لايموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتسبهم إلا كانوا له جنة من النار فقالت امرأة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أواثنان قال أواثنان [2]» وليخلص الوالد الدعاء لولده عند الموت فانه أرجى دعاء وأقربه إلى الاجابة . وقف محمد بن سليمان على قبر ولده فقال اللهم إنى أصبحت أرجوك له وأخافك عليه فحقق رجائى وآمن خوفى ووقف أبو سنان على قبر ابنه فقال اللهم إنى قد غفرت له ماوجب لى عليه فاغفر له ماوجب لك عليه فانك أجود وأكرم ، ووقف أعرابى على قبر ابنه فقال اللهم إنى قد وهبت له ماقصر فيه من برى فهب له ماقصر فيه من طاعتك . ولما مات ذر بن عمر بن ذر قال أبوه عمر بن ذر بعد ماوضعه في لحده فقال ياذر لقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك فليت شعرى ماذا قلت وماذا قيل لك ثم قال اللهم إن هذا ذر متعتنى به ماامتعتنى ووفيته أجله ورزقه ولم تظلمه اللهم وقد كنت ألزمته طاعتك وطاعتى اللهم وماوعدتنى عليه من الأجر في مصيبتى فقد وهبت له ذلك فهب لى عذابه ولاتعذبه فأبكى الناس ثم قال عند انصرافه ماعلينا بعدك من خصاصة ياذر ومابنا إلى إنسان مع الله حاجة فاقد مضينا وتركناك ولو أقمنا مانفعناك . ونظر رجل إلى امرأة بالبصرة فقال مارأيت مثل هذه النضارة وماذاك إلامن قلة الحزن فقالت ياعبدالله إنى لفى حزن مايشركنى فيه أحد قال فكيف قالت إن زوجى ذبح شاة في يوم عيد الأضحى وكان لى صبيان مليحان يلعبان فقال أكبرهما للآخر أتريد أن أريك كيف ذبح أبى الشاة قال نعم فأخذه وذبحه وماشعرنا به إلا متشحطا في دمه فلما ارتفع الصراخ هرب الغلام فالجأ إلى جبل فرهقه ذئب فأكله وخرج أبوه يطلبه فمات عطشا من شدة الحر قالت فأفردنى الدهر كما ترى فأمثال هذه المصائب ينبغى أن تتذكر عند موت الأولاد ليتسلى بها عن شدة الجزع فما من مصيبة إلا ويتصور ماهو أعظم منها ومايدفعه الله في كل حال فهو الأكثر .

(بيان زيارة القبور والدعاء للميت ومايتعلق به)

زيارة القبور مستحبة على الجملة للتذكر والاعتبار وزيارة قبور الصالحين مستحبة لأجل التبرك مع الاعتبار وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن زيارة القبور ثم أذن في ذلك بعد [3] .

التغير في الذات إذ جلت ذاته عن حلول الحوادث والتغيرات فلما خلصوا إلى مواطن القرب من أنصبة تجلى الذات ارتفع عنهم التلوين فالتلوين حينئذ يكون في نفوسهم لأنها في محل القلوب لموضع طهارتها وقدسها والتلوين الواقع في النفوس لايخرج صاحبه عن حال التمكين لأن جريان التلوين في النفس لبقاء رسم الانسانية وثبوت القدم في التمكين كشف حق الحقيقة وليس المعنىّ بالتمكين أن لايكون للعبد تغير فانه بشر وإنما المعنىّ

(١) حديث لأن أقدم سقطا أحب إلى من أن أخلف مائة فارس كلهم يقاتل في سبيل الله لم أجد فيه ذكر مائة فارس وروى ابن ماجه من حديث أبى هريرة لسقط أقدمه بين يدى أحب إلى من فارس أخلفه خلفى (٢) حديث لايموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتسبهم الحديث تقدم في النكاح (٣) حديث نهيه عن زيارة القبور ثم إذنه في ذلك مسلم من حديث بريدة وقد تقدم .

روى عن على رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم الآخرة غير أن لاتقولوا هجرا (١) » وزار رسول الله ﷺ قبر أمه فى ألف مقنع فلم ير باكيا أكثر من يومئذ (٢) وفى هذا اليوم قال أذن لى فى الزيارة دون الاستغفار (٣) كما أوردنا من قبل وقال ابن أبى مليكة أقبلت عائشة رضى الله عنها يوما من المقابر فقلت يا أم المؤمنين من أين أقبلت قالت من قبر أخى عبد الرحمن فقلت أليس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنها قالت نعم ثم أمر بها (٤) ولا ينبغى أن يتمسك بهذا فيؤذن للنساء فى الخروج إلى المقابر فانهن يكثرن الهجر على رءوس المقابر فلا يفى خير زيارتهن بشرها ولا يخلون فى الطريق عن تكشف وتبرج وهذه عظائم والزيارة سنة فكيف يحتمل ذلك لأجلها ، نعم لا بأس بخروج المرأة فى ثياب بذلة ترد أعين الرجال عنها وذلك بشرط الاقتصار على الدعاء وترك الحديث على رأس القبر وقال أبو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « زر القبور تذكر بها الآخرة واغسل الموتى فان معالجة جسد خاو موعظة بليغة وصل على الجنائز لعل ذلك أن يحزنك فان الحزين فى ظل الله (٥) » وقال ابن أبى مليكة قال رسول ﷺ « زوروا موتاكم وسلموا عليهم فان لكم فيهم عبرة (٦) » وعن نافع أن ابن عمر كان لا يمر بقبر أحد إلا وقف عليه وسلم عليه وعن جعفر بن محمد عن أبيه أن فاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم كانت تزور قبر عمها حمزة فى الأيام فتصلى وتبكى عنده وقال النبى صلى الله عليه وسلم « من زار قبر أبويه أو أحدهما فى كل جمعة غفر له وكتب برا (٧) » وعن ابن سيرين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرجل ليموت والداه وهو عاق لهما فيدعو الله لهما من بعدهما فيكتبه الله من البارين (٨) » وقال النبى صلى الله عليه وسلم

---

(١) حديث على كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تذكركم الآخرة غير أن لاتقولوا هجرا رواه أحمد وأبو يعلى فى مسنده وابن أبى الدنيا فى كتاب القبور واللفظ له ولم يقل أحمد وأبو يعلى غير أن لاتقولوا هجرا وفيه على بن زيد بن جدعان عن ربيعة بن النابغة قال البخارى لم يصح وربيعة ذكره ابن حبان فى الثقات (٢) حديث زار رسول الله ﷺ قبر أمه فى ألف مقنع فلم ير باكيا أكثر من يومئذ ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور من حديث بريدة وشيخه أحمد بن عمران الأخنس متروك ورواه بنحوه من وجه آخر كنا معه قريبا من ألف راكب وفيه أنه لم يأذن له فى الاستغفار لها (٣) حديث وقال فى هذا اليوم أذن لى فى الزيارة دون الاستغفار تقدم فى الحديث قبله من حديث بريدة أنه لم يؤذن له فى الاستغفار لها ورواه مسلم من حديث أبى هريرة استأذنت ربى أن أستغفر لأمى فلم يأذن لى واستأذنت أن أزور قبرها فأذن لى (٤) حديث ابن أبى مليكة أقبلت عائشة يوما من المقابر فقلت يا أم المؤمنين من أين أقبلت قالت من قبر أخى عبد الرحمن قلت أليس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنها قالت نعم ثم أمر بها ابن أبى الدنيا فى القبور باسناد جيد (٥) حديث أبى ذر زر القبور تذكر الآخرة واغسل الموتى فان معالجة جسد خاو موعظة بليغة الحديث ابن أبى الدنيا فى القبور والحاكم باسناد جيد (٦) حديث ابن أبى مليكة زوروا موتاكم وسلموا عليهم وصلوا عليهم الحديث ابن أبى الدنيا فيه هكذا مرسلا وإسناده حسن (٧) حديث من زار قبر أبويه أو أحدهما فى كل جمعة غفر له وكتب برا الطبرانى فى الصغير والأوسط من حديث أبى هريرة وابن أبى الدنيا فى القبور من رواية محمد بن النعمان رفعه وهو معضل ومحمد بن النعمان مجهول وشيخه عند الطبرانى يحيى بن العلاء البجلى متروك (٨) حديث ابن سيرين ان الرجل ليموت والداه وهو عاق لهما فيدعو الله لهما من بعدهما فيكتبه الله من البارين ابن أبى الدنيا فيه وهو مرسل صحيح الاسناد ورواه ابن عدى من رواية يحيى بن عقبة بن أبى العيزار عن محمد بن جحادة

أن ما كوشف له من الحقيقة لا يتوارى عنه أبدا ولا يتناقص بل يزيد وصاحب التلوين قد يتناقص الشئ فى حقه عند ظهور صفات نفسه وتغيب عنه الحقيقة فى بعض الأحوال ويكون ثبوته على مستقر الإيمان وتلوينه فى زوائد الأحوال (ومنها النفس) ويقال النفس للمنتهى والوقت للمبتدى والحال للمتوسط فكأنه إشارة منهم إلى أن المبتدئ بطرقه من الله تعالى طارق لا يستقر والمتوسط صاحب حال غالب حاله عليه والمنتهى صاحب نفس

« من

«من زار قبري فقد وجبت له شفاعتي (١)» وقال صلى الله عليه وسلم «من زارني بالمدينة محتسبا كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة (٢)» وقال كعب الأحبار: مامن فجر يطلع إلا نزل سبعون ألفا من الملائكة حتى يحفوا بالقبر يضربون بأجنحتهم ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا أمسوا عرجوا وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك حتى إذا انشقت الأرض خرج في سبعين ألفا من الملائكة يوقرونه. والمستحب في زيارة القبور أن يقف مستدبر القبلة مستقبلا بوجهه الميت وأن يسلم ولا يمسح القبر ولا يمسه ولا يقبله فإن ذلك من عادة النصارى. قال نافع كان ابن عمر رأيته مائة مرة أو أكثر يجيء إلى القبر فيقول السلام على النبي السلام على أبي بكر السلام على أبي وينصرف. وعن أبي أمامة قال رأيت أنس بن مالك أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى ظننت أنه افتتح الصلاة فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرف. وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ «مامن رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم» (٣) وقال سليمان بن سحيم رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يارسول الله هؤلاء الذين يأتونك ويسلمون عليك أتفقه سلامهم قال نعم وأرد عليهم وقال أبو هريرة إذا مر الرجل بقبر الرجل يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام وعرفه وإذا مر بقبر لا يعرفه وسلم عليه رد عليه السلام وقال رجل من آل عاصم الجحدري رأيت عاصما في منامي بعد موته بسنتين فقلت أليس قد مت قال بلى فقلت أين أنت فقال أنا والله في روضة من رياض الجنة أنا ونفر من أصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها إلى أبي بكر بن عبد الله المزني فنتلاقى أخباركم قلت أجسامكم أم أرواحكم قال هيهات بليت الأجسام وإنما تتلاقى الأرواح قال قلت فهل تعلمون بزيارتنا إياكم قال نعم نعلم بها عشية الجمعة ويوم الجمعة كله ويوم السبت إلى طلوع الشمس قلت وكيف ذلك دون الأيام كلها قال لفضل يوم الجمعة وعظمه. وكان محمد بن واسع يزور يوم الجمعة فقيل له لو أخرت إلى يوم الاثنين قال بلغني أن الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده وقال الضحاك: من زار قبرا قبل طلوع الشمس يوم السبت علم الميت بزيارته قيل وكيف ذلك قال لمكان يوم الجمعة. وقال بشر بن منصور لما كان زمن الطاعون كان رجل يختلف إلى الجبانة فيشهد الصلاة على الجنائز فإذا أمسى وقف على باب المقابر فقال آنس الله وحشتكم ورحم غربتكم وتجاوز عن سيئاتكم وقبل الله حسناتكم لا يزيد على هذه الكلمات قال الرجل فأمسيت ذات ليلة فانصرفت إلى أهلي ولم آت المقابر فأدعو كما كنت أدعو فبينما أنا نائم إذا بخلق كثير قد جاءوني فقلت ما أنتم وما حاجتكم قالوا نحن أهل المقابر قلت ماجاء بكم قالوا إنك قد عودتنا منك هدية عند انصرافك إلى أهلك قلت وماهي قالوا الدعوات التي كنت تدعو لنا بها قلت فإني أعود لذلك فما تركتها بعد ذلك. وقال بشار بن غالب النجراني رأيت رابعة العدوية العابدة في منامي وكنت كثير الدعاء لها فقالت لي يابشار بن غالب هداياك تأتينا على أطباق من نور مخمرة بمناديل الحرير قلت وكيف ذاك قالت وهكذا دعاء المؤمنين الأحياء إذا دعوا للموتى فاستجيب لهم جعل ذلك الدعاء على أطباق النور وخمر بمناديل الحرير ثم أتى به الميت فقيل له هذه هدية فلان إليك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما الميت في قبره إلا كالغريق المغوث ينتظر دعوة تلحقه من أبيه

عن أنس قال ورواه الصلت بن الحجاج عن ابن جحادة عن قتادة عن أنس ويحيى بن عقبة والصلت بن الحجاج كلاهما ضعيف (١) حديث من زار قبري فقد وجبت له شفاعتي تقدم في أسرار الحج (٢) حديث من زارني بالمدينة محتسبا كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة تقدم فيه (٣) حديث عائشة مامن رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم ابن أبي الدنيا في القبور وفيه عبد الله بن سمعان ولم أقف على حاله ورواه ابن عبد البر في التمهيد من حديث ابن عباس نحوه وصححه عبد الحق الاشبيلي.

متمكن من الحال لايتناوب عليه الحال بالغيبة والحضور بل تكون للواجد مقرونة بأنفاسه مقيمة لا تتناوب عليه وهذه كلها أحوال لأربابها ولهم منها ذوق وشرب والله ينفع ببركتهم آمين

[الباب الثالث والستون في ذكر شيء من البدايات والنهايات وصحتها]

حدثنا شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب السهروردي قال أنا الشريف أبو طالب الحسين بن محمد الزيني قال أخبرتنا كريمة المروزية قالت أخبرنا أبو الهيثم محمد بن مكي

أوأخيه أوصديق له فاذا لحقته كانت أحب إليه من الدنيا ومافيها وإن هدايا الأحياء للأموات الدعاء والاستغفار (١)». وقال بعضهم مات أخ لى فرأيته فى النام فقلت ماكان حالك حيث وضعت فى قبرك قال أتانى آت بشهاب من نار فلولا أن داعيا دعالى لرأيت أنه سيضربنى به ومن هذا يستحب تلقين الميت بعد الدفن والدعاء له قال سعيد بن عبدالله الأزدى «شهدت أباأمامة الباهلى وهو فى النزع فقال ياسعيد إذا مت فاصنعوا بى كما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إذامات أحدكم فسويتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره ثم يقول يافلان ابن فلانة فانه يسمع ولايجيب ثم ليقل يافلان ابن فلانة الثانية فانه يستوى قاعدا ثم ليقل يافلان ابن فلانة الثالثة فانه يقول أرشدنا يرحمك الله ولكن لاتسمعون فيقول له اذكر ماخرجت عليه من الدنيا شهادة أن لاإله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأنك رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وبالقرآن إماما فان منكرا ونكيرا يتأخر كل واحد منهما فيقول انطلق بنا ما يقعدنا عند هذا وقد لقن حجته ويكون الله عز وجل حجيجه دونهما فقال رجل يارسول الله فان لم يعرف اسم أمه قال فلينسبه إلى حواء (٢)» ولابأس بقراءة القرآن على القبور روى عن على بن موسى الحداد قال: كنت مع أحمد بن حنبل فى جنازة ومحمد بن قدامة الجوهرى معنا فلما دفن الميت جاء رجل ضرير يقرأ عند القبر فقال له أحمد ياهذا إن القراءة عند القبر بدعة فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة لأحمد ياأباعبدالله ماتقول فى مبشر بن اسمعيل الحلبى قال ثقة قال هل كتبت عنه شيئا قال نعم قال أخبرنى مبشر بن اسمعيل عن عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج عن أبيه أنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عند رأسه فاتحة البقرة وخاتمتها وقال سمعت ابن عمر يوصى بذلك فقال له أحمد فارجع إلى الرجل فقل له يقرأ. وقال محمد ابن أحمد المروزى سمعت أحمد بن حنبل يقول إذا دخلتم المقابر فاقرءوا بفاتحة الكتاب والمعوذتين وقل هو الله أحد واجعلوا ثواب ذلك لأهل المقابر فانه يصل اليهم وقال أبو قلابة أقبلت من الشام إلى البصرة فنزلت الخندق فتطهرت وصليت ركعتين بليل ثم وضعت رأسى على قبر فنمت ثم تنبهت فاذا صاحب القبر يشتكينى يقول لقد آذيتنى منذ الليلة ثم قال إنكم لاتعلمون ونحن نعلم ولانقدر على العمل ثم قال للركعتان اللتان ركعتهما خير من الدنيا ومافيها ثم قال جزى الله عنا أهل الدنيا خيرا أقرئهم السلام فانه قد يدخل علينا من دعائهم نور أمثال الجبال فالمقصود من زيارة القبور للزائر الاعتبار بها وللمزور الانتفاع بدعائه فلاينبغى أن يغفل الزائر عن الدعاء لنفسه وللميت ولا عن الاعتبار به وإنما يحصل له الاعتبار بأن يصور فى قلبه الميت كيف تفرقت أجزاؤه وكيف يبعث من قبره وأنه على القرب سيلحق به كما روى عن مطرف بن أبى بكر الهذلى قال كانت عجوز فى عبد القيس متعبدة فكان إذا جاء الليل تحزمت ثم قامت إلى المحراب وإذا جاء النهار خرجت إلى القبور فبلغنى أنها عوتبت فى كثرة اتيانها المقابر

الكشميهنى قال أنا أبوعبدالله محمد بن يوسف الفربرى قال حدثنا أبوعبدالله محمد ابن اسمعيل بن ابراهيم البخارى قال حدثنا الحميدى قال حدثنا سفيان بن عيينة قال حدثنا يحى بن سعيد الأنصارى قال أخبرنى محمد بن ابراهيم التيمى أنه سمع علقمة بن وقاص قال سمعت عمر ابن الخطاب رضى الله عنه يقول على المنبر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ مانوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن

(١) حديث ماالميت فى قبره إلا كالفريق المغوث ينتظر دعوة تلحقه من أبيه أومن أخيه أوصديق له الحديث أبومنصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عباس وفيه الحسن بن على بن عبد الواحد قال الذهبى حدث عن هشام بن عمار بحديث باطل (٢) حديث سعيد بن عبدالله الأزدى قال شهدت أباأمامة الباهلى وهو فى النزع فقال ياسعيد إذا مت فاصنعوا بى كما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إذ مات أحدكم فسويتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره ثم يقول يافلان ابن فلانة الحديث فى تلقين الميت فى قبره الطبرانى هكذا باسناد ضعيف.

فقالت

فقالت إن القلب القاسي إذا جفا لم يلينه إلا رسوم البلى وإني لآتي القبور فكأني أنظر وقد خرجوا من بين أطباقها وكأني أنظر إلى تلك الوجوه المتعفرة وإلى تلك الأجسام المتغيرة وإلى تلك الأجفان الدسمة فيالها من نظرة لو أشربها العباد قلوبهم ماأنكل مرارتها للأنفس وأشد تلفها للأبدان بل ينبغي أن يحضر من صورة الميت ماذكره عمر بن عبد العزيز حيث دخل عليه فقيه فتعجب من تغير صورته لكثرة الجهد والعبادة فقال له يافلان لو رأيتني بعد ثلاث وقد أدخلت قبري وقد خرجت الحدقتان فسالتا على الخدين وتقلصت الشفتان عن الأسنان وخرج الصديد من الفم وانفتح الفم ونتأ البطن فعلا الصدر وخرج الصلب من الدبر وخرج الدود والصديد من المناخر لرأيت أعجب مما تراه الآن ويستحب الثناء على الميت وألا يذكر إلا بالجميل قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا مات صاحبكم فدعوه ولاتقعوا فيه (١)» وقال صلى الله عليه وسلم «لاتسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ماقدموا (٢)» وقال صلى الله عليه وسلم «لاتذكروا موتاكم إلا بخير فإنهم إن يكونوا من أهل الجنة تأثموا وإن يكونوا من أهل النار فحسبهم ماهم فيه (٣)» وقال أنس بن مالك «مرت جنازة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأثنوا عليها شرا فقال عليه السلام وجبت ومروا بأخرى فأثنوا عليها خيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت فسأله عمر عن ذلك فقال إن هذا أثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة وهذا أثنيتم عليه شرا فوجبت له النار وأنتم شهداء الله في الأرض (٤)» وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن العبد ليموت فيثني عليه القوم الثناء يعلم الله منه غيره فيقول الله تعالى لملائكته أشهدكم أني قد قبلت شهادة عبيدي على عبدي وتجاوزت عن علمي في عبدي (٥)»

(الباب السابع في حقيقة الموت ومايلقاه الميت في القبر إلى نفخة الصور)

(بيان حقيقة الموت)

اعلم أن الناس في حقيقة الموت ظنونا كاذبة قد أخطأوا فيها فظن بعضهم أن الموت هو العدم وأنه لاحشر ولانشر ولاعاقبة للخير والشر وأن موت الانسان كموت الحيوانات وجفاف النبات وهذا رأي الملحدين وكل من لايؤمن بالله واليوم الآخر وظن قوم أنه ينعدم بالموت ولايتألم بعقاب ولايتنعم بثواب مادام في القبر إلى أن يعاد في وقت الحشر وقال آخرون إن الروح باقية لاتنعدم بالموت وإنما المثاب والمعاقب هي الأرواح دون الأجساد وإن الأجساد لاتبعث ولاتحشر أصلا

(١) حديث إذا مات صاحبكم فدعوه ولاتقعوا فيه أبو داود من حديث عائشة باسناد جيد (٢) حديث لاتسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ماقدموا البخاري من حديث عائشة أيضا (٣) حديث لاتذكروا موتاكم إلا بخير الحديث ابن أبي الدنيا في الموت هكذا باسناد ضعيف من حديث عائشة وهو عند النسائي من حديث عائشة جيد مقتصرا على ماذكر منه هنا بلفظ هلكاكم وذكره بالزيادة صاحب مسند الفردوس وعلم عليه علامة النسائي والطبراني (٣) حديث أنس مرت جنازة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأثنوا عليها شرا فقال وجبت الحديث متفق عليه (٤) حديث أبي هريرة إن العبد ليموت فيثني عليه القوم الثناء يعلم الله منه غير ذلك الحديث أحمد من رواية شيخ من أهل البصرة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم يرويه عن ربه عز وجل مامن عبد مسلم يموت فيشهد له ثلاث أبيات من جيرانه الأدنين بخير إلا قال الله عزوجل قد قبلت شهادة عبادي على ماعلموا وغفرت لهماأعلم.

كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ماهاجر إليه» النية أول العمل وبحسبها يكون العمل وأهم ماللمريد في ابتداء أمره في طريق القوم أن يدخل طريق الصوفية ويتزيا بزيهم ويجالس طائفتهم لله تعالى فان دخوله في طريقهم هجرة حاله ووقته. وقد ورد «المهاجر من هجر مانهاه الله عنه» وقد قال الله تعالى ــ ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله ــ فالمريد ينبغي أن

وكل هذه ظنون فاسدة ومائلة عن الحق بل الذى تشهد له طرق الاعتبار وتنطق به الآيات والأخبار أن الموت معناه تغير حال فقط وأن الروح باقية بعد مفارقة الجسد إما معذبة وإما منعمة ، ومعنى مفارقتها للجسد انقطاع تصرّفها عن الجسد بخروج الجسد عن طاعتها فان الأعضاء آلات الروح تستعملها حتى انها لتبطش باليد وتسمع بالأذن وتبصر بالعين وتعلم حقيقة الأشياء بالقلب والقلب ههنا عبارة عن الروح والروح تعلم الأشياء بنفسها من غير آلة ولذلك قد يتألم بنفسه بأنواع الحزن والغم والكمد ويتنعم بأنواع الفرح والسرور وكل ذلك لا يتعلق بالأعضاء فكل ماهو وصف للروح بنفسها فيبقى معها بعد مفارقة الجسد وماهو لها بواسطة الأعضاء فيتعطل بموت الجسد إلى أن تعاد الروح إلى الجسد ولا يبعد أن تعاد الروح إلى الجسد فى القبر ولا يبعد أن تؤخر إلى يوم البعث والله أعلم بما حكم به على كل عبد من عباده وإنما تعطل الجسد بالموت يضاهى تعطل أعضاء الزمن بفساد مزاج يقع فيه وبشدة تقع فى الأعصاب تمنع نفوذ الروح فيها فتكون الروح العالمة العاقلة المدركة باقية مستعملة لبعض الأعضاء وقد استعصى عليها بعضها والموت عبارة عن استعصاء الأعضاء كلها وكل الأعضاء آلات والروح هى المستعملة لها وأعنى بالروح المعنى الذى يدرك من الانسان العلوم وآلام الغموم ولذات الأفراح ومهما بطل تصرّفها فى الأعضاء لم تبطل منها العلوم والإدراكات ولا بطل منها الأفراح والغموم ولا بطل منها قبولها للآلام واللذات والانسان بالحقيقة هو المعنى المدرك للعلوم وللآلام واللذات وذلك لا يموت أى لا ينعدم ومعنى الموت انقطاع تصرّفه عن البدن وخروج البدن عن أن يكون آلة له كما أن معنى الزمانة خروج اليد عن أن تكون آلة مستعملة فالموت زمانة مطلقا فى الأعضاء كلها وحقيقة الانسان نفسه وروحه وهى باقية . نعم تغير حاله من جهتين : إحداهما أنه سلب منه عينه وأذنه ولسانه ويده ورجله وجميع أعضائه وسلب منه أهله وولده وأقاربه وسائر معارفه وسلب منه خيله ودوابه وغلمانه ودوره وعقاره وسائر أملاكه ولا فرق بين أن تسلب هذه الأشياء من الانسان وبين أن يسلب الانسان من هذه الأشياء فان المؤلم هو الفراق والفراق يحصل تارة بأن ينهب مال الرجل وتارة بأن يسبي الرجل عن الملك والمال والألم واحد فى الحالتين، وإنما معنى الموت سلب الانسان عن أمواله بازعاجه إلى عالم آخر لا يناسب هذا العالم فان كان له فى الدنيا شىء يأنس به ويستريح إليه ويعتد بوجوده فيعظم تحسره عليه بعد الموت ويصعب شقاؤه فى مفارقته بل يلتفت قلبه إلى واحد واحد من ماله وجاهه وعقاره حتى إلى قميص كان يلبسه مثلا ويفرح به وإن لم يكن يفرح إلا بذكر الله ولم يأنس إلا به عظم نعيمه وتمت سعادته إذ خلى بينه وبين محبوبه وقطعت عنه العوائق والشواغل إذ جميع أسباب الدنيا شاغلة عن ذكر الله ، فهذا أحد وجهى المخالفة بين حال الموت وحال الحياة ، والثانى أنه ينكشف له بالموت مالم يكن مكشوفا له فى الحياة كما قد ينكشف للمتيقظ مالم يكن مكشوفا له فى النوم والناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وأوّل ماينكشف له مايضرّه وينفعه من حسناته وسيئاته وقد كان ذلك مسطورا فى كتاب مطوى فى سرّ قلبه وكان يشغله عن الاطلاع عليه شواغل الدنيا فاذا انقطعت الشواغل انكشف له جميع أعماله فلا ينظر إلى سيئة إلا ويتحسر عليها تحسرا يؤثر أن يخوض غمرة النار للخلاص من تلك الحسرة وعند ذلك يقال له ـ كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ـ وينكشف كل ذلك عند انقطاع النفس وقبل الدفن وتشتعل فيه نيران الفراق أعنى فراق ما كان يطمئن إليه من هذه الدنيا الفانية دون ما أراد منها لأجل الزاد والبلغة فان من طلب الزاد للبلغة فاذا بلغ المقصد فرح

يخرج إلى طريق القوم لله تعالى فانه إن وصل إلى نهايات القوم فقد لحق بالقوم بالمنزل وإن أدركه الموت قبل الوصول إلى نهايات القوم فأجره على الله وكل من كانت بدايته أحكم كانت نهايته أتم . أخبرنا أبو زرعة إجازة عن ابن خلف عن أبى عبد الرحمن عن أبى العباس البغدادى عن جعفر الخلدى قال سمعت الجنيد يقول أكثر العوائق والحوائل والموانع من فساد الابتداء فالمريد فى أول سلوك هذا الطريق يحتاج

بمفارقته بقية الزاد إذ لم يكن يريد الزاد لعينه وهذا حال من لم يأخذ من الدنيا إلا بقدر الضرورة وكان يود أن تنقطع ضرورته ليستغنى عنه فقد حصل ما كان يوده واستغنى عنه وهذه أنواع من العذاب والآلام عظيمة تهجم عليه قبل الدفن ثم عند الدفن قد ترد روحه إلى الجسد لنوع آخر من العذاب وقد يعفى عنه ويكون حال التنعم بالدنيا المطمئن إليها كحال من تنعم عند غيبة ملك من الملوك فى داره وملكه وحريمه اعتمادا على أن الملك يتساهل فى أمره أو على أن الملك ليس يدرى ما يتعاطاه من قبيح أفعاله فأخذه الملك بغتة وعرض عليه جريدة قد دونت فيها جميع فواحشه وجناياته ذرة ذرة وخطوة خطوة والملك قاهر متسلط وغيور على حرمه ومنتقم من الجناة على ملكه وغير ملتفت إلى من يتشفع إليه فى العصاة عليه فانظر إلى هذا المأخوذ كيف يكون حاله قبل نزول عذاب الملك به من الخوف والخجلة والحياء والتحسر والندم فهذا حال الميت الفاجر المغتر بالدنيا المطمئن إليها قبل نزول عذاب القبر به بل عند موته نعوذ بالله منه فان الخزى والافتضاح وهتك الستر أعظم من كل عذاب يحل بالجسد من الضرب والقطع وغيرهما فهذه إشارة إلى حال الميت عند الموت شاهدها أولو البصائر بمشاهدة باطنة أقوى من مشاهدة العين وشهد لذلك شواهد الكتاب والسنة نعم لا يمكن كشف الغطاء عن كنه حقيقة الموت إذ لا يعرف الموت من لا يعرف الحياة ومعرفة الحياة بمعرفة حقيقة الروح فى نفسها وإدراك ماهية ذاتها «ولم يؤذن لرسول الله ﷺ أن يتكلم فيها ولا أن يزيد على أن يقول الروح من أمر ربى(١)» فليس لأحد من علماء الدين أن يكشف عن سر الروح وإن اطلع عليه وإنما المأذون فيه ذكر حال الروح بعد الموت ويدل على أن الموت ليس عبارة عن انعدام الروح وانعدام إدراكها آيات وأخبار كثيرة: أما الآيات فما ورد فى الشهداء إذ قال تعالى ـ ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين ـ ولما قتل صناديد قريش يوم بدر ناداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «يا فلان يا فلان يا فلان قد وجدت ما وعدنى ربى حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا فقيل يا رسول الله أتناديهم وهم أموات فقال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده إنهم لأسمع لهذا الكلام منكم إلا أنهم لا يقدرون على الجواب(٢)» فهذا نص فى بقاء روح الشقى وبقاء إدراكها ومعرفتها والآية نص فى أرواح الشهداء ولا يخلو الميت عن سعادة أو شقاوة وقال صلى الله عليه وسلم «القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة(٣)» وهذا نص صريح على أن الموت معناه تغير حال فقط وأن ما سيكون من شقاوة الميت وسعادته يتعجل عند الموت من غير تأخر وإنما يتأخر بعض أنواع العذاب والثواب دون أصله. وروى أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال «الموت القيامة فمن مات فقد قامت قيامته(٤)» وقال صلى الله عليه وسلم «إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده غدوة وعشية إن كان من أهل الجنة فمن الجنة وإن كان من أهل النار فمن النار ويقال هذا مقعدك حتى تبعث إليه يوم القيامة وليس يخفى ما فى مشاهدة المقعدين من عذاب ونعيم فى الحال(٥)»

(١) حديث إنه لم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتكلم فى الروح متفق عليه من حديث ابن مسعود فى سؤال اليهود له عن الروح ونزول قوله تعالى ـ ويسئلونك عن الروح ـ وقد تقدم (٢) حديث ندائه من قتل من صناديد قريش يوم بدر يا فلان قد وجدت ما وعدنى ربى حقا الحديث مسلم من حديث عمر بن الخطاب (٣) حديث القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة الترمذى من حديث أبى سعيد وتقدم فى الرجاء والخوف (٤) حديث أنس الموت القيامة من مات فقد قامت قيامته ابن أبى الدنيا فى الموت باسناد ضعيف وقد تقدم (٥) حديث إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشى الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر.

إلى إحكام النية وإحكام النيـــة تنزيهها من دواعى الهـوى وكل ما كان للنفس فيه حظ عاجـــل حتى يكون خروجه خالصا لله تعالى. وكتب سالم بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز اعلم يا عمر أن عون الله للعبد بقدر النية فمن تمت نيته تم عون الله ومن قصرت عنه نيته قصر عنـه عون الله بقـدر ذلك. وكتب بعض الصالحين إلى أخيه أخلص النية فى أعمالك يكفك قليل من العمل ومن لم يهتد إلى النية بنفسه يصحب من يعلمه حسن النية. قال سهل بن عبد الله التسترى أول ما يؤمر به

وعن أبي قيس قال كنا مع علقمة في جنازة فقال أما هذا فقد قامت قيامته . وقال علي كرم الله وجهه حرام على نفس أن تخرج من الدنيا حتى تعلم من أهل الجنة هي أم من أهل النار . وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من مات غريبا مات شهيدا ووقي فتانات القبر وغدي وريح عليه برزقه من الجنة [1] » وقال مسروق ماغبطت أحدا ماغبطت مؤمنا في اللحد قد استراح من نصب الدنيا وأمن عذاب الله تعالى . وقال يعلى بن الوليد كنت أمشي يوما مع أبي الدرداء فقلت له ماتحب لمن تحب قال الموت قلت فان لم يمت قال يقل ماله وولده وإنما أحب الموت لأنه لا يحبه إلا المؤمن والموت إطلاق المؤمن من السجن وإنما أحب قلة المال والولد لأنه فتنة وسبب للأنس بالدنيا والأنس بمن لابد من فراقه غاية الشقاء فكل ماسوى الله وذكره والانس به فلابد من فراقه عند الموت لامحالة ولهذا قال عبد الله بن عمرو : إنما مثل المؤمن حين تخرج نفسه أو روحه مثل رجل بات في سجن فأخرج منه فهو يتفسح في الأرض ويتقلب فيها وهذا الذي ذكره حال من تجافى عن الدنيا وتبرم بها ولم يكن له أنس إلا بذكر الله تعالى وكانت شواغل الدنيا تحبسه عن محبوبه ومقاساة الشهوات تؤذيه فكان في الموت خلاصه من جميع المؤذيات وانفراده بمحبوبه الذي كان به أنسه من غير عائق ولا دافع وما أجدر ذلك بأن يكون منتهى النعيم واللذات وأكمل اللذات للشهداء الذين قتلوا في سبيل الله لأنهم ما أقدموا على القتال إلا قاطعين التفاتهم عن علائق الدنيا مشتاقين إلى لقاء الله راضين بالقتل في طلب مرضاته فان نظر إلى الدنيا فقد باعها طوعا بالآخرة والبائع لايلتفت قلبه إلى المبيع وإن نظر إلى الآخرة فقد اشتراها وتشوق إليها فما أعظم فرحه بما اشتراه إذا رآه وما أقل التفاته إلى ما باعه إذا فارقه وتجرد القلب لحب الله تعالى قد يتفق في بعض الأحوال ولكن لايدركه الموت عليه فيتغير والقتال سبب للموت فكان سببا لإدراك الموت على مثل هذه الحالة فلهذا عظم النعيم إذ معنى النعيم أن ينال الانسان ما يريده قال الله تعالى ـ ولهم ما يشتهون ـ فكان هذا أجمع عبارة لمعاني لذات الجنة وأعظم العذاب أن يمنع الانسان عن مراده كما قال الله تعالى ـ وحيل بينهم وبين مايشتهون ـ فكان هذا أجمع عبارة لعقوبات أهل جهنم وهذا النعيم يدركه الشهيد كما انقطع نفسه من غير تأخير وهذا أمر انكشف لأرباب القلوب بنور اليقين وإن أردت عليه شهادة من جهة السمع فجميع أحاديث الشهداء تدل عليه وكل حديث يشتمل على التعبير عن منتهى نعيمهم بعبارة أخرى فقد روى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر « ألا أبشرك ياجابر وكان قد استشهد أبوه يوم أحد فقال بلى بشرك الله بالخير فقال إن الله عز وجل قد أحيا أباك وأقعده بين يديه وقال تمن على عبدي ماشئت أعطيكه فقال يارب ماعبدتك حق عبادتك أتمنى عليك أن تردني إلى الدنيا فأقاتل مع نبيك فأقتل فيك مرة أخرى قال له إنه قد سبق مني أنك إليها لاترجع [2] » وقال كعب يوجد رجل في الجنة يبكي فيقال له لم تبكي وأنت في الجنة قال أبكي لأني لم أقتل في الله إلا قتلة واحدة فكنت أشتهي أن أرد فأقتل فيه قتلات . واعلم أن المؤمن ينكشف له عقيب الموت من سعة جلال الله ماتكون الدنيا بالاضافة إليه كالسجن والضيق ويكون مثاله كالمحبوس في بيت مظلم فتح له باب

المريد المبتدىء التبرى من الحركات المذمومة ثم النقل إلى الحركات المحمودة ثم التفرد لأمر الله تعالى ثم التوقف في الرشاد ثم الثبات ثم البيان ثم القرب ثم المناجاة ثم المصافاة ثم الموالاة ويكون الرضا والتسليم مراده والتفويض والتوكل حاله ثم يمن الله تعالى بعد هذه بالمعرفة فيكون مقامه عند الله مقام المتبرئين من الحول والقوة وهذا مقام حملة العرش وليس بعده مقام هذا من كلام سهل جمع فيه ما في البداية والنهاية ومتى تمسك المريد بالصدق

(١) حديث أبي هريرة من مات غريبا مات شهيدا ووقي فتاني القبر ابن ماجه بسند ضعيف وقال فتنة القبر وقال ابن أبي الدنيا فتان (٢) حديث عائشة ألا أبشرك ياجابر الحديث وفيه إن الله أحيا أباك فأقعده بين يديه الحديث ابن أبي الدنيا في الموت باسناد فيه ضعف وللترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث جابر ألا أبشرك بما لقي الله به أباك قال بلى يارسول الله الحديث وفيه فقال ياعبدي تمن على أعطك قال يارب تحييني فأقتل فيك ثانية قال الرب سبحانه إنه سبق مني أنهم لايرجعون.

إلى بستان واسع الأكناف لايبلغ طرفه أقصاه فيه أنواع الأشجار والأزهار والثمار والطيور فلا يشتهى العود إلى السجن المظلم وقد ضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا فقال لرجل مات «أصبح هذا مرتحلا عن الدنيا وتركها لأهلها فإن كان قد رضى فلا يسره أن يرجع إلى الدنيا كما لا يسر أحدكم أن يرجع إلى بطن أمه (١)» فعرفك بهذا أن نسبة سعة الآخرة إلى الدنيا كنسبة سعة الدنيا إلى ظلمة الرحم وقال صلى الله عليه وسلم «إن مثل المؤمن فى الدنيا كمثل الجنين فى بطن أمه إذا خرج من بطنها بكى على مخرجه حتى إذا رأى الضوء ووضع لم يحب أن يرجع إلى مكانه (٢)» وكذلك المؤمن يجزع من الموت فإذا أفضى إلى ربه لم يحب أن يرجع إلى الدنيا كما لا يحب الجنين أن يرجع إلى بطن أمه وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم «إن فلانا قد مات فقال مستريح أو مستراح منه (٣)» أشار بالمستريح إلى المؤمن وبالمستراح منه إلى الفاجر إذ يستريح أهل الدنيا منه وقال أبو عمر صاحب السقيا مر بنا ابن عمر ونحن صبيان فنظر إلى قبر فإذا جمجمة بادية فأمر رجلا فواراها ثم قال إن هذه الأبدان ليس يضرها هذا الثرى شيئا وإنما الأرواح التى تعاقب وتثاب إلى يوم القيامة، وعن عمرو بن دينار قال مامن ميت يموت إلا وهو يعلم مايكون فى أهله بعده وإنهم ليغسلونه ويكفنونه وإنه لينظر إليهم وقال مالك بن أنس بلغنى أن أرواح المؤمنين مرسلة تذهب حيث شاءت وقال النعمان بن بشير «سمعت رسول الله ﷺ على المنبر يقول ألا إنه لم يبق من الدنيا إلا مثل الذباب يمور فى جوها فالله الله فى إخوانكم من أهل القبور فإن أعمالكم تعرض عليهم (٤)» وقال أبو هريرة قال النبى صلى الله عليه وسلم «لا تفضحوا موتاكم بسيئات أعمالكم فإنها تعرض على أوليائكم من أهل القبور (٥)» ولذلك قال أبو الدرداء اللهم إنى أعوذ بك أن أعمل عملا أخزى به عند عبد الله بن رواحة وكان قد مات وهو خاله وسئل عبد الله بن عمرو بن العاص عن أرواح المؤمنين إذا ماتوا أين هى؟ قال فى حواصل طير بيض فى ظل العرش وأرواح الكافرين فى الأرض السابعة. وقال أبو سعيد الخدرى سمعت رسول الله

---

(١) حديث قال لرجل مات أصبح هذا قد خلا من الدنيا وتركها لأهلها فإن كان قد رضى فلا يسره أن يرجع إلى الدنيا كما لا يسر أحدكم أن يرجع إلى بطن أمه ابن أبى الدنيا من حديث عمرو بن دينار مرسلا ورجاله ثقات (٢) حديث إن مثل المؤمن فى الدنيا كمثل الجنين فى بطن أمه إذا خرج من بطنها بكى على مخرجه حتى إذا رأى الضوء ووضع لم يحب أن يرجع إلى مكانه ابن أبى الدنيا فيه من رواية بقية عن جابر بن غانم السلفى عن سليم بن عامر الجنائزى مرسلا هكذا (٣) حديث قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن فلانا قد مات فقال مستريح أو مستراح منه متفق عليه من حديث أبى قتادة بلفظ مر عليه بجنازة فقال ذلك وهو عند ابن أبى الدنيا فى الموت باللفظ الذى أورده المصنف (٤) حديث النعمان بن بشير ألا إنه لم يبق من الدنيا إلا مثل الذباب يمور فى جوها فالله الله فى إخوانكم من أهل القبور فإن أعمالكم تعرض عليهم ابن أبى الدنيا أبو بكر بن لال من رواية مالك بن أدى عن النعمان من قوله الله الله ورواه بكماله الأزدى فى الضعفاء وقال لا يصح إسناده وذكره ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل بكماله فى ترجمة أبى إسميل السكونى رواية عن مالك بن أدى ونقل عن أبيه أن كلا منهما مجهول قال الأزدى لا يصح إسناده وذكر ابن حبان فى الثقات مالك بن أدى (٥) حديث أبى هريرة لا تفضحوا موتاكم بسيآت أعمالكم فإنها تعرض على أوليائكم من أهل القبور ابن أبى الدنيا والمحاملى بإسناد ضعيف ولأحمد من رواية من سمع إنسانا عن أنس أن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات الحديث.

والاخلاص بلغ مبلغ الرجال ولا يحقق صدقه وإخلاصه شىء مثل متابعة أمر الشرع وقطع النظر عن الخلق فكل الآفات التى دخلت على أهل البدايات لموضع نظرهم إلى الخلق وبلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «لا يكمل إيمان المرء حتى يكون الناس عنده كالأباعر ثم يرجع إلى نفسه فيراها أصغر صاغر» إشارة إلى قطع النظر عن الخلق والخروج منهم وترك التقيد بعاداتهم. قال أحمد بن خضرويه: من أحب أن يكون الله تعالى معه على كل حال فليلزم

صلى الله عليه وسلم يقول «إن الميت يعرف من يغسله ومن يحمله ومن يدليه فى قبره[(١)]». وقال صالح المرى بلغنى أن الأرواح تتلاقى عند الموت فتقول أرواح الموتى للروح التى تخرج إليهم كيف كان مأواك وفى أى الجسدين كنت فى طيب أوخبيث . وقال عبيد بن عمير أهل القبور يترقبون الأخبار فاذا أتاهم الميت قالوا مافعل فلان ؟ فيقول ألم يأتكم أوماقدم عليكم فيقولون إنا لله وإنا إليه راجعون سلك به غير سبيلنا . وعن جعفر بن سعيد قال إذا مات الرجل استقبله ولده كما يستقبل الغائب. وقال مجاهد: إن الرجل ليبشر بصلاح ولده فى قبره وروى أبو أيوب الأنصارى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال «إن نفس المؤمن إذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عندالله كما يتلقى البشير فى الدنيا يقولون أنظروا أخاكم حتى يستريح فانه كان فى كرب شديد فيسألونه ماذا فعل فلان وماذا فعلت فلانة وهل تزوجت فلانة فاذا سألوه عن رجل مات قبله وقال مات قبلى قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ذهب به إلى أمه الهاوية[(٢)]» .

(بيان كلام القبر للميت)

وكلام الموتى إما بلسان المقال أو بلسان الحال التى هى أفصح فى تفهيم الموتى من لسان المقال فى تفهيم الأحياء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يقول القبر للميت حين يوضع فيه ويحك يا ابن آدم ماغرك بى ألم تعلم أنى بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت الدود ماغرك بى إذ كنت تمر بى فذاذا فان كان مصلحا أجاب عنه مجيب القبر فيقول أرأيت إن كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيقول القبر إنى إذا أتحول عليه خضرا ويعود جسده نورا وتصعد روحه إلى الله تعالى[(٣)]» والفذاذ هو الذى يقدم رجلا ويؤخر أخرى هكذا فسره الراوى . وقال عبيد بن عمير الليثى ليس من ميت يموت إلا نادته حفرته التى يدفن فيها أنا بيت الظلمة والوحدة والانفراد فان كنت فى حياتك لله مطيعا كنت عليك اليوم رحمة وإن كنت عاصيا فأنا اليوم عليك نقمة أنا الذى من دخلنى مطيعا خرج مسرورا ومن دخلنى عاصيا خرج مثبورا . وقال محمد بن صبيح بلغنا أن الرجل إذا وضع فى قبره فعذب أو أصابه بعض مايكره ناداه جيرانه من الموتى أيها المتخلف فى الدنيا بعد إخوانه وجيرانه أما كان لك فينا معتبر أما كان لك فى متقدمنا إياك فكرة أما رأيت انقطاع أعمالنا عنا وأنت فى المهلة فهلا استدركت مافات إخوانك وتناديه بقاع الأرض أيها المغتر بظاهر الدنيا هلا اعتبرت بمن غيب من أهلك فى بطن الأرض ممن غرته الدنيا قبلك ثم سبق به أجله إلى القبور وأنت تراه محمولا تهاداه أحبته إلى المنزل الذى لابد له منه. وقال يزيد الرقاشى بلغنى أن الميت إذا وضع فى قبره احتوشته أعماله ثم أنطقها الله ؟ فقالت أيها العبد المنفرد فى حفرته انقطع عنك الأخلاء والأهلون فلا أنيس لك اليوم عندنا. وقال كعب: إذا وضع العبد الصالح فى القبر احتوشته أعماله الصالحة الصلاة والصيام والحج والجهاد والصدقة قال فتجىء ملائكة العذاب من قبل رجليه فتقول الصلاة إليكم عنه فلا سبيل لكم عليه فقد أطال بى القيام لله

---

(١) حديث أبى سعيد الخدرى إن الميت يعرف من يغسله ومن يحمله ومن يدليه فى قبره رواه أحمد من رواية رجل عنه اسمه معاوية أو ابن معاوية نسيه عبد الملك بن حسن (٢) حديث أبى أيوب إن نفس المؤمن إذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عندالله كما يتلقى البشير يقولون أنظروا أخاكم حتى يستريح ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت والطبرانى فى مسند الشاميين باسناد ضعيف ورواه ابن المبارك فى الزهد موقوفا على أبى أيوب باسناد جيد ورفعه ابن صاعد فى زوائده على الزهد وفيه سلام الطويل ضعيف وهو عند النسائى وابن حبان نحوه من حديث أبى هريرة باسناد جيد (٣) حديث يقول القبر للميت حين يوضع فيه ويحك يا ابن آدم ماغرك بى ألم تعلم أنى بيت الفتنة الحديث ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور والطبرانى فى مسند الشاميين وأبو أحمد الحاكم فى الكنى من حديث أبى الحجاج الثمالى باسناد ضعيف.

الصدق فان الله تعالى مع الصادقين وقد ورد فى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « الصدق يهدى إلى البر» ولابد للمريد من الخروج من المال والجاه والخروج عن الخلق بقطع النظر عنهم إلى أن يحكم أساسه فيعلم دقائق الهوى وخفايا شهوات النفس وأنفع شىء للمريد معرفة النفس ولايقوم بواجب حق معرفة النفس من له فى الدنيا حاجة من طلب الفضول والزيادات أوعليه من الهوى بقية . قال زيد بن أسلم: خصلتان هما كمال أمرك تصبح

عليهما فيأتونه من قبل رأسه فيقول الصيام : لاسبيل لكم عليه فقد أطال ظمأه لله في دار الدنيا فلا سبيل لكم عليه فيأتونه من قبل جسده فيقول الحج والجهاد : إليكم عنه فقد أنصب نفسه وأتعب بدنه وحج وجاهد لله فلا سبيل لكم عليه قال فيأتونه من قبل يديه فتقول الصدقة كفوا عن صاحبي فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وقعت في يد الله تعالى ابتغاء وجهه فلاسبيل لكم عليه قال فيقال له هنيئا طبت حيا وطبت ميتا قال وتأتيه ملائكة الرحمة فتفرش له فراشا من الجنة ودثارا من الجنة ويفسح له في قبره مد بصره ويؤتى بقنديل من الجنة فيستضيء بنوره إلى يوم يبعثه الله من قبره . وقال عبد الله بن عبيد بن عمير في جنازة بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الميت يقعد وهو يسمع خطو مشيعيه فلا يكلمه شيء إلا قبره يقول ويحك ابن آدم أليس قد حذرتني وحذرت ضيق ونتني وهولي ودودي فماذا أعددت لي [(١)] » .

(بيان عذاب القبر وسؤال منكر ونكير)

قال البراء بن عازب : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبره منكسا رأسه ثم قال « اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ثلاثا ثم قال إن المؤمن إذا كان في قبل من الآخرة بعث الله ملائكة كأن وجوههم الشمس معهم حنوطه وكفنه فيجلسون مد بصره فاذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء وفتحت أبواب السماء فليس منها باب إلا يحب أن يدخل بروحه منه فاذا صعد بروحه قيل أي رب عبدك فلان فيقول ارجعوه فأروه ما أعددت له من الكرامة فاني وعدته ـ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ـ الآية وإنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين حتى يقال ياهذا من ربك وما دينك ومن نبيك ؟ فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد ﷺ قال فينتهرانه انتهارا شديدا وهي آخر فتنة تعرض على الميت فاذا قال ذلك نادى مناد أن قد صدقت وهي معنى قوله تعالى ـ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ـ الآية ثم يأتيه آت حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول أبشر برحمة ربك وجنات فيها نعيم مقيم فيقول وأنت فبشرك الله بخير من أنت ؟ فيقول أنا عملك الصالح والله ماعلمت إن كنت لسريعا إلى طاعة الله بطيئا عن معصية الله فجزاك الله خيرا قال ثم ينادى مناد أن افرشوا له من فرش الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة فيفرش له من فرش الجنة ويفتح له باب إلى الجنة فيقول اللهم عجل قيام الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي . قال وأما الكافر فانه إذا كان في قبل من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزلت إليه ملائكة غلاظ شداد معهم ثياب من نار وسرابيل من قطران فيحتوشونه فاذا خرجت نفسه لعنه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء وغلقت أبواب السماء فليس منها باب إلا يكره أن يدخل بروحه منه فاذا صعد بروحه نبذ وقيل أي رب عبدك فلان لم تقبله سماء ولا أرض فيقول الله عز وجل ارجعوه فأروه ما أعددت له من الشر إني وعدته ـ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ـ الآية وإنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين حتى يقال له ياهذا من ربك ومن نبيك وما دينك فيقول لا أدري فيقال لادريت ثم يأتيه آت قبيح الوجه منتن الريح قبيح الثياب فيقول أبشر بسخط من الله وبعذاب أليم مقيم فيقول بشرك الله بشر من أنت فيقول أنا عملك الخبيث والله إن كنت لسريعا في معصية الله بطيئا عن طاعة الله فجزاك الله شرا

لأنهم لله بمعصية ونسي ولا تهم لله بمعصية فاذا أحكم الزهد والتقوى انكشفت له النفس وخرجت من حجبها وعلم طريق حركتها وخفي شهواتها ودسائسها وتلبيساتها ومن تمسك بالصدق فقد تمسك بالعروة الوثقى . قال ذوالنون لله تعالى في أرضه سيف ماوضع على شيء إلا قطع وهو الصدق ونقل في معنى الصدق أن عابدا من بني إسرائيل راودته ملكة عن نفسه ، فقال اجعلوا لي ماء في الخلاء أتنظف به ثم صعد على موضع في القصر فرمى بنفسه

(١) حديث عبد الله بن عبيد بن عمير بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الميت يقعد وهو يسمع خطو مشيعيه فلا يكلمه إلا قبره يقول ويحك يا ابن آدم الحديث ابن أبي الدنيا في القبور هكذا مرسلا ورجاله ثقات ورواه ابن المبارك في الزهد إلا أنه قال بلغني ولم يرفعه .

فيقول وأنت فجزاك الله شرا ثم يقيض له أصم أعمى أبكم معه مرزبة من حديد لو اجتمع عليها الثقلان على أن يقلوها لم يستطيعوا لو ضرب بها جبل صار ترابا فيضربه بها ضربة فيصير ترابا ثم تعود فيه الروح فيضربه بها بين عينيه ضربة يسمعها من على الأرضين ليس الثقلين قال ثم ينادى مناد أن افرشوا له لوحين من نار وافتحوا له بابا إلى النار فيفرش له لوحان من نار ويفتح له باب إلى النار (١) » وقال محمد بن على مامن ميت يموت إلا مثل له عند الموت أعماله الحسنة وأعماله السيئة قال فيشخص إلى حسناته ويطرق عن سيئاته . وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن المؤمن إذا احتضر أتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر الريحان فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين ويقال : أيتها النفس المطمئنة اخرجي راضية ومرضيا عنك إلى روح الله وكرامته فإذا أخرجت روحه وضعت على ذلك المسك والريحان وطويت عليها الحريرة وبعث بها إلى عليين وإن الكافر إذا احتضر أتته الملائكة بمسح فيه جمرة فتنزع روحه انتزاعا شديدا ويقال: أيتها النفس الخبيثة اخرجي ساخطة ومسخوطا عليك إلى هوان الله وعذابه فإذا أخرجت روحه وضعت على تلك الجمرة وإن لها نشيشا ويطوى عليها المسح ويذهب بها إلى سجين (٢) » وعن محمد بن كعب القرظى أنه كان يقرأ قوله تعالى ـ حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت ـ قال أى شىء تريد فى أى شىء ترغب أتريد أن ترجع لتجمع المال وتغرس الغراس وتبنى البنيان وتشقق الأنهار قال لا لعلى أعمل صالحا فيما تركت قال فيقول الجبار ـ كلا إنها كلمة هو قائلها ـ أى ليقولها عند الموت . وقال أبو هريرة قال النبى صلى الله عليه وسلم « المؤمن فى قبره فى روضة خضراء ويرحب له فى قبره سبعون ذراعا ويضىء حتى يكون كالقمر ليلة البدر هل تدرون فيماذا أنزلت ـ فإن له معيشة ضنكا ـ قالوا الله ورسوله أعلم قال عذاب الكافر فى قبره يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا هل تدرون ما التنين ؟ تسعة وتسعون حية لكل حية سبعة رءوس يخدشونه ويلحسونه وينفخون فى جسمه إلى يوم يبعثون » ولا ينبغى أن يتعجب من هذا العدد على الخصوص فإن أعداد هذه الحيات والعقارب بعدد الأخلاق المذمومة من الكبر والرياء والحسد والغل والحقد وسائر الصفات فإن لها أصولا معدودة ثم تتشعب منها فروع معدودة ثم تنقسم فروعها إلى أقسام وتلك الصفات بأعيانها هى المهلكات وهى بأعيانها تنقلب عقارب وحيات فالقوى منها يلدغ لدغ التنين والضعيف يلدغ لدغ العقرب وما بينهما يؤذى إيذاء الحية وأرباب القلوب والبصائر يشاهدون بنور البصيرة هذه المهلكات وانشعاب فروعها إلا أن مقدار عددها لا يوقف عليه إلا بنور النبوة (٣) فأمثال هذه الأخبار لها ظواهر صحيحة وأسرار خفية ولكنها عند أرباب البصائر واضحة فمن لم تنكشف له حقائقها فلا ينبغى أن ينكر ظواهرها بل أقل درجات الإيمان التصديق والتسليم. فإن قلت فنحن نشاهد الكافر فى قبره مدة ونراقبه ولا نشاهد شيئا من ذلك فما وجه التصديق على خلاف المشاهدة ؟ فاعلم أن لك ثلاث مقامات فى التصديق بأمثال هذا [أحدها] وهو الأظهر والأصح والأسلم

فأوحى الله تعالى إلى ملك الهواء أن الزم عبدى قال فلزمه ووضعه على الأرض وضعا رفيقا فقيل لإبليس ألا أغويته فقال ليس لى سلطان على من خالف هواه وبذل نفسه لله تعالى وينبغى للمريد أن تكون له فى كل شىء نية لله تعالى حتى فى أكله وشربه وملبوسه فلا يلبس إلا لله ولا يأكل إلا لله ولا يشرب إلا لله ولا ينام إلا لله لأن هذه كلها أرفاق أدخلها على النفس إذا كانت لله لا تستعصى النفس وتجيب إلى ما يراد منها من المعاملة لله والإخلاص وإذا

(١) حديث البراء خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة رجل من الأنصار فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبره منكسا رأسه ثم قال اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر الحديث بطوله أبو داود والحاكم بكماله وقال صحيح على شرط الشيخين وضعفه ابن حبان ورواه النسائى وابن ماجه مختصرا (٢) حديث أبى هريرة إن المؤمن إذا حضر أتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر الريحان الحديث ابن أبى الدنيا وابن حبان مع اختلاف والبزار بلفظ المصنف (٣) حديث أبى هريرة المؤمن فى قبره فى روضة خضراء ويرحب له فى قبره سبعون ذراعا الحديث ورواه ابن حبان

والأسلم أن تصدّق بأنها موجودة وهى تلدغ الميت ولكنك لاتشاهد ذلك فان هذه العين لاتصلح لمشاهدة الأمور الملكوتية وكل مايتعلق بالآخرة فهو من عالم الملكوت أماترى الصحابة رضى الله عنهم كيف كانوا يؤمنون بنزول جبريل وماكانوا يشاهدونه ويؤمنون بأنه عليه السلام يشاهده فان كنت لاتؤمن بهذا فتصحيح أصل الايمان بالملائكة والوحى أهم عليك وإن كنت آمنت به وجوّزت أن يشاهد النبي مالاتشاهده الأمة فكيف لاتجوّز هذا فى الميت وكما أن الملك لايشبه الآدميين والحيوانات فالحيات والعقارب التى تلدغ فى القبر ليست من جنس حيات عالمنا بل هى جنس آخر وتدرك بحاسة أخرى [المقام الثانى] أن تتذكر أمر النائم وأنه قديرى فى نومه حية تلدغه وهو يتألم بذلك حتى تراه يصيح فى نومه ويعرق جبينه وقد ينزعج من مكانه كل ذلك يدركه من نفسه ويتأذى به كما يتأذى اليقظان وهو يشاهده وأنت ترى ظاهره ساكنا ولاترى حواليه حية والحية موجودة فى حقه والعذاب حاصل ولكنه فى حقك غير مشاهد وإذا كان العذاب فى ألم اللدغ فلافرق بين حية تتخيل أو تشاهد [المقام الثالث] أنك تعلم أن الحية بنفسها لاتؤلم بل الذى يلقاك منها وهو السم ثم السم ليس هو الألم بل عذابك فى الأثر الذى يحصل فيك من السم فلوحصل مثل ذلك الأثر من غير سم لكان العذاب قد توفر وكان لايمكن تعريف ذلك النوع من العذاب إلا بأن يضاف إلى السبب الذى يفضى إليه فى العادة فانه لوخلق فى الانسان لذة الوقاع مثلا من غير مباشرة صورة الوقاع لم يمكن تعريفها إلا بالاضافة إليه لتكون الاضافة للتعريف بالسبب وتكون ثمرة السبب حاصلة وإن لم تحصل صورة السبب والسبب يراد لثمرته لالذاته وهذه الصفات المهلكات تنقلب مؤذيات ومؤلمات فى النفس عند الموت فتكون آلامها كآلام لدغ الحيات من غير وجود حيات وانقلاب الصفة مؤذية يضاهى انقلاب العشق مؤذيا عند موت المعشوق فانه كان لذيذا فطرأت حالة صار اللذيذ بنفسه مؤلما حتى يرد بالقلب من أنواع العذاب مايتمنى معه أن لم يكن قد تنعم بالعشق والوصال بل هذا بعينه هو أحد أنواع عذاب الميت فانه قد سلط العشق فى الدنيا على نفسه فصار يعشق ماله وعقاره وجاهه وولده وأقاربه ومعارفه ولوأخذ جميع ذلك فى حياته من لايرجو استرجاعه منه فماذا ترى يكون حاله أليس يعظم شقاؤه ويشتدّ عذابه ويتمنى ويقول ليته لم يكن لى مال قط ولاجاه قط فكنت لاأتأذى بفراقه فالموت عبارة عن مفارقة المحبوبات الدنيوية كلها دفعة واحدة:

ماحال من كان له واحد غيب عنه ذلك الواحد

فما حال من لايفرح إلا بالدنيا فتؤخذ منه الدنيا وتسلم إلى أعدائه ثم ينضاف إلى هذا العذاب تحسره على مافاته من نعيم الآخرة والحجاب عن الله عز وجل فان حب غير الله يحجبه عن لقاء الله والتنعم به فيتوالى عليه ألم فراق جميع محبوباته وحسرته على مافاته من نعيم الآخرة أبد الآباد وذل الردّ والحجاب عن الله تعالى وذلك هو العذاب الذى يعذب به إذ لايتبع نار الفراق إلا نار جهنم كما قال تعالى ـ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم إنهم لصالوا الجحيم ـ وأمامن لم يأنس بالدنيا ولم يحب إلا الله وكان مشتاقا إلى لقاء الله فقد تخلص من سجن الدنيا ومقاساة الشهوات فيها وقدم على محبوبه وانقطعت عنه العوائق والصوارف وتوفر عليه النعيم مع الأمن من الزوال أبد الآباد ولمثل ذلك فليعمل العاملون والمقصود أن الرجل قد يحب فرسه بحيث لوخير بين أن يؤخذ منه وبين أن تلدغه عقرب آثر الصبر على لدغ العقرب ، فاذن ألم فراق الفرس عنده أعظم من لدغ العقرب وحبه للفرس هو الذى يلدغه إذا أخذ منه فرسه فليستعد لهذه اللدغات فان الموت يأخذ منه فرسه ومركبه وداره وعقاره وأهله وولده وأحبابه ومعارفه ويأخذ منه جاهه وقبوله بل يأخذ منه سمعه وبصره وأعضاءه وييأس من رجوع جميع ذلك إليه فاذا لم يحب سواه وقد أخذ جميع ذلك منه فذلك أعظم عليه

دخل فى شىء من رفق النفس لالله بغير نية صالحة صار ذلك وبالا عليه وقد ورد فى الخبر «من تطيب لله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك الأذفر ومن تطيب لغير الله عزوجل جاء يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة» . وقيل كان أنس يقول طيبوا كفى بمسك فان ثابتا يصافحنى ويقبل يدى وقد كانوا يحسنون اللباس للصلاة متقربين بذلك إلى الله بنيتهم فالمريد ينبغى أن يتفقد جميع أحواله وأعماله وأقواله ولايسامح نفسه أن تتحرك بحركة أو تتكلم بكلمة إلالله تعالى

من العقارب والحيات وكما لوأخذ ذلك منه وهوحى فيعظم عقابه فكذلك إذا مات لأنا قدبينا أن للعنى الذى هو المدرك للآلام واللذات لم يمت بل عذابه بعد الموت أشد لأنه في الحياة يتسلى بأسباب يشغل بها حواسه من مجالسة ومحادثة ويتسلى برجاء العود إليه ويتسلى برجاء العوض منه ولاسلوة بعد الموت إذ قد انسد عليه طرق التسلى وحصل اليأس ، فاذن كل قميص له ومنديل قد أحبه بحيث كان يشق عليه لوأخذ منه فانه يبقى متأسفا عليه ومعذبا به فان كان مخفا في الدنيا سلم وهو المعنى بقولهم نجا المخفون وإن كان مثقلا عظم عذابه وكما أن حال من يسرق منه دينار أخف من حال من يسرق منه عشرة دنانير فكذلك حال صاحب الدرهم أخف من حال صاحب الدرهمين وهو المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم «صاحب الدرهم أخف حسابا من صاحب الدرهمين [(١)]» ومامن شىء من الدنيا يتخلف عنك عند الموت إلاوهو حسرة عليك بعد الموت فان شئت فاستكثر وإن شئت فاستقلل فان استكثرت فلست بمستكثر إلامن الحسرة وان استقللت فلست تخفف إلاعن ظهرك وإنما تكثر الحيات والعقارب فى قبور الأغنياء الذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وفرحوا بها واطمأنوا إليها فهذه مقامات الإيمان فى حيات القبر وعقاربه وفى سائر أنواع عذابه . رأى أبوسعيد الخدرى ابنا له قد مات فى المنام فقال له يابنى عظنى قال لاتخالف الله تعالى فما يريد قال يابنى زدنى قال ياأبت لاتطيق قال قل قال لاتجعل بينك وبين الله قميصا فمالبس قميصا ثلاثين سنة . فان قلت فما الصحيح من هذه المقامات الثلاث . فاعلم أن فى الناس من لم يثبت إلاالأول وأنكر مابعده ومنهم من أنكر الأول وأثبت الثانى ومنهم من لم يثبت إلاالثالث وإنما الحق الذى انكشف لنا بطريق الاستبصار أن كل ذلك فى حيز الامكان وأن من ينكر بعض ذلك فهو لضيق حوصلته وجهله باتساع قدرة الله سبحانه وعجائب تدبيره فينكر من أفعال الله تعالى مالم يأنس به ويألفه وذلك جهل وقصور بل هذه الطرق الثلاثة فى التعذيب ممكنة والتصديق بها واجب ورب عبد يعاقب بنوع واحد من هذه الأنواع ورب عبد تجمع عليه هذه الأنواع الثلاثة نعوذ بالله من عذاب الله قليله وكثيره ، هذا هو الحق فصدق به تقليدا فيعز على بسيط الأرض من يعرف ذلك تحقيقا والذى أوصيك به أن لاتكثر نظرك فى تفصيل ذلك ولاتشتغل بمعرفتـه بل اشتغل بالتدبير فى دفع العذاب كيفما كان فان أهملت العمل والعبادة واشتغلت بالبحث عن ذلك كنت كمن أخذه سلطان وحبسه ليقطع يده ويجدع أنفه فأخذ طول الليل يتفكر فى أنه هل يقطعه بسكين أوبسيف أوبموسى وأهمل طريق الحيلة فى دفع أصل العذاب عن نفسه وهـذا غاية الجهل فقد علم على القطع أن العبـد لايخلو بعد الموت من عذاب عظيم أونعيم مقيم فينبغى أن يكون الاستعداد له . فأما البحث عن تفصيل العقاب والثواب ففضول وتضييع زمان .

وقدرأينا من أصحاب شيخنا من كان ينوى عند كل لقمة ويقول بلسانه أيضا آكل هذه اللقمة لله تعالى ولاينفع القول إذا لم تكن النية فى القلب لأن النية عمل القلب وإنما اللسان ترجمان فما لم تشتمل عليها عـزيمة القلب لله لاتكون نية. ونادى رجل امرأته وكان يسرح شعره فقال هات المدرى أراد الميل ليفرق شعره فقالت له امرأته أجىء بالمـدرى والمرآة فسكت ثم قال نعم فقال له من سمعه سكت وتوقفت عن المرآة ثم قلت نعم فقال إنى

(بيان سؤال منكر ونكير وصورتهما وضغطة القبر وبقية القول فى عذاب القبر)

قال أبوهريرة قال النبى صلى الله عليه وسلم «إذا مات العبد أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما منكر وللآخر نكير فيقولان له ماكنت تقول فى النبى فان كان مؤمنا قال هو عبدالله ورسوله أشهد أن لا إله إلاالله وأن محمدا رسول الله فيقولان إن كنا لنعلم أنك تقول ذلك ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعا فى سبعين ذراعا وينور له فى قبره ثم يقال له نم فيقول دعونى أرجع إلى أهلى فأخبرهم فيقال له نم فينام كنومة العروس الذى لايوقظه إلاأحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وإن كان منافقا قال لاأدرى كنت أسمع الناس يقولون شيئا وكنت أقوله فيقولان إن كنا لنعلم

(١) حديث . صاحب الدرهم أخف حسابا من صاحب الدرهمين لم أجد له أصلا .

أنك

أنك تقول ذلك ثم يقال للأرض التئمى عليه فتلتئم عليه حتى تختلف فيها أضلاعه فلا يزال معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك (١) وعن عطاء بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر ابن الخطاب رضى الله عنه « ياعمر كيف بك إذا أنت مت فانطلق بك قومك فقاسوا لك ثلاثة أذرع فى ذراع وشبر ثم رجعوا إليك فغسلوك وكفنوك وحنطوك ثم احتملوك حتى يضعوك فيه ثم يهيلوا عليك التراب ويدفنوك فاذا انصرفوا عنك أتاك فتانا القبر منكر ونكير أصواتهما كالرعد القاصف وبصائرهما كالبرق الخاطف يجران أشعارهما ويبحثان القبر بأنيابهما فتلتلاك وترتراك كيف بك عند ذلك ياعمر ؟ فقال عمر ويكون معى مثل عقلى الآن ؟ قال نعم قال إذن أكفيكهما (٢) » وهذا نص صريح فى أن العقل لايتغير بالموت إنما يتغير البدن والأعضاء فيكون الميت عاقلا مدركا عالما بالآلام واللذات كما كان لايتغير من عقله شىء وليس العقل المدرك هذه الأعضاء بل هو شىء باطن ليس له طول ولا عرض بل الذى لاينقسم فى نفسه هو المدرك للأشياء ولو تناثرت أعضاء الإنسان كلها ولم يبق إلا الجزء المدرك الذى لايتجزأ ولا ينقسم لكان الانسان العاقل بكماله قائما باقيا وهو كذلك بعد الموت فان ذلك الجزء لايحله الموت ولا يطرأ عليه العدم . وقال محمد بن المنكدر بلغنى أن الكافر يسلط عليه فى قبره دابة عمياء صماء فى يدها سوط من حديد فى رأسه مثل غرب الجمل تضربه به إلى يوم القيامة لاتراه فتتقيه ولا تسمع صوته فترحمه . وقال أبو هريرة إذا وضع الميت فى قبره جاءت أعماله الصالحة فاحتوشته فان أتاه من قبل رأسه جاء قراءته القرآن وإن أتاه من قبل رجليه جاء قيامه وإن أتاه من قبل يده قالت اليدان والله لقد كان يبسطنى للصدقة والدعاء لاسبيل لكم عليه وإن جاء من قبل فيه جاء ذكره وصيامه وكذلك تقف الصلاة والصبر ناحية فيقول أما إنى لو رأيت خللا لكنت أنا صاحبه . قال سفيان تحاجش عنه أعماله الصالحة كما يحاجش الرجل عن أخيه وأهله وولده ثم يقال له عند ذلك بارك الله لك فى مضجعك فنعم الأخلاء أخلاؤك ونعم الأصحاب أصحابك . وعن حذيفة قال « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة فجلس على رأس القبر ثم جعل ينظر فيه ثم قال « يضغط المؤمن فى هذا ضغطة ترد منه حمائله (٣) » وقالت عائشة رضى الله عنها : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن للقبر ضغطة ولو سلم أو نجا منها أحد لنجا سعد بن معاذ (٤) » وعن أنس قال « توفيت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت امرأة مسقامة فتبعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فساءنا حاله ، فلما انتهينا إلى القبر فدخله انتقع وجهه صفرة ، فلما خرج أسفر وجهه فقلنا يارسول الله رأينا منك شأنا لم ذلك ؟ قال ذكرت ضغطة ابنتى وشدة عذاب القبر ، فأتيت فأخبرت أن الله

قلت لها هات المدرى بنية فلما قالت والمرآة لم يكن لى فى المرآة نية فتوقفت حتى هيأ الله تعالى لى نية فقلت نعم وكل مبتدىء لايحكم أساس بدايته بمهاجرة الألاف والأصدقاء والمعارف ويتمسك بالوحدة لاتستقر بدايته ، وقد قيل من قلة الصدق كثرة الخلطاء وأنفع ماله لزوم الصمت وأن لا يطرق سمعه كلام الناس فإن باطنه يتغير ويتأثر بالأقوال المختلفة وكل من لايعلم كمال زهده فى الدنيا وتمسكه بحقائق التقوى لايعرفه أبدا فان عدم

(١) حديث أبى هريرة إذا مات العبد أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما منكر وللآخر نكير الحديث الترمذى وحسنه وابن حبان مع اختلاف (٢) حديث عطاء بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب ياعمر كيف بك إذا أنت مت فانطلق بك قومك فقاسوا لك ثلاثة أذرع فى ذراع وشبر ، الحديث ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور هكذا مرسلا ورجاله ثقات قال البيهقى فى الاعتقاد رويناه من وجه صحيح عن عطاء بن يسار مرسلا . قلت ووصله ابن بطة فى الابانة من حديث ابن عباس ورواه البيهقى فى الاعتقاد من حديث عمر وقال غريب بهذا الاسناد تفرد به مفضل . ولأحمد وابن حبان من حديث عبد الله بن عمر فقال عمر أيرد إلينا عقولنا فقال نعم كهيئتكم اليوم فقال عمر بفيه الحجر (٣) حديث حذيفة كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة فجلس على رأس القبر ثم جعل ينظر فيه ، الحديث رواه أحمد بسند ضعيف (٤) حديث عائشة إن للقبر ضغطة لو سلم أو نجا منها أحد لنجا سعد بن معاذ رواه أحمد بإسناد جيد .

قد خفف عنها ولقد ضغطت ضغطة سمع صوتها مابين الخافقين (١) » .

(الباب الثامن فيما عرف من أحوال الموتى بالمكاشفة فى المنام)

اعلم أن أنوار البصائر المستفادة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ومن مناهج الاعتبار تعرفنا أحوال الموتى على الجملة وانقسامهم إلى سعداء وأشقياء ولكن حال زيد وعمرو بعينه فلا ينكشف أصلا فانا إن عولنا على إيمان زيد وعمرو فلا ندرى على ماذا مات وكيف ختم له وإن عولنا على صلاحه الظاهر فالتقوى محله القلب وهو غامض يخفى على صاحب التقوى فكيف على غيره فلا حكم لظاهر الصلاح دون التقوى الباطن قال الله تعالى ـ إنما يتقبل الله من المتقين ـ فلا يمكن معرفة حكم زيد وعمرو إلا بمشاهدته ومشاهدة مايجرى عليه وإذا مات فقد تحول من عالم الملك والشهادة إلى عالم الغيب والملكوت فلا يرى بالعين الظاهرة وإنما يرى بعين أخرى خلقت تلك العين فى قلب كل إنسان ولكن الانسان جعل عليها غشاوة كثيفة من شهواته وأشغاله الدنيوية فصار لايبصر بها ولا يتصور أن يبصر بها شيئا من عالم الملكوت مالم تنقشع تلك الغشاوة عن عين قلبه، ولما كانت الغشاوة منقشعة عن أعين الأنبياء عليهم السلام فلا جرم نظروا إلى الملكوت وشاهدوا عجائبه والموتى فى عالم الملكوت فشاهدوهم وأخبروا ، ولذلك رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ضغطة القبر فى حق سعد بن معاذ وفى حق زينب ابنته (٢) وكذلك حال أبى جابر لما استشهد إذ أخبره أن الله أقعده بين يديه ليس بينهما ستر ، ومثل هذه المشاهدة لامطمع فيها لغير الأنبياء والأولياء الذين تقرب درجتهم منهم وإنما الممكن من أمثالنا مشاهدة أخرى ضعيفة إلا أنها أيضا مشاهدة نبوية وأعنى بها المشاهدة فى النام وهى من أنوار النبوة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة (٣) » وهو أيضا انكشاف لايحصل إلا بانقشاع الغشاوة عن القلب فلذلك لايوثق إلا برؤيا الرجل الصالح الصادق ومن كثر كذبه لم تصدق رؤياه ومن كثر فساده ومعاصيه أظلم قلبه فكان مايراه أضغاث أحلام ، ولذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطهارة عند النوم لينام طاهرا (٤) وهو إشارة إلى طهارة الباطن أيضا فهو الأصل وطهارة الظاهر بمنزلة التتمة والتكملة لها ومهما صفا الباطن انكشف فى حدقة القلب ماسيكون فى المستقبل كما انكشف دخول مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم حتى نزل قوله تعالى ـ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق ـ (٥) وقلما يخلو الانسان عن منامات دلت على أمور فوجدها صحيحة والرؤيا ومعرفة الغيب فى النوم من عجائب صنع الله تعالى وبدائع فطرة الآدمى وهو من أوضح الأدلة على عالم الملكوت والخلق غافلون عنه كغفلتهم عن سائر عجائب القلب وعجائب العالم والقول فى حقيقة الرؤيا من دقائق علوم المكاشفة فلايمكن ذكره

---

(١) حديث أنس توفيت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت امرأة مسقامة الحديث وفيه لقد ضغطت ضغطة سمع صوتها مابين الخافقين ابن أبى الدنيا فى الموت من رواية سليمان الأعمش عن أنس ولم يسمع منه .

(الباب الثامن فيما عرف من أحوال الموتى بالمكاشفة)

(٢) حديث رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ضغطة القبر فى حق سعد بن معاذ وفى حق زينب ابنته وكذلك حال أبى جابر لما استشهد تقدمت الثلاثة أحاديث فى الباب الذى قبله (٣) حديث الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة تقدم (٤) حديث أمره بالطهارة عند النوم متفق عليه من حديث البراء إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة الحديث (٥) حديث انكشف دخول مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم ابن أبى حاتم فى تفسيره من رواية مجاهد مرسلا .

معرفته لايفتح عليه خيرا وبواطن أهل الابتداء كالشمع تقبل كلّ نقش وربما استضر المبتدىء بمجرد النظر إلى الناس ويستضر بفضول النظر أيضا وفضول المشى فيقف من الأشياء كلها على الضرورة فينظر ضرورة حتى لو مشى فى بعض الطريق يجتهد أن يكون نظره إلى الطريق الذى يسلكه لايلتفت يمينه ويساره ثم يتقى موضع نظر الناس إليه وإحساسهم منه بالرعاية والاحتراز فان علم الناس منه بذلك أضر عليه من فعله ولا يستحقر فضول

علاوة على علم المعاملة ولكن القدر الذى يمكن ذكره ههنا مثال يفهمك المقصود وهو أن تعلم أن القلب مثاله مثال مرآة تتراءى فيها الصور وحقائق الأمور وأن كلّ ماقدّره الله تعالى من ابتداء خلق العالم إلى آخره مسطور ومثبت فى خلق خلقه الله تعالى يعبر عنه تارة باللوح وتارة بالكتاب المبين وتارة بإمام مبين كما ورد فى القرآن فجميع ماجرى فى العالم وماسيجرى مكتوب فيه ومنقوش عليه نقشا لايشاهد بهذه العين ولاتظنن أن ذلك اللوح من خشب أوحديد أوعظم وأن الكتاب من كاغد أورق بل ينبغى أن تفهم قطعا أن لوح الله لايشبه لوح الخلق وكتاب الله لا يشبه كتاب الخلق كما أن ذاته وصفاته لاتشبه ذات الخلق وصفاتهم بل إن كنت تطلب له مثالا يقرّبه إلى فهمك فاعلم أن ثبوت المقادير فى اللوح يضاهى ثبوت كلمات القرآن وحروفه فى دماغ حافظ القرآن وقلبه فانه مسطور فيه حتى كأنه حين يقرؤه ينظر إليه ولو فتشت دماغه جزءا جزءا لم تشاهد من ذلك الخط حرفا وإن كان ليس هناك خط يشاهد ولا حرف ينظر فمن هذا النمط ينبغى أن تفهم كون اللوح منقوشا بجميع ماقدّره الله تعالى وقضاه واللوح فى المثال كمرآة ظهر فيها الصور فلو وضع فى مقابلة المرآة مرآة أخرى لكانت صورة تلك المرآة تتراءى فى هذه إلاأن يكون بينهما حجاب فالقلب مرآة تقبل رسوم العلم واللوح مرآة رسوم العلم كلها موجودة فيها واشتغال القلب بشهواته ومقتضى حواسه حجاب مرسل بينه وبين مطالعة اللوح الذى هو من عالم الملكوت ، فان هبت ريح حركت هذا الحجاب ورفعته تلألأ فى مرآة القلب شىء من عالم الملكوت كالبرق الخاطف وقد يثبت ويدوم وقد لايدوم وهو الغالب ومادام متيقظا فهو مشغول بما تورده الحواس عليه من عالم الملك والشهادة وهو حجاب عن عالم الملكوت ، ومعنى النوم أن تركد الحواس عليه فلاتورده على القلب فاذا تخلص منه ومن الخيال وكان صافيا فى جوهره ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ فوقع فى قلبه شىء مما فى اللوح كما تقع الصورة من مرآة فى مرآة أخرى إذا ارتفع الحجاب بينهما إلاأن النوم مانع سائر الحواس عن العمل وليس مانعا للخيال عن عمله وعن تحركه فما يقع فى القلب يبتدره الخيال فيحاكيه بمثال يقاربه وتكون التخيلات أثبت فى الحفظ من غيرها فيبقى الخيال فى الحفظ فاذا انتبه لم يتذكر إلا الخيال فيحتاج المعبر أن ينظر إلى هذا الخيال حكاية أى معنى من المعانى فيرجع إلى المعانى بالمناسبة التى بين المتخيل والمعانى وأمثلة ذلك ظاهرة عند من نظر فى علم التعبير ويكفيك مثال واحد وهو أن رجلا قال لابن سيرين رأيت كأن بيدى خاتما أختم به أفواه الرجال وفروج النساء فقال أنت مؤذن تؤذن قبل الصبح فى رمضان قال صدقت فانظر أن روح الختم هو المنع ولأجله يراد الختم وإنما ينكشف للقلب حال الشخص من اللوح المحفوظ كما هو عليه وهو كونه مانعا للناس من الأكل والشرب ولكن الخيال ألف المنع عند الختم بالخاتم فتمثله بالصورة الخيالية التى تتضمن روح المعنى ولايبقى فى الحفظ إلاالصورة الخيالية ، فهذه نبذة يسيرة من بحر علم الرؤيا الذى لاتنحصر عجائبه وكيف لاوهو أخو الموت وإنما الموت هو عجب من العجائب وهذا لأنه يشبهه من وجه ضعيف أترى كشف الغطاء عن عالم الغيب حتى صار النائم يعرف ماسيكون فى المستقبل فماذا ترى فى الموت الذى يخرق الحجاب ويكشف الغطاء بالكلية حتى يرى الانسان عند انقطاع النفس من غير تأخير نفسه إما محفوفة بالأنكال والمخازى والفضائح نعوذ بالله من ذلك وإما مكنوفا بنعيم مقيم وملك كبير لاآخر له وعند هذا يقال للأشقياء وقد انكشف الغطاء ـ لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ـ ويقال ـ أفسحر هذا أم أنتم لاتبصرون اصلوها فاصبروا أولاتصبروا سواء عليكم إنما تجزون ماكنتم تعملون ـ وإليهم الاشارة بقوله تعالى ـ وبدالهم من الله مالم يكونوا يحتسبون ـ

المشى فان كل شىء من قول وفعل ونظر وسماع خرج عن حد الضرورة جر إلى الفضول ثم يجر إلى تضييع الأصول . قال سفيان : إنما حرموا الوصول بتضييع الأصول فكلّ من لايتمسك بالضرورة فى القول والفعل لايقدر أن يقف على قدر الحاجة من الطعام والشراب والنوم ومتى تعدى الضرورة تداعت عزائم قلبه وانحلت شيئا بعد شىء . قال سهل بن عبد الله من لم يعبداقه اختيارا يعبد الخلق اضطرارا وينفتح على العبد أبواب الرخص

فأعلم العلماء وأحكم الحكماء ينكشف له عقيب الموت من العجائب والآيات مالم يخطر قط بباله ولا اختلج به ضميره فلو لم يكن للعاقل هم وغم إلا الفكرة في خطر تلك الحال أن الحجاب عماذا يرتفع وما الذى ينكشف عنه الغطاء من شقاوة لازمة أم سعادة دائمة لكان ذلك كافيا فى استغراق جميع العمر والعجب من غفلتنا وهذه العظائم بين أيدينا وأعجب من ذلك فرحنا بأموالنا وأهلينا وبأسبابنا وذريتنا وبأعضائنا وسمعنا وبصرنا مع أنا نعلم مفارقة جميع ذلك يقينا ولكن أين من ينفث روح القدس فى روعه فيقول ماقال لسيد النبيين «أحبب من أحببت فانك مفارقه وعش ماشئت فانك ميت واعمل ماشئت فانك مجزى به [(١)]» فلاجرم لما كان ذلك مكشوفا له بعين اليقين كان فى الدنيا كعابر سبيل لم يضع لبنة على لبنة ولاقصبة على قصبة [(٢)] ولم يخلف دينارا ولادرهما [(٣)] ولم يتخذ حبيبا ولا خليلا نعم قال «لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبابكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الرحمن [(٤)]» فبين أن خلة الرحمن تخللت باطن قلبه وأن حبه تمكن من حبة قلبه فلم يترك فيه متسعا لخليل ولا حبيب وقد قال لأمته - إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله - فانما أمته من اتبعه وما اتبعه إلا من أعرض عن الدنيا وأقبل على الآخرة فانه مادعا إلا إلى الله واليوم الآخر وماصرف إلا عن الدنيا والحظوظ العاجلة فبقدر ما أعرضت عن الدنيا وأقبلت على الآخرة فقد سلكت سبيله الذى سلكه وبقدر ماسلكت سبيله فقد اتبعته وبقدر مااتبعته فقد صرت من أمته وبقدر ماأقبلت على الدنيا عدلت عن سبيله ورغبت عن متابعته والتحقت بالذين قال الله تعالى فيهم - فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هى المأوى - فلو خرجت من مكمن الغرور وأنصفت نفسك يارجل وكلنا ذلك الرجل لعلمت أنك من حين تصبح إلى حين تمسى لاتسعى إلا فى الحظوظ العاجلة ولاتتحرك ولاتسكن إلا للعاجل الدنيا ثم تطمع أن تكون غدا من أمته وأتباعه ماأبعد ظنك وماأبرد طمعك - أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون - ولنرجع إلى ما كنا فيه وبصدده فقد امتد عنان الكلام إلى غير مقصده ولنذكر الآن من المنامات الكاشفة لأحوال الموتى مايعظم الانتفاع به إذ ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وليس ذلك إلا المنامات.

(بيان منامات تكشف عن أحوال الموتى والأعمال النافعة فى الآخرة)

فمن ذلك رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال عليه السلام «من رآنى فى النام فقد رآنى حقا فان الشيطان لايتمثل بى [(٥)]» وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه رأيت رسول الله ﷺ فى النام فرأيته لاينظر إلى فقلت يارسول الله ماشأنى فالتفت إلى وقال ألست القبل وأنت صائم قال والذى نفسى بيده لاأقبل امرأة وأنا صائم أبدا . وقال العباس رضى الله عنه كنت ودا لعمر فاشتهيت أن أراه فى المنام فما رأيته إلا عند رأس الحول فرأيته يمسح العرق عن جبينه وهو يقول هذا أوان فراغى إن كان عرشى ليهد لولا أنى لقيته رءوفا رحيما . وقال الحسن بن على قال لى على رضى الله عنه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سنح لى الليلة فى منامى فقلت يارسول الله ماالقيت من أمتك قال ادع عليهم فقلت اللهم أبدلنى بهم من هو خير لى منهم وأبدلهم بى من هو شر لهم منى فخرج فضربه ابن ملجم وقال بعض الشيوخ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله استغفر لى فأعرض عنى فقلت يارسول الله إن

والاتساع ويهلك مع الهالكين ولاينبغى للمبتدىء أن يعرف أحدا من أرباب الدنيا فان معرفته لهم سم قاتل . وقد ورد «الدنيا مبغوضة الله فمن تمسك بحبل منها قادته إلى النار» وما حبل من حبالها إلا كأبنائها والطالبين لها والمحبين فمن عرفهم انجذب إليها شاء أو أبى ويحترز المبتدىء عن مجالسة الفقراء الذين لايقولون بقيام الليل وصيام النهار فانه يدخل عليه منهم أشر مايدخل عليه بمجالسة أبناء الدنيا وربما يشيرون إلى أن الأعمال شغل

(١) حديث إن روح القدس نفث فى روعى أحبب من أحببت فانك مفارقه الحديث تقدم .
(٢) حديث لم يضع لبنة على لبنة ولاقصبة على قصبة تقدم أيضا (٣) حديث لم يخلف دينارا ولا درهما تقدم أيضا (٤) حديث لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبابكر ولكن صاحبكم خليل الرحمن تقدم أيضا (٥) حديث من رآنى فى المنام فقد رآنى فان الشيطان لايتخيل بى متفق عليه من حديث أبى هريرة .

سفيان بن عيينة حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله إنك لم تسأل شيئا قط فقلت لا فأقبل علي فقال غفر الله لك (١) وروى عن العباس بن عبد المطلب قال كنت مواخيا لأبي لهب مصاحبا له فلما مات وأخبر الله عنه بما أخبر حزنت عليه وأهمني أمره فسألت الله تعالى حولا أن يريني إياه في النام قال فرأيته يلتهب نارا فسألته عن حاله فقال صرت إلى النار في العذاب لا يخفف عني ولا يروح إلا ليلة الاثنين في كل الأيام والليالي قلت وكيف ذلك قال ولد في تلك الليلة محمد صلى الله عليه وسلم فجاءتني أميمة فبشرتني بولادة آمنة إياه ففرحت به وأعتقت وليدة لي فرحا به فأثابني الله بذلك أن رفع عني العذاب في كل ليلة اثنين . وقال عبد الواحد بن زيد خرجت حاجا فصحبني رجل كان لا يقوم ولا يقعد ولا يتحرك ولا يسكن إلا صلى على النبي ﷺ فسألته عن ذلك فقال أخبرك عن ذلك خرجت أول مرة إلى مكة ومعي أبي فلما انصرفنا نمت في بعض المنازل فبينا أنا نائم إذ أتاني آت فقال لي قم فقد أمات الله أباك وسود وجهه قال فقمت مذعورا فكشفت الثوب عن وجهه فاذا هو ميت أسود الوجه فداخلني من ذلك رعب فبينا أنا في ذلك الغم إذ غلبتني عيني فنمت فاذا على رأس أبي أربعة سودان معهم أعمدة حديد إذ أقبل رجل حسن الوجه بين ثوبين أخضرين فقال لهم تنحوا فمسح وجهه بيده ثم أتاني فقال قم فقد بيض الله وجه أبيك فقلت له من أنت بأبي أنت وأمي فقال أنا محمد قال فقمت فكشفت الثوب عن وجه أبي فاذا هو أبيض فما تركت الصلاة بعد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعن عمر بن عبد العزيز قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما جالسان عنده فسلمت وجلست فبينما أنا جالس إذ أتى بعلي ومعاوية فأدخلا بيتا وأجيف عليهما الباب وأنا أنظر فما كان بأسرع من أن خرج علي رضي الله عنه وهو يقول قضى لي ورب الكعبة وما كان بأسرع من أن خرج معاوية على أثره وهو يقول غفر لي ورب الكعبة واستيقظ ابن عباس رضي الله عنهما مرة من نومه فاسترجع وقال قتل الحسين والله وكان ذلك قبل قتله فأنكره أصحابه فقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه زجاجة من دم فقال ألا تعلم ماصنعت أمتي بعدي قتلوا ابني الحسين وهذا دمه ودم أصحابه أرفعها إلى الله تعالى فجاء الخبر بعد أربعة وعشرين يوما بقتله في اليوم الذي رآه ورؤي الصديق رضي الله عنه فقيل له إنك كنت تقول أبدا في لسانك هذا أوردني الموارد فماذا فعل الله بك قال قلت به لا إله إلا الله فأوردني الجنة.

(بيان منامات المشايخ رحمة الله عليهم أجمعين)

قال بعض المشايخ رأيت متمما الدورقي في النام فقلت ياسيدي مافعل الله بك فقال دربي في الجنان فقيل لي يامتمم هل استحسنت فيها شيئا قلت لا ياسيدي فقال لو استحسنت منها شيئا لوكلتك إليه ولم أوصلك إلى ورؤي يوسف بن الحسين في النام فقيل له مافعل الله بك قال غفر لي قيل بماذا قال ماخلطت جدا بهزل وعن منصور بن إسمعيل قال رأيت عبد الله البزار في النوم فقلت مافعل الله بك قال أوقفني بين يديه فغفر لي كل ذنب أقررت به إلا ذنبا واحدا فاني استحييت أن أقربه فأوقفني في العرق حتى سقط لحم وجهي فقلت ما كان ذلك الذنب قال نظرت إلى غلام جميل فاستحسنته فاستحييت من الله أن أذكره وقال أبو جعفر الصيدلاني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم وحوله جماعة من الفقراء فبينا نحن كذلك إذ انشقت السماء فنزل ملكان أحدهما بيده طشت وبيد الآخر إبريق فوضع الطشت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فغسل يده ثم أمر حتى غسلوا ثم وضع الطشت بين يدي

التعبدين وأن أرباب الأحوال ارتقوا عن ذلك . وينبغي للفقير أن يقتصر على الفرائض وصوم رمضان فحسب ولا ينبغي أن يدخل هذا الكلام سمعه رأسا فانا اختبرنا ومارسنا الأمور كلها وجالسنا الفقراء والصالحين ورأينا أن الذين يقولون هذا القول ويرون الفرائض دون الزيادات والنوافل تحت القصور مع كونهم أصحاء في أحوالهم فعلى العبد التمسك بكل فريضة وفضيلة فبذلك يثبت قدمه في بداياته ويراعي يوم الجمعة خاصة ويجعله لله تعالى خالصا لايمزجه بشيء

(١) حديث ابن عيينة عن محمد بن المنكدر عن جابر ما سئل النبي صلى الله عليه وسلم شيئا قط فقال لا ، رواه مسلم وقد تقدم .

فقال أحدهما للآخر لا تصب على يده فانه ليس منهم فقلت يارسول الله أليس قد روى عنك أنك قلت « المرء مع من أحب » قال بلى قلت يارسول الله فانى أحبك وأحب هؤلاء الفقراء فقال صلى الله عليه وسلم صب على يده فانه منهم وقال الجنيد رأيت فى المنام كأنى أتكلم على الناس فوقف على ملك فقال أقرب ماتقرب به المتقربون إلى الله تعالى ماذا فقلت عمل خفى بميزان وفى فولى الملك وهو يقول كلام موفق والله ورؤى مجمع فى النوم فقيل له كيف رأيت الأمر فقال رأيت الزاهدين فى الدنيا ذهبوا بخير الدنيا والآخرة . وقال رجل من أهل الشام للعلاء بن زياد رأيتك فى النوم كأنك فى الجنة فنزل عن مجلسه وأقبل عليه ثم قال لعل الشيطان أراد أمرا فعصمت منه فأشخص رجلا يقتلنى . وقال محمد بن واسع الرؤيا تسر المؤمن ولا تغره وقال صالح بن بشير رأيت عطاء السلمى فى النوم فقلت له رحمك الله لقد كنت طويل الحزن فى الدنيا قال أما والله لقد أعقبنى ذلك راحة طويلة وفرحا دائما فقلت فى أى الدرجات أنت ـ فقال مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين ـ الآية . وسئل زرارة بن أبى أوفى فى النام أى الأعمال أفضل عندكم فقال الرضا وقصر الأمل وقال يزيد بن مذعور رأيت الأوزاعى فى النام فقلت ياأبا عمرو دلنى على عمل أتقرب به إلى الله تعالى قال مارأيت هناك درجة أرفع من درجة العلماء ثم درجة المحزونين قال وكان يزيد شيخا كبيرا فلم يزل يبكى حتى أظلمت عيناه وقال ابن عيينة رأيت أخى فى النام فقلت ياأخى مافعل الله بك فقال كل ذنب استغفرت منه غفر لى وما لم أستغفر منه لم يغفر لى وقال على الطلحى رأيت فى النام امرأة لاتشبه نساء الدنيا فقلت من أنت فقالت حوراء فقلت زوجينى نفسك قالت اخطبنى إلى سيدى وأمهرنى قلت وما مهرك قالت حبس نفسك عن آفاتها وقال ابراهيم بن اسحق الحربى رأيت زبيدة فى النام فقلت مافعل الله بك قالت غفر لى فقلت لها بما أنفقت فى طريق مكة قالت أما النفقات التى أنفقتها رجعت أجورها إلى أربابها وغفر لى بنيتى ولما مات سفيان الثورى رؤى فى المنام فقيل له مافعل الله بك قال وضعت أول قدمى على الصراط والثانى فى الجنة وقال أحمد بن أبى الحوارى رأيت فيما يرى النائم جارية مارأيت أحسن منها وكان يتلألأ وجهها نورا فقلت لها مماذا ضوء وجهك قالت تذكر تلك الليلة التى بكيت فيها قلت نعم قالت أخذت دمعك فمسحت به وجهى فمن ثم ضوء وجهى كما ترى وقال الكتانى رأيت الجنيد فى المنام فقلت له مافعل الله بك قال طاحت تلك الاشارات وذهبت تلك العبارات وما حصلنا إلا على ركعتين كنا نصليهما فى الليل ورؤيت زبيدة فى المنام فقيل لها مافعل الله بك قالت غفر لى بهذه الكلمات الأربع لا إله إلا الله أفنى بها عمرى لا إله إلا الله أدخل بها قبرى لا إله إلا الله أخلو بها وحدى لا إله إلا الله ألقى بها ربى ورؤى بشر فى المنام فقيل له مافعل الله بك قال رحمنى ربى عز وجل وقال يابشر أما استحييت منى كنت تخافنى كل ذلك الخوف ورؤى أبو سليمان فى النوم فقيل له مافعل الله بك قال رحمنى وما كان شىء أضر على من إشارات القوم إلى وقال أبو بكر الكتانى رأيت فى النوم شابا لم أر أحسن منه فقلت له من أنت قال التقوى قلت فأين تسكن قال كل قلب حزين ثم التفت فاذا امرأة سوداء فقلت من أنت قالت أنا السقم قلت فأين تسكنين قالت كل قلب فرح مرح قال فانتبهت وتعاهدت أن لا أضحك إلا غلبة وقال أبو سعيد الخراز رأيت فى المنام كأن إبليس وثب على فأخذت العصا لأضربه فلم يفزع منها فهتف بى هاتف إن هذا لايخاف من هذه وإنما يخاف من نور يكون فى القلب وقال المسوحى رأيت ابليس فى النوم يمشى عريانا فقلت ألا تستحيى من الناس فقال بالله هؤلاء ناس لو كانوا من الناس ما كنت ألعب بهم طرفى النهار كما يتلاعب الصبيان بالكرة بل الناس قوم غير هؤلاء قد أسقموا جسمى وأشار بيده إلى أصحابنا الصوفية وقال أبو سعيد الخراز كنت فى دمشق فرأيت فى المنام كأن النبى

من أحوال نفسه ومآربها ويبكر إلى الجامع قبل طلوع الشمس بعد الغسل للجمعة وإن اغتسل قريبا من وقت الصلاة إذا أمكنه ذلك فحسن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ياأبا هريرة اغتسل للجمعة ولو اشتريت الماء بقوتك وما من نبى إلا وقد أمره الله تعالى أن يغتسل للجمعة فان غسل الجمعة كفارة للذنوب ما بين الجمعتين » ويشتغل بالصلاة والتضرع والدعاء والتلاوة وأنواع الأذكار من غير فتور إلى أن يصلى الجمعة ويجلس معتكفا فى

صلى الله عليه وسلم جاءنى متكئا على أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فجاء فوقف على وأنا أقول شيئا من الأصوات وأدق فى صدرى فقال شر هذا أكثر من خيره . وعن ابن عيينة قال رأيت سفيان الثورى فى النوم كأنه فى الجنة يطير من شجرة إلى شجرة يقول لمثل هذا فليعمل العاملون فقلت له أوصنى قال أقلل من معرفة الناس وروى أبو حاتم الرازى عن قبيصة بن عقبة قال رأيت سفيان الثورى فقلت ما فعل الله بك فقال:

نظرت إلى ربى كفاحا فقال لى هنيئا رضائى عنك يا ابن سعيد
قد كنت قواما إذا أظلم الدجى بعبرة مشتاق وقلب عميد
فدونك فاختر أى قصر أردته وزرنى فانى منك غير بعيد

ورؤى الشبلى بعد موته بثلاثة أيام فقيل له ما فعل الله بك قال ناقشنى حتى أيست فلما رأى يأسى تغمدنى برحمته ورؤى مجنون بنى عامر بعد موته فى المنام فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لى وجعلنى حجة على المحبين ورؤى الثورى فى المنام فقيل له ما فعل الله بك قال رحمنى فقيل له ما حال عبد الله بن المبارك فقال هو ممن يلج على ربه فى كل يوم مرتين ورؤى بعضهم فسئل عن حاله فقال : حاسبونا فدققوا ثم منوا فأعتقوا ورؤى مالك بن أنس فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لى بكلمة كان يقولها عثمان بن عفان رضى الله عنه عند رؤية الجنازة سبحان الحى الذى لا يموت ورؤى فى الليلة التى مات فيها الحسن البصرى كأن أبواب السماء مفتحة وكأن مناديا ينادى ألا إن الحسن البصرى قدم على الله وهو عنه راض ورؤى الجاحظ فقيل له ما فعل الله بك فقال :

ولا تكتب بخطك غير شئ يسرك فى القيامة أن تراه

ورأى الجنيد إبليس فى النوم عريانا فقال ألا تستحى من الناس فقال وهؤلاء ناس الناس أقوام فى مسجد الشونيزية قد أضنوا جسدى وأحرقوا كبدى قال الجنيد فلما انتبهت غدوت إلى المسجد فرأيت جماعة قد وضعوا رءوسهم على ركبهم يتفكرون فلما رأونى قالوا لا يغرنك حديث الخبيث ورؤى النصراباذى بمكة بعد وفاته فى النوم فقيل له ما فعل الله بك قال عوتبت عتاب الأشراف ثم نوديت يا أبا القاسم أبعد الاتصال انفصال فقلت لا يا ذا الجلال فما وضعت فى اللحد حتى لحقت بربى ورأى عتبة الغلام حوراء فى المنام على صورة حسنة فقالت يا عتبة أنا لك عاشقة فانظر لا تعمل من الأعمال شيئا فيحال بينى وبينك فقال عتبة طلقت الدنيا ثلاثا لا رجعة لى عليها حتى ألقاك وقيل رأى أيوب السختيانى جنازة عاص فدخل الدهليز كيلا يصلى عليها فرأى الميت بعضهم فى النوم فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لى وقال قل لأيوب — قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى إذا لأمسكتم خشية الانفاق — وقال بعضهم رأيت فى الليلة التى مات فيها داود الطائى نورا وملائكة نزولا وملائكة صعودا فقلت أى ليلة هذه فقالوا ليلة مات فيها داود الطائى وقد زخرفت الجنة لقدوم روحه وقال أبو سعيد الشحام رأيت سهلا الصعلوكى فى المنام فقلت أيها الشيخ قال دع التشييخ قلت تلك الأحوال التى شاهدتها فقال لم تغن عنا فقلت ما فعل الله بك قال غفر لى بمسائل كان يسأل عنها العجز وقال أبو بكر الرشيدى رأيت محمدا الطوسى المعلم فى النوم فقال لى قل لأبى سعيد الصفار المؤدب :

وكنا على أن لا نحول عن الهوى فقد وحياة الحب حلتم وما حلنا

قال فانتبهت فذكرت ذلك له فقال كنت أزور قبره كل جمعة فلم أزره هذه الجمعة وقال ابن راشد رأيت ابن المبارك فى النوم بعد موته فقلت أليس قد مت قال بلى قلت فما صنع الله بك قال غفر لى مغفرة أحاطت بكل ذنب قلت فسفيان الثورى قال بخ بخ ذاك — من الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين — الآية وقال الربيع بن سليمان رأيت الشافعى رحمة الله عليه بعد وفاته فى المنام فقلت يا أبا عبد الله ما صنع الله بك

الجامع إلى أن يصلى فرض العصر وبقية النهار يشغله بالتسبيح والاستغفار والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فانه يرى بركة ذلك فى جميع الأسبوع حتى يرى ثمرة ذلك يوم الجمعة وقد كان من الصادقين من يضبط أحواله وأقواله وأفعاله جميع الأسبوع لأنه يوم المزيد لكل صادق ويكون ما يجده يوم الجمعة معيارا يعتبر به سائر الأسبوع الذى مضى فانه إذا كان الأسبوع سليما يكون يوم الجمعة فيه مزيد الأنوار والبركات وما يجد فى يوم الجمعة من الظلمة وسآمة النفس وقلة

قال أجلسنى على كرسى من ذهب ونثر علىّ اللؤلؤ الرطب ورأى رجل من أصحاب الحسن البصرى ليلة مات الحسن كأن مناديا ينادى ـ إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ـ واصطفى الحسن البصرى على أهل زمانه وقال أبو يعقوب القارى الدقيقى رأيت فى منامى رجلا آدم طوالا والناس يتبعونه فقلت من هذا قالوا أويس القرنى فأتيته فقلت أوصنى رحمك الله فكلح فى وجهى فقلت مسترشد فأرشدنى أرشدك الله فأقبل على وقال اتبع رحمة ربك عند محبته واحذر نقمته عند معصيته ولا تقطع رجاءك منه فى خلال ذلك ثم ولى وتركنى وقال أبو بكر بن أبى مريم رأيت ورقاء بن بشر الحضرمى فقلت مافعلت ياورقاء قال نجوت بعد كل جهد قلت فأى الأعمال وجدتموها أفضل قال البكاء من خشية الله وقال يزيد بن نعامة هلكت جارية فى الطاعون الجارف فرآها أبوها فى النام فقال لها يابنية أخبرينى عن الآخرة قالت ياأبت قدمنا على أمر عظيم نعلم ولا نعمل وتعملون ولا تعلمون والله لتسبيحة أو تسبيحتان أو ركعة أو ركعتان فى فسحة عمل أحب إلى من الدنيا ومافيها وقال بعض أصحاب عتبة الغلام رأيت عتبة فى النام فقلت ماصنع الله بك قال دخلت الجنة بتلك الدعوة المكتوبة فى بيتك قال فلما أصبحت جئت إلى بيتى فاذا خط عتبة الغلام فى حائط البيت ياهادى المضلين وياراحم المذنبين ويامقيل عثرات العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم أجمعين واجعلنا مع الأحياء المرزوقين الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين يارب العالمين وقال موسى بن حماد رأيت سفيان الثورى فى الجنة يطير من نخلة إلى نخلة ومن شجرة إلى شجرة فقلت ياأباعبدالله بم نلت هذا فقال بالورع قلت فمابال على بن عاصم قال ذاك لايكاد يرى إلا كمايرى الكوكب ورأى رجل من التابعين النبى صلى الله عليه وسلم فى النام فقال يارسول الله عظنى قال نعم من لم يتفقد النقصان فهو فى نقصان ومن كان فى نقصان فالموت خيرله . وقال الشافعى رحمة الله عليه دهمنى فى هذه الأيام أمر أمضنى وآلمنى ولم يطلع عليه غير الله عز وجل فلما كان البارحة أتانى آت فى منامى فقال لى يامحمد بن إدريس قل اللهم إنى لاأملك لنفسى نفعا ولاضرا ولاموتا ولاحياة ولانشورا ولاأستطيع أن آخذ إلا ما أعطيتنى ولاأتقى إلاماوقيتنى اللهم فوفقنى لما تحب وترضى من القول والعمل فى عافية فلما أصبحت أعدت ذلك فلما ترحل النهار أعطانى الله عز وجل طلبتى وسهل لى الخلاص مما كنت فيه فعليكم بهذه الدعوات لاتغفلوا عنها فهذه جملة من المكاشفات تدل على أحوال الموتى وعلى الأعمال المقربة إلى الله زلفى ، فلنذكر بعدها مابين يدى الموتى من ابتداء نفخة الصور إلى آخر القرار إما فى الجنة أو فى النار والحمد لله حمد الشاكرين .

[الشطر الثانى من كتاب ذكر الموت فى أحوال الميت من وقت نفخة الصور إلى آخر الاستقرار فى الجنة أو فى النار وتفصيل مابين يديه من الأهوال والأخطار] وفيه بيان نفخة الصور وصفة أرض المحشر وأهله وصفة عرق أهل المحشر وصفة طول يوم القيامة وصفة يوم القيامة ودواهيها وأساميها وصفة المساءلة عن الذنوب وصفة الميزان وصفة الخصماء ورد المظالم وصفة الصراط وصفة الشفاعة وصفة الحوض وصفة جهنم وأهوالها وأنكالها وحياتها وعقاربها وصفة الجنة وأصناف نعيمها وعدد الجنان وأبوابها وغرفها وحيطانها وأنهارها وأشجارها ولباس أهلها وفرشهم وسررهم وصفة طعامهم وصفة الحور العين والولدان وصفة النظر إلى وجه الله تعالى وباب فى سعة رحمة الله تعالى وبه ختم الكتاب إن شاء الله تعالى .

(صفة نفخة الصور)

قد عرفت فيما سبق شدة أحوال الميت فى سكرات الموت وخطره فى خوف العاقبة ثم مقاساته لظلمة القبر

الانشراح فلما ضيع فى الأسبوع يعرف ذلك ويعتبره ويتقى جدا أن يلبس للناس اما المرتفع من الثياب أو ثياب المتقشفين ليرى بعين الزهد ففى لبس المرتفع للناس هوى وفى لبس الخشن رياء فلا يلبس إلا لله . بلغنا أن سفيان لبس القميص مقلوبا ولم يعلم بذلك حتى ارتفع النهار ونبهه على ذلك بعض الناس فهم أن يخلع ويغير ثم أمسك وقال لبسته بنية لله فلا أغيره فألبسه بنية للناس فليعلم العبد ذلك وليعتبره ولا بد للمبتدىء أن يكون له حظ من تلاوة القرآن ومن حفظه فيحفظ

وديدانه ثم لمنكر ونكير وسؤالهما ثم لعذاب القبر وخطره إن كان مغضوبا عليه وأعظم من ذلك كله الأخطار التي بين يديه من نفخ الصور والبعث يوم النشور والعرض على الجبار والسؤال عن القليل والكثير ونصب الميزان لمعرفة المقادير ثم جواز الصراط مع دقته وحدته ثم انتظار النداء عند فصل القضاء إما بالإسعاد وإما بالإشقاء فهذه أحوال وأهوال لابد لك من معرفتها ثم الإيمان بها على سبيل الجزم والتصديق ثم تطويل الفكر في ذلك لينبعث من قلبك دواعي الاستعداد لها وأكثر الناس لم يدخل الإيمان باليوم الآخر صميم قلوبهم ولم يتمكن من سويداء أفئدتهم ويدل على ذلك شدة تشمرهم واستعدادهم لحر الصيف وبرد الشتاء وتهاونهم بحر جهنم وزمهريرها مع ما تكتنفه من المصاعب والأهوال بل إذا سئلوا عن اليوم الآخر نطقت به ألسنتهم ثم غفلت عنه قلوبهم ومن أخبر بأن ما بين يديه من الطعام مسموم فقال لصاحبه الذي أخبره صدقت ثم مد يده لتناوله كان مصدقا بلسانه ومكذبا بعمله وتكذيب العمل أبلغ من تكذيب اللسان وقد قال النبي ﷺ « قال الله تعالى شتمني ابن آدم وما ينبغي له أن يشتمني وكذبني وما ينبغي له أن يكذبني أما شتمه اياي فيقول إن لي ولدا وأما تكذيبه فقوله لن يعيدني كما بدأني[1] » وإنما قصور البواطن عن قوة اليقين والتصديق بالبعث والنشور لقلة الفهم في هذا العالم لأمثال تلك الأمور ولو لم يشاهد الانسان توالد الحيوانات وقيل له إن صانعا يصنع من النطفة القذرة مثل هذا الآدمي المصور العاقل المتكلم المتصرف لاشتد نفور باطنه عن التصديق به ولذلك قال الله تعالى ـ أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ـ وقال تعالى أيحسب الانسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى ـ ففي خلق الآدمي مع كثرة عجائبه واختلاف تركيب أعضائه أعاجيب تزيد على الأعاجيب بعثه وإعادته فكيف ينكر ذلك من قدرة الله تعالى وحكمته من يشاهد ذلك في صنعته وقدرته فان كان في إيمانك ضعف فقو الإيمان بالنظر في النشأة الأولى فان الثانية مثلها وأسهل منها وإن كنت قوي الإيمان بها فأشعر قلبك تلك المخاوف والأخطار وأكثر فيها التفكر والاعتبار لتسلب عن قلبك الراحة والقرار فتشتغل بالتشمر للعرض على الجبار وتفكر أولا فيما يقرع سمع سكان القبور من شدة نفخ الصور فانها صيحة واحدة تنفرج بها القبور عن رءوس الموتى فيثورون دفعة واحدة فتوهم نفسك وقد وثبت متغيرا وجهك مغبرا بدنك من فرقك إلى قدمك من تراب قبرك مبهوتا من شدة الصعقة شاخص العين نحو النداء وقد ثار الخلق ثورة واحدة من القبور التي طال فيها بلاؤهم وقد أزعجهم الفزع والرعب مضافا إلى ما كان عندهم من الهموم والغموم وشدة الانتظار لعاقبة الأمر كما قال تعالى ـ ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون ـ وقال تعالى ـ فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير ـ وقال تعالى ـ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون ونفخ في الصور فاذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ـ فلو لم يكن بين يدي الموتى إلا هول تلك النفخة لكان ذلك جديرا بأن يتقى فانها نفخة وصيحة يصعق بها من في السموات والأرض يعني يموتون بها إلا من شاء الله وهو بعض الملائكة ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحنى الجبهة

من القرآن من السبع إلى الجميع إلى أقل أو أكثر كيف أمكن ولا يصغي إلى قول من يقول ملازمة ذكر واحد أفضل من تلاوة القرآن فانه يجد بتلاوة القرآن في الصلاة وفي غير الصلاة جميع ما يتمنى بتوفيق الله تعالى وإنما اختار بعض المشايخ أن يديم المريد ذكرا واحدا ليجتمع الهم فيه ومن لازم التلاوة في الخلوة وتمسك بالوحدة تفيده التلاوة والصلاة أو في ما يفيده الذكر الواحد فاذا سئم في بعض الأحايين يصانع النفس على الذكر مصانعة وينزل من التلاوة

(١) حديث قال الله تعالى شتمني ابن آدم وما ينبغي له أن يشتمني وكذبني وما ينبغي له أن يكذبني الحديث البخاري من حديث أبي هريرة .

وأصغى بالأذن ينتظر متى يؤمر فينفخ [١] » قال مقاتل : الصور هو القرن وذلك أن إسرافيل عليه السلام واضع فاه على القرن كهيئة البوق ودائرة رأس القرن كعرض السموات والأرض وهو شاخص ببصره نحو العرش ينتظر متى يؤمر فينفخ النفخة الأولى فاذا نفخ صعق من فى السموات والأرض أى مات كل حيوان من شدة الفزع إلا من شاء الله وهو جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ثم يأمر ملك الموت أن يقبض روح جبريل ثم روح ميكائيل ثم روح إسرافيل ثم يأمر ملك الموت فيموت ثم يلبث الخلق بعد النفخة الأولى فى البرزخ أربعين سنة ثم يحيي الله إسرافيل فيأمره أن ينفخ الثانية فذلك قوله تعالى ــ ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون ــ على أرجلهم ينظرون إلى البعث وقال صلى الله عليه وسلم « حين بعث إلى بعث إلى صاحب الصور فأهوى به إلى فيه وقدم رجلا وأخر أخرى ينتظر متى يؤمر بالنفخ ألا فاتقوا النفخة [٢] » فتفكر فى الخلائق وذلهم وانكسارهم واستكانتهم عند الانبعاث خوفا من هذه الصعقة وانتظارا لما يقضى عليهم من سعادة أو شقاوة وأنت فيما بينهم منكسر كانكسارهم متحير كتحيرهم بل إن كنت فى الدنيا من المترفهين والأغنياء المتنعمين فملوك الأرض فى ذلك اليوم أذل أهل أرض الجمع وأصغرهم وأحقرهم يوطئون بالأقدام مثل الذر وعند ذلك تقبل الوحوش من البرارى والجبال منكسة رءوسها مختلطة بالخلائق بعد توحشها ذليلة ليوم النشور من غير خطيئة تدنست بها ولكن حشرتهم شدة الصعقة وهول النفخة وشغلهم ذلك عن الهرب من الخلق والتوحش منهم وذلك قوله تعالى ــ وإذا الوحوش حشرت ــ ثم أقبلت الشياطين المردة بعد تمردها وعتوها وأذعنت خاشعة من هيبة العرض على الله تعالى تصديقا لقوله تعالى ــ فو ربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ــ فتفكر فى حالك وحال قلبك هنالك .

(صفة أرض المحشر وأهله)

ثم انظر كيف يساقون بعد البعث والنشور حفاة عراة غرلا إلى أرض المحشر أرض بيضاء قاع صفصف لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ولا ترى عليها ربوة يختفى الانسان وراءها ولا وهدة ينخفض عن الأعين فيها بل هو صعيد واحد بسيط لا تفاوت فيه يساقون إليه زمرا فسبحان من جمع الخلائق على اختلاف أصنافهم من أقطار الأرض إذ ساقهم بالراجفة تتبعها الرادفة والراجفة هى النفخة الأولى والرادفة هى النفخة الثانية وحقيق لتلك القلوب أن تكون يومئذ واجفة ولتلك الأبصار أن تكون خاشعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرص النقى ليس فيها معلم لأحد [٣] »

إلى الذكر فانه أخف على النفس وينبغى أن يعلم أن الاعتبار بالقلب فكل عمل من تلاوة وصلاة وذكر لا يجمع فيه بين القلب واللسان لا يعتد به كل الاعتداد فانه عمل ناقص ولا يحقر الوساوس وحديث النفس فانه مضروداء عضال فيطالب نفسه أن تصبر فى تلاوته معنى القرآن مكان حديث النفس من باطنه فكما أن التلاوة على اللسان هو مشتغل بها ولا يزعجها بكلام آخر هكذا يكون معنى القرآن فى القلب لا يزعجه بحديث النفس وإن كان أعجميا لا يعلم

(١) حديث كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحنى الجبهة الحديث الترمذى من حديث أبى سعيد وقال حسن ورواه ابن ماجه بلفظ إن صاحبى القرن بأيديهما أو فى أيديهما قرنان يلاحظان النظر متى يؤمران وفى رواية ابن ماجه الحجاج بن أرطاة مختلف فيه (٢) حديث حين بعث إلى بعث إلى صاحب الصور فأهوى به إلى فيه وقدم رجلا وأخر أخرى الحديث لم أجده هكذا بل قد ورد أن إسرافيل من حين ابتداء الخلق وهو كذلك كما رواه البخارى فى التاريخ وأبو الشيخ فى كتاب العظمة من حديث أبى هريرة إن الله تبارك وتعالى لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر قال البخارى ولم يصح وفى رواية لأبى الشيخ ماطرف صاحب الصور مذ وكل به مستعد ينظر نحو العرش مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد اليه طرفه كأن عينيه كوكبان دريان وإسنادها جيد (٣) حديث يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرص النقى ليس فيها معلم لأحد

قال

قال الراوى : والعفرة بياض ليس بالناصع والنقى هو النقى عن القشر والنخالة ومعلم أى لابناء يستر ولاتفاوت يرد البصر ، ولاتظنن أن تلك الأرض مثل أرض الدنيا بل لاتساويها إلافى الاسم قال تعالى ـ يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ـ . قال ابن عباس : يزاد فيها وينقص وتذهب أشجارها وجبالها وأوديتها ومافيها وتمد مد الأديم العكاظى أرض بيضاء مثل الفضة لم يسفك عليها دم ولم يعمل عليها خطيئة والسموات تذهب شمسها وقمرها ونجومها فانظر يامسكين فى هول ذلك اليوم وشدته فانه إذا اجتمع الخلائق على هذا الصعيد تناثرت من فوقهم نجوم السماء وطمس الشمس والقمر وأظلمت الأرض لخمود سراجها فبيناهم كذلك إذ دارت السماء من فوق رءوسهم وانشقت مع غلظها وشدتها خمسمائة عام والملائكة قيام على حافاتها وأرجائها فياهول صوت انشقاقها فى سمعك وياهيبة ليوم تنشق فيه السماء مع صلابتها وشدتها ثم تنهار وتسيل كالفضة المذابة تخالطها صفرة فصارت وردة كالدهان وصارت السماء كالمهل وصارت الجبال كالعهن واشتبك الناس كالفراش المبثوث وهم حفاة عراة مشاة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان . قالت سودة زوج النبى صلى الله عليه وسلم راوية الحديث قلت يارسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا إلى بعض فقال شغل الناس عن ذلك بهم ـ لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ـ [1] » فأعظم بيوم تنكشف فيه العورات ويؤمن فيه مع ذلك النظر والالتفات كيف وبعضهم يمشون على بطونهم ووجوههم فلاقدرة لهم على الالتفات إلى غيرهم قال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف ركبانا ومشاة وعلى وجوههم فقال رجل يارسول الله وكيف يمشون على وجوههم ؟ قال الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم [2] » فى طبع الآدمى إنكار كل مالم يأنس به ولو لم يشاهد الانسان الحية وهى تمشى على بطنها كالبرق الخاطف لأنكر تصور المشى على غير رجل والمشى بالرجل أيضا مستبعد عند من لم يشاهد ذلك فاياك أن تنكر شيئا من عجائب يوم القيامة لمخالفته قياس مافى الدنيا فانك لولم تكن قد شاهدت عجائب الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت أشد إنكارا لها فأحضر فى قلبك صورتك وأنت واقف عاريا مكشوفا ذليلا مدحورا متحيرا مبهوتا منتظرا لما يجرى عليك من القضاء بالسعادة أوبالشقاوة وأعظم هذه الحال فانها عظيمة .

معنى القرآن يكون لمراقبة حلية باطنه فيشغل باطنه بمطالعة نظر الله إليه مكان حديث النفس فان بالدوام على ذلك يصير من أرباب المشاهدة. قال مالك : قلوب الصديقين إذا سمعت القرآن طربت إلى الآخرة فليتمسك المريد بهذه الأصول وليستعن بدوام الافتقار إلى الله فبذلك ثبات قدمه . قال سهل : على قدر لزوم الالتجاء والافتقار إلى الله تعالى يعرف البلاء وعلى قدر معرفته بالبلاء يكون افتقاره إلى الله فدوام الافتقار إلى الله أصل كل خير

(صفة العرق)

ثم تفكر فى ازدحام الخلائق واجتماعهم حتى ازدحم على الموقف أهل السموات السبع والأرضين السبع من ملك وجن وإنس وشيطان ووحش وسبع وطير فأشرقت عليهم الشمس وقد تضاعف حرها وتبدلت عما كانت عليه من خفة أمرها ثم أدنيت من رءوس العالمين كقاب قوسين فلم يبق على الأرض ظل إلاظل عرش رب العالمين ولم يمكن من الاستظلال به إلاالمقربون فمن بين مستظل بالعرش وبين مضح لحر الشمس قد صهرته بحرها واشتد كربه وغمه من وهجها ثم تدافعت الخلائق ودفع

متفق عليه من حديث سهل بن سعد وفصل البخارى قوله ليس فيها معلم لأحد فجعلها من قول سهل أوغيره وأدرجها مسلم فيه (١) حديث يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان قالت سودة راوية الحديث واسوأتاه الحديث الثعلبى والبغوى وهو فى الصحيحين من حديث عائشة وهى القائلة واسوأتاه ورواه الطبرانى فى الأوسط من حديث أم سلمة وهى القائلة واسوأتاه (٢) حديث أبى هريرة يحشر الناس يوم القيامة ركبانا ومشاة على وجوههم الحديث رواه الترمذى وحسنه وفى الصحيحين من حديث أنس أن رجلا قال يانبى الله كيف يحشر الكافر على وجهه قال أليس الذى أمشاه على الرجلين فى الدنيا قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة .

بعضهم بعضا لشدة الزحام واختلاف الأقدام وانضاف إليه شدة الخجلة والحياء من الافتضاح والاختزاء عند العرض على جبار السماء فاجتمع وهج الشمس وحر الأنفاس واحتراق القلوب بنار الحياء والخوف ففاض العرق من أصل كل شعرة حتى سال على صعيد القيامة ثم ارتفع على أبدانهم على قدر منازلهم عند الله فبعضهم بلغ العرق ركبتيه وبعضهم حقويه وبعضهم إلى شحمة أذنيه وبعضهم كاد يغيب فيه. قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يوم يقوم الناس لرب العالمين ـ حتى يغيب أحدهم فى رشحه إلى أنصاف أذنيه (١)» وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم فى الأرض سبعين باعا ويلجمهم ويبلغ آذانهم (٢)» كذا رواه البخارى ومسلم فى الصحيح وفى حديث آخر «قياما شاخصة أبصارهم أربعين سنة إلى السماء فيلجمهم العرق من شدة الكرب (٣)» وقال عقبة بن عامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «تدنو الشمس من الأرض يوم القيامة فيعرق الناس فمن الناس من يبلغ عرقه عقبه ومنهم من يبلغ نصف ساقه ومنهم من يبلغ ركبته ومنهم من يبلغ فخذه ومنهم من يبلغ خاصرته ومنهم من يبلغ فاه، وأشار بيده فألجمها فاه، ومنهم من يغطيه العرق، وضرب بيده على رأسه هكذا (٤)» فتأمل يا مسكين فى عرق أهل المحشر وشدة كربهم وفيهم من ينادى فيقول رب أرحنى من هذا الكرب والانتظار ولو إلى النار وكل ذلك ولم يلقوا بعد حسابا ولا عقابا فانك واحد منهم ولا تدرى إلى أين يبلغ بك العرق. واعلم أن كل عرق لم يخرجه التعب فى سبيل الله من حج وجهاد وصيام وقيام وتردد فى قضاء حاجة مسلم وتحمل مشقة فى أمر بمعروف ونهى عن منكر فسيخرجه الحياء والخوف فى صعيد القيامة ويطول فيه الكرب ولو سلم ابن آدم من الجهل والغرور لعلم أن تعب العرق فى تحمل مصاعب الطاعات أهون أمرا وأقصر زمانا من عرق الكرب والانتظار فى القيامة فانه يوم عظيمة شدته طويلة مدته.

(صفة طول يوم القيامة)

يوم تقف فيه الخلائق شاخصة أبصارهم منفطرة قلوبهم لا يكلمون ولا ينظر فى أمورهم يقفون ثلثمائة عام لا يأكلون فيه أكلة ولا يشربون فيه شربة ولا يجدون فيه روح نسيم. قال كعب وقتادة ـ يوم يقوم الناس لرب العالمين ـ قال يقومون مقدار ثلثمائة عام بل قال عبدالله بن عمر وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ثم قال «كيف بكم إذا جمعكم الله كما تجمع النبل فى الكنانة خمسين ألف سنة لا ينظر إليكم (٥)» وقال الحسن ما ظنك بيوم قاموا فيه على أقدامهم مقدار خمسين ألف سنة

ومفتاح كل علم دقيق فى طريق القوم وهذا الافتقار مع كل الأنفاس لا ينشبث بحركة ولا يستقل بكلمة دون الافتقار إلى الله فيها وكل كلمة وحركة خلت عن مراجعة الله والافتقار فيها لا تعقب خيرا قطعا علمنا ذلك وتحققناه. وقال سهل من انتقل من نفس إلى نفس من غير ذكر فقد ضيع حاله وأدنى ما يدخل على من ضيع حاله دخوله فيما لا يعنيه وتركه ما يعنيه. وبلغنا أن حسان بن سنان قال ذات يوم لمن عنده الدار ثم رجع إلى

---

(١) حديث ابن عمر يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم فى رشحه إلى أنصاف أذنيه متفق عليه (٢) حديث أبى هريرة يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم فى الأرض سبعين ذراعا الحديث أخرجاه فى الصحيحين كما ذكره المصنف (٣) حديث قياما شاخصة أبصارهم أربعين سنة إلى السماء يلجمهم العرق من شدة الكرب ابن عدى من حديث ابن مسعود وفيه أبو طيبة عيسى ابن سليمان الجرجانى ضعفه ابن معين وقال ابن عدى لا أظن أنه كان يتعمد الكذب لكن لعله تشبه عليه (٤) حديث عقبة بن عامر تدنو الشمس من الأرض يوم القيامة فيعرق الناس فمنهم من يبلغ عرقه عقبه الحديث رواه أحمد وفيه ابن لهيعة (٥) حديث ابن عمرو تلا هذه الآية يوم يقوم الناس لرب العالمين ثم قال كيف بكم إذا جمعكم الله كما يجمع النبل فى الكنانة خمسين ألف سنة لا ينظر إليكم قلت إنما هو عبدالله بن عمرو ورواه الطبرانى فى الكبير وفيه عبد الرحمن بن ميسرة ولم يذكر له ابن أبى حاتم راويا غير ابن وهب ولهم عبدالرحمن بن ميسرة الحضرمى أربعة هذا أحدهم مصرى والثلاثة الآخرون شاميون.

لا يأكلون فيها أكلة ولا يشربون فيها شربة حتى إذا انقطعت أعناقهم عطشا واحترقت أجوافهم جوعا انصرف بهم إلى النار فسقوا من عين آنية قد آن حرها واشتد لفحها فلما بلغ المجهود منهم مالا طاقة لهم به كلم بعضهم بعضا فى طلب من يكرم على مولاه ليشفع فى حقهم فلم يتعلقوا بنبى إلا دفعهم وقال دعونى نفسى نفسى شغلنى أمرى عن أمر غيرى واعتذر كل واحد بشدة غضب الله تعالى وقال قد غضب اليوم ربنا غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله حتى يشفع نبينا صلى الله عليه وسلم لمن يؤذن له فيه ـ لا يملكون الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا ـ فتأمل فى طول هذا اليوم وشدة الانتظار فيه حتى يخف عليك انتظار الصبر عن المعاصى فى عمرك المختصر. واعلم أن من طال انتظاره فى الدنيا للموت لشدة مقاساته للصبر عن الشهوات فانه يقصر انتظاره فى ذلك اليوم خاصة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن طول ذلك اليوم فقال «والذى نفسى بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أهون عليه من الصلاة المكتوبة يصليها فى الدنيا[1]» فاجتهد أن تكون من أولئك المؤمنين فمادام يبقى لك نفس من عمرك فالأمر إليك والاستعداد بيدك فاعمل فى أيام قصار لأيام طوال تربح ربحا لا منتهى لسروره واستحقر عمرك بل عمر الدنيا وهو سبعة آلاف سنة فانك لو صبرت سبعة آلاف سنة مثلا لتخلص من يوم مقداره خمسون ألفا لكان ربحك كثيرا وتعبك يسيرا.

نفسه وقال مالى وهذا السؤال وهل هذه إلا كلة لا تعنينى وهل هذا إلا لاستيلاء نفسى وقلة أدبها وآلى على نفسه أن يصوم سنة كفارة لهذه الكلمة فبالصدق نالوا مانالوا وبقوة العزائم عزائم الرجال بلغوا ما بلغوا. أخبرنا أبو زرعة إجازة قال أنا أبو بكر بن خلف قال أنا أبو عبد الرحمن قال سمعت منصورا يقول سمعت أبا عمرو الأنماطى يقول سمعت الجنيد يقول لو أقبل صادق على الله ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة لكان ما فاته من الله أكثر مما ناله وهذه

(صفة يوم القيامة ودواهيه وأساميه)

فاستعد يامسكين لهذا اليوم العظيم شأنه المديد زمانه القاهر سلطانه القريب أوانه، يوم ترى السماء فيه قد انفطرت، والكواكب من هوله قد انتثرت، والنجوم الزواهر قد انكدرت، والشمس قد كورت، والجبال قد سيرت، والعشار قد عطلت، والوحوش قد حشرت، والبحار قد سجرت والنفوس إلى الأبدان قد زوجت، والجحيم قد سعرت، والجنة قد أزلفت، والجبال قد نسفت، والأرض قد مدت، يوم ترى الأرض قد زلزلت فيه زلزالها، وأخرجت الأرض أثقالها، يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم، يوم تحمل الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة، فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهى يومئذ واهية، والملك على أرجائها، ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية، يوم تسير الجبال وترى الأرض بارزة، يوم ترج الأرض فيه رجا وتبس الجبال بسا فكانت هباء منبثا، يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش، يوم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد، يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار، يوم تنسف فيه الجبال نسفا فتترك قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا، يوم ترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب، يوم تنشق فيه السماء فتكون وردة كالدهان، فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان، يوم يمنع فيه العاصى من الكلام ولا يسئل فيه عن الإجرام بل يؤخذ بالنواصى والأقدام، يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا، يوم تعلم فيه كل نفس ما أحضرت وتشهد ماقدمت وأخرت يوم تخرس فيه الألسن

---

(١) حديث سئل عن طول ذلك اليوم فقال والذى نفسى بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أهون عليه من الصلاة المكتوبة يصليها فى الدنيا أبو يعلى والبيهقى فى الشعب من حديث أبى سعيد الخدرى وفيه ابن لهيعة وقد رواه ابن وهب عن عمرو بن الحارث بدل ابن لهيعة وهو حسن ولأبى يعلى من حديث أبى هريرة باسناد جيد يهون ذلك على المؤمن كتدلى الشمس للغروب إلى أن تغرب ورواه البيهقى فى الشعب إلى أن قال أظنه رفعه بلفظ إن الله ليخفف على من يشاء من عباده طوله كوقت صلاة مفروضة.

وتنطق الجوارح يوم شيب ذكره سيد المرسلين إذ قال له الصديق رضى الله عنه : أراك قد شبت يارسول الله قال «شيبتنى هود وأخواتها[(١)]» وهى الواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كوّرت؛ فيا أيها القارىء العاجز إنما حظك من قراءتك أن تجمجم القرآن وتحرك به اللسان ولو كنت متفكرا فيما تقرؤه لكنت جديرا بأن تنشق مرارتك مما شاب منه شعر سيد المرسلين وإذا قنعت بحركة اللسان فقد حرمت ثمرة القرآن فالقيامة أحد ماذكر فيه وقد وصف الله بعض دواهيها وأكثر من أساميها لتقف بكثرة أساميها على كثرة معانيها فليس المقصود بكثرة الأسامى تكرير الأسامى والألقاب بل الغرض تنبيه أولى الألباب فتحت كل اسم من أسماء القيامة سر وفى كل نعت من نعوتها معنى فاحرص على معرفة معانيها ونحن الآن نجمع لك أساميها . وهى : يوم القيامة ويوم الحسرة ويوم الندامة ويوم المحاسبة ويوم المساءلة ويوم المسابقة ويوم المناقشة ويوم المنافسة ويوم الزلزلة ويوم الدمدمة ويوم الصاعقة ويوم الواقعة ويوم القارعة ويوم الراجفة ويوم الرادفة ويوم الغاشية ويوم الداهية ويوم الآزفة ويوم الحاقة ويوم الطامة ويوم الصاخة ويوم التلاق ويوم الفراق ويوم المساق ويوم القصاص ويوم التناد ويوم الحساب ويوم المآب ويوم العذاب ويوم الفرار ويوم القرار ويوم اللقاء ويوم البقاء ويوم القضاء ويوم الجزاء ويوم البلاء ويوم البكاء ويوم الحشر ويوم الوعيد ويوم العرض ويوم الوزن ويوم الحق ويوم الحكم ويوم الفصل ويوم الجمع ويوم البعث ويوم الفتح ويوم الخزى ويوم عظيم ويوم عقيم ويوم عسير ويوم الدين ويوم اليقين ويوم النشور ويوم المصير ويوم النفخة ويوم الصيحة ويوم الرجفة ويوم الرجة ويوم الزجرة ويوم السكرة ويوم الفزع ويوم الجزع ويوم المنتهى ويوم المأوى ويوم الميقات ويوم الميعاد ويوم المرصاد ويوم القلق ويوم العرق ويوم الافتقار ويوم الانكدار ويوم الانتشار ويوم الانشقاق ويوم الوقوف ويوم الخروج ويوم الخلود ويوم التغابن ويوم عبوس ويوم معلوم ويوم موعود ويوم مشهود ويوم لاريب فيه ويوم تبلى السرائر ويوم لاتجزى نفس عن نفس شيئا ويوم تشخص فيه الأبصار ويوم لايغنى مولى عن مولى شيئا ويوم لاتملك نفس لنفس شيئا ويوم يدعون إلى نار جهنم دعا ويوم يسحبون فى النار على وجوههم ويوم تقلب وجوههم فى النار ويوم لايجزى والد عن ولده ويوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه ويوم لاينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون يوم لامرد له من الله يوم هم بارزون يوم هم على النار يفتنون يوم لاينفع مال ولا بنون يوم لاتنفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار يوم ترد فيه المعاذير وتبلى السرائر وتظهر الضمائر وتكشف الأستار يوم تخشع فيه الأبصار وتسكن الأصوات ويقل فيه الالتفات وتبرز الخفيات وتظهر الخطيئات يوم يساق العباد ومعهم الأشهاد ويشيب الصغير ويسكر الكبير فيومئذ وضعت الموازين ونشرت الدواوين وبرزت الجحيم وأغلى الحميم وزفرت النار ويئس الكفار وسعرت النيران وتغيرت الألوان وخرس اللسان ونطقت جوارح الانسان فيا أيها الانسان ماغرك بربك الكريم حيث أغلقت الأبواب وأرخيت الستور واستترت عن الخلائق فقارفت الفجور فماذا تفعل وقد شهدت عليك جوارحك فالويل كل الويل لنا معاشر الغافلين يرسل الله لنا سيد المرسلين وينزل عليه الكتاب المبين ويخبرنا بهذه الصفات من نعوت يوم الدين ثم يعرفنا غفلتنا ويقول ـ اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون مايأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم ـ ثم يعرفنا قرب القيامة فيقول اقتربت الساعة

(١) حديث شيبتنى هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كوّرت الترمذى وحسنه والحاكم وصححه وقد تقدم .

الجملة يحتاج المبتدىء أن يحكمها والمنتهى عالم بها عامل بحقائقها فالمبتدىء صادق والمنتهى صدّيق قال أبو سعيد القرشى الصادق الذى ظاهره مستقيم وباطنه يميل أحيانا إلى حظ النفس وعلامته أن يجد الحلاوة فى بعض الطاعة ولا يجدها فى بعض وإذا اشتغل بالذكر نور الروح وإذا اشتغل بحظوظ النفس يحجب عن الأذكار والصديق الذى استقام ظاهره وباطنه يعبد الله تعالى بتلوين الأحوال لايحجبه عن الله وعن الأذكار أكل

وانشق القمر – إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا – ومايدريك لعل الساعة تكون قريبا – ثم يكون أحسن أحوالنا أن نتخذ دراسة هذا القرآن عملا فلا نتدبر معانيه ولا ننظر فى كثرة أوصاف هذا اليوم وأساميه ولا نستعد للتخلص من دواهيه فنعوذ بالله من هذه الغفلة إن لم يداركنا الله بواسع رحمته.

(صفة المساءلة)

ثم تفكر يامسكين بعد هذه الأحوال فيما يتوجه عليك من السؤال شفاها من غير ترجمان فتسئل عن القليل والكثير والنقير والقطمير فبينا أنت فى كرب القيامة وعرقها وشدة عظائمها إذ نزلت ملائكة من أرجاء السماء بأجسام عظام وأشخاص ضخام غلاظ شداد أمروا أن يأخذوا بنواصى المجرمين إلى موقف العرض على الجبار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لله عز وجل ملكا مابين شفرى عينيه مسيرة مائة عام [1] » فما ظنك بنفسك إذا شاهدت مثل هؤلاء الملائكة أرسلوا إليك ليأخذوك إلى مقام العرض وتراهم على عظم أشخاصهم منكسرين لشدة اليوم مستشعرين عما بدا من غضب الجبار على عباده وعند نزولهم لا يبقى نبى ولا صديق ولا صالح إلا ويخرون لأذقانهم خوفا من أن يكونوا هم المأخوذين فهذا حال المقربين فما ظنك بالعصاة المجرمين وعند ذلك يبادر أقوام من شدة الفزع فيقولون للملائكة أفيكم ربنا وذلك لعظم موكبهم وشدة هيبتهم فتفزع الملائكة من سؤالهم إجلالا لخالقهم عن أن يكون فيهم فنادوا بأصواتهم منزهين لمليكهم عما توهمه أهل الأرض وقالوا سبحان ربنا ماهو فينا ولكنه آت من بعد وعند ذلك تقوم الملائكة صفا محدقين بالخلائق من الجوانب وعلى جميعهم شعار الذل والخضوع وهيئة الخوف والمهابة لشدة اليوم وعند ذلك يصدق الله تعالى قوله – فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين – وقوله – فو ربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون – فيبدأ سبحانه بالأنبياء – يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب – فيا لشدة يوم تذهل فيه عقول الأنبياء وتنمحى علومهم من شدة الهيبة إذ يقال لهم ماذا أجبتم وقد أرسلتم إلى الخلائق وكانوا قد علموا فتدهش عقولهم فلا يدرون بماذا يجيبون فيقولون من شدة الهيبة لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب وهم فى ذلك الوقت صادقون إذ طارت منهم العقول وانمحت العلوم إلى أن يقويهم الله تعالى فيدعى نوح عليه السلام فيقال له هل بلغت فيقول نعم فيقال لأمته هل بلغكم فيقولون ما أتانا من نذير ويؤتى بعيسى عليه السلام فيقول الله تعالى له أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله فيبقى متشحطا تحت هيبة هذا السؤال سنين فيالعظم يوم تقام فيه السياسة على الأنبياء بمثل هذا السؤال ثم تقبل الملائكة فينادون واحدا واحدا يافلان بن فلانة هلم إلى موقف العرض وعند ذلك ترتعد الفرائص وتضطرب الجوارح وتبهت العقول ويتمنى أقوام أن يذهب بهم إلى النار ولا تعرض قبائح أعمالهم على الجبار ولا يكشف سترهم على ملأ الخلائق وقبل الابتداء بالسؤال يظهر نور العرش – وأشرقت الأرض بنور ربها – وأيقن قلب كل عبد باقبال الجبار لمساءلة العباد وظن كل واحد أنه مايراه أحد سواه وأنه المقصود بالأخذ والسؤال دون من عداه فيقول الجبار سبحانه وتعالى عند ذلك ياجبريل ائتنى بالنار فيجىء بها جبريل ويقول ياجهنم أجيبى خالقك ومليكك فيصادفها جبريل على غيظها وغضبها فلم يلبث بعد ندائه أن ثارت وفارت وزفرت إلى الخلائق وشهقت وسمع الخلائق تغيظها وزفيرها وانتهضت خزنتها متوثبة إلى الخلائق غضبا على من عصى الله تعالى وخالف أمره فأخطر ببالك وأحضر فى قلبك حالة قلوب العباد وقد امتلأت فزعا ورعبا فتساقطوا جثيا على الركب

ولا نوم ولا شرب ولا طعام والصديق يريد نفسه لله وأقرب الأحوال إلى النبوة الصديقية . وقال أبو يزيد : آخر نهايات الصديقين أول درجة الأنبياء . واعلم أن أرباب النهايات استقامت بواطنهم وظواهرهم لله وأرواحهم خلصت عن ظلمات النفوس ووطئت بساط القرب ونفوسهم منقادة مطواعة صالحة مع القلوب مجيبة إلى كل ما تجيب إليه القلوب أرواحهم متعلقة بالمقام الأعلى انطفأت فيهم نيران الهوى وتخمر فى بواطنهم

(١) حديث إن لله عز وجل ملكا مابين شفرى عينيه مسيرة خمسمائة عام لم أره بهذا اللفظ .

وولوا مدبرين - يوم ترى كل أمة جاثية - وسقط بعضهم على الوجوه منكبين وينادى العصاة والظالمون بالويل والثبور وينادى الصديقون نفسى نفسى فبينما هم كذلك إذ زفرت النار زفرتها الثانية فتضاعف خوفهم وتخاذلت قواهم وظنوا أنهم مأخوذون ثم زفرت الثالثة فتساقط الخلائق على وجوههم وشخصوا بأبصارهم ينظرون من طرف خفى خاشع وانهضمت عند ذلك قلوب الظالمين فبلغت الحناجر كاظمين وذهلت العقول من السعداء والأشقياء أجمعين وبعد ذلك أقبل الله تعالى على الرسل وقال ماذا أجبتم فاذا رأوا ماقد أقيم من السياسة على الأنبياء اشتد الفزع على العصاة ففر الوالد من ولده والأخ من أخيه والزوج من زوجته وبقى كل واحد منتظرا لأمره ثم يؤخذ واحد واحد فيسأله الله تعالى شفاها عن قليل عمله وكثيره وعن سره وعلانيته وعن جميع جوارحه وأعضائه قال أبو هريرة « قالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة فقال هل تضارون فى رؤية الشمس فى الظهيرة ليس دونها سحاب قالوا لا «قال فهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا لا «قال فوالذى نفسى بيده لاتضارون فى رؤية ربكم فيلقى العبد فيقول له ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والابل وأذرك ترأس وتربع فيقول العبد بلى فيقول أظننت أنك ملاقى فيقول لا، فيقول فأنا أنساك كما نسيتنى (١) » فتوهم نفسك يامسكين وقد أخذت الملائكة بعضديك وأنت واقف بين يدى الله تعالى يسألك شفاها فيقول لك ألم أنعم عليك بالشباب فيما ذا أبليته ألم أمهل لك فى العمر فيما ذا أفنيته ألم أرزقك المال فمن أين اكتسبته وفيما ذا أنفقته ألم أكرمك بالعلم فماذا عملت فيما علمت فكيف ترى حياءك وخجلتك وهو يعد عليك إنعامه ومعاصيك وأياديه ومساويك فان أنكرت شهدت عليك جوارحك . قال أنس رضى الله عنه « كنا مع رسول الله ﷺ فضحك ثم قال أتدرون مم أضحك قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه يقول يارب ألم تجرنى من الظلم قال يقول بلى قال فيقول فانى لا أجيز على نفسى إلا شاهدا منى فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقى قال فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول لأعضائه بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل (٢) » فنعوذ بالله من الافتضاح على ملأ الخلق بشهادة الأعضاء إلا أن الله تعالى وعد المؤمن بأن يستر عليه ولا يطلع عليه غيره . سأل ابن عمر رجل فقال له كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى النجوى فقال قال رسول الله ﷺ « يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم ثم يقول إنى سترتها عليك فى الدنيا وإنى أغفرها لك اليوم (٣) » وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ستر على مؤمن عورته ستر الله عورته يوم القيامة (٤) » فهذا إنما يرجى لعبد مؤمن ستر على الناس عيوبهم واحتمل فى حق نفسه تقصيرهم ولم يحرك لسانه بذكر مساويهم ولم يذكرهم فى غيبتهم بما يكرهون لو سمعوه فهذا جدير بأن يجازى بمثله فى القيامة وهب أنه قد ستره عن غيرك أليس قد قرع سمعك النداء إلى العرض فيكفيك تلك الروعة جزاء عن ذنوبك إذ يؤخذ بناصيتك فتقاد وفؤادك مضطرب ولبك طائر وفرائصك مرتعدة وجوارحك مضطربة ولونك متغير والعالم عليك من شدة الهول مظلم فقدر

صريح العلم وانكشفت لهم الاخرة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حق أبى بكر رضى الله عنه « من أراد أن ينظر إلى ميت يمشى على وجه الأرض فلينظر إلى أبى بكر » إشارة منه عليه الصلاة والسلام إلى ماكوشف به من صريح العلم الذى لايصل إليه عوام المؤمنين إلا بعد الموت حيث يقال - فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد - فأرباب النهايات ماتت أهويتهم وخلصت أرواحهم . قال يحيى بن معاذ وقد سئل عن وصف العارف فقال رجل

(١) حديث أبى هريرة هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تضارن فى رؤية الشمس فى الظهيرة ليس دونها سحاب الحديث متفق عليه دون قوله فيلقى العبد الخ فانفرد بها مسلم (٢) حديث أنس أتدرون مم أضحك قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه الحديث رواه مسلم (٣) حديث سأل ابن عمر رجل فقال كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى النجوى الحديث رواه مسلم (٤) حديث من ستر على مؤمن عورته ستر الله عورته يوم القيامة تقدم .

نفسك وأنت بهذه الصفة تتخطى الرقاب وتخرق الصفوف وتقاد كما تقاد الفرس المجنوب وقد رفع الخلائق إليك أبصارهم فتوهم نفسك أنك فى أيدى الموكلين بك على هذه الصفة حتى انتهى بك إلى عرش الرحمن فرموك من أيديهم وناداك الله سبحانه وتعالى بعظيم كلامه يا ابن آدم ادن منى فدنوت منه بقلب خافق محزون وجل وطرف خاشع ذليل وفؤاد منكسر وأعطيت كتابك الذى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها فكم من فاحشة نسيتها فتذكرتها وكم من طاعة غفلت عن آفاتها فانكشف لك عن مساويها فكم لك من خجل وجبن وكم لك من حصر وعجز فليت شعرى بأى قدم تقف بين يديه وبأى لسان تجيب وبأى قلب تعقل ما تقول ثم تفكر فى عظم حيائك إذا ذكرك ذنوبك شفاها إذ يقول يا عبدى أما استحييت منى فبارزتنى بالقبيح واستحييت من خلقى فأظهرت لهم الجميل أكنت أهون عليك من سائر عبادى استخففت بنظرى إليك فلم تكترث واستعظمت نظر غيرى ألم أنعم عليك فماذا غرك بى أظننت أنى لا أراك وأنك لا تلاقانى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما منكم من أحد إلا ويسأله الله رب العالمين ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان[1]» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليقفن أحدكم بين يدى الله عز وجل ليس بينه وبينه حجاب فيقول له ألم أنعم عليك ألم أوتك مالا فيقول بلى فيقول ألم أرسل إليك رسولا فيقول بلى ثم ينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار ثم ينظر عن شماله فلا يرى إلا النار فليتق أحدكم النار ولو بشق تمرة فإن لم يجد فبكلمة طيبة[2]» وقال ابن مسعود ما منكم من أحد إلا سيخلو الله عز وجل به كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر ثم يقول يا ابن آدم ما غرك بى يا ابن آدم ما عملت فيما علمت يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين يا ابن آدم ألم أكن رقيبا على عينك وأنت تنظر بها إلى ما لا يحل لك ألم أكن رقيبا على أذنيك وهكذا حتى عد سائر أعضائه وقال مجاهد لا تزول قدما عبد يوم القيامة من بين يدى الله عز وجل حتى يسأله عن أربع خصال عن عمره فيما أفناه وعن علمه ما عمل فيه وعن جسده فيما أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه فأعظم يا مسكين بحيائك عند ذلك وبخطرك فإنك بين أن يقال لك سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فعند ذلك يعظم سرورك وفرحك ويغبطك الأولون والآخرون وإما أن يقال للملائكة خذوا هذا العبد السوء فغلوه ثم الجحيم صلوه وعند ذلك لو بكت السموات والأرض عليك لكان ذلك جديرا بعظم مصيبتك وشدة حسرتك على ما فرطت فيه من طاعة الله وعلى ما بعت آخرتك من دنيا دنيئة لم تبق معك.

(صفة الميزان)

ثم لا تغفل عن الفكر فى الميزان وتطاير الكتب إلى الأيمان والشمائل فإن الناس بعد السؤال ثلاث فرق فرقة ليس لهم حسنة فيخرج من النار عنق أسود فيلقطهم لقط الطير الحب وينطوى عليهم ويلقيهم فى النار فتبتلعهم النار وينادى عليهم شقاوة لا سعادة بعدها وقسم آخر لا سيئة لهم فينادى مناد ليقم الحامدون لله على كل حال فيقومون ويسرحون إلى الجنة ثم يفعل ذلك بأهل قيام الليل ثم بمن لم تشغله تجارة الدنيا ولا بيعها عن ذكر الله تعالى وينادى عليهم سعادة لا شقاوة بعدها ويبقى قسم ثالث وهم الأكثرون خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وقد يخفى عليهم ولا يخفى على الله تعالى أن الغالب حسناتهم أو سيئاتهم ولكن يأبى الله إلا أن يعرفهم ذلك ليبين فضله عند العفو وعدله عند العقاب فتتطاير الصحف والكتب منطوية على الحسنات والسيئات وينصب الميزان وتشخص الأبصار إلى الكتب أتقع فى اليمين أو فى الشمال ثم إلى لسان الميزان أيميل إلى جانب السيئات أو إلى جانب الحسنات

(١) حديث ما منكم من أحد إلا ويسأله رب العالمين الحديث متفق عليه من حديث ابن عدى عن أبى حاتم بلفظ إلا سيكلمه الحديث (٢) حديث ليقفن أحدكم بين يدى الله تعالى ليس بينه وبينه ترجمان الحديث البخارى من حديث عدى بن حاتم .

معهم بائن منهم وقال مرة عبد كان فبان فأرباب النهايات هم عند الله بحقيقتهم معوقين بتوقيت الأجل جعلهم الله تعالى من جنوده فى خلقه بهم يهدى وبهم يرشد وبهم يجذب أهل الارادة كلامهم دواء ونظرهم دواء ظاهرهم محفوظ بالحكم وباطنهم معمور بالعلم . قال ذو النون علامة العارف ثلاثة لا يطفىء نور معرفته نور ورعه ولا يعتقد باطنا من العلم ينقض عليه ظاهرا من الحكم ولا يحمله كثرة نعم الله وكرامته على هتك أستار محارم الله فأرباب النهايات

وهذه حالة هائلة تطيش فيها عقول الخلائق . وروى الحسن « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رأسه فى حجر عائشة رضى الله عنها فنعس فذكرت الآخرة فبكت حتى سال دمعها فنقط على خد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتبه فقال مايبكيك ياعائشة ؟ قالت ذكرت الآخرة هل تذكرون أهليكم يوم القيامة قال والذى نفسى بيده فى ثلاثة مواطن فان أحدا لايذكر إلا نفسه: إذا وضعت الموازين ووزنت الأعمال حتى ينظر ابن آدم أيخف ميزانه أم يثقل ، وعند الصحف حتى ينظر أبيمينه يأخذ كتابه أو بشماله ، وعند الصراط (١) » . وعن أنس « يؤتى بابن آدم يوم القيامة حتى يوقف بين كفتى الميزان ويوكل به ملك فان ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق سعد فلان سعادة لايشقى بعدها أبدا وإن خف ميزانه نادى بصوت يسمع الخلائق شقى فلان شقاوة لايسعد بعدها أبدا وعند خفة كفة الحسنات تقبل الزبانية وبأيديهم مقامع من حديد عليهم ثياب من نار فيأخذون نصيب النار إلى النار » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يوم القيامة « إنه يوم ينادى الله تعالى فيه آدم عليه السلام فيقول له قم يا آدم فابعث بعث النار فيقول وكم بعث النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فلما سمع الصحابة ذلك أبلسوا حتى ماأوضحوا بضاحكة فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماعند أصحابه قال اعملوا وأبشروا فو الذى نفس محمد بيده إن معكم لخليقتين ما كانتا مع أحد قط إلا كثرتاه مع من هلك من بنى آدم وبنى إبليس قالوا وما هما يارسول الله ؟ قال يأجوج ومأجوج قال فسرى عن القوم فقال اعملوا وأبشروا فو الذى نفس محمد بيده ما أنتم فى الناس يوم القيامة إلا كالشامة فى جنب البعير أو كالرقمة فى ذراع الدابة (٢) »

كلما ازدادوا نعمة ازدادوا عبودية وكلما ازدادوا دنيا ازدادوا قربا وكلما ازدادوا جاها ورفعة ازدادوا تواضعا وذلة_ أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين_ وكلما تناولوا شهوة من شهوات النفوس استخرجت منهم شكرا صافيا يتناولون الشهوات تارة رفقا بالنفوس لأنها معهم كالطفل الذى يلطف بالشىء ويهدى له شىء لأنه مقهور تحت السياسة مرحوم ملطوف به وتارة يمنعون نفوسهم الشهوات تأسيا بالأنبياء واختيارهم التقلل من الشهوات الدنيوية قال

(صفة الخصماء وردّ المظالم)

قد عرفت هول الميزان وخطره وأن الأعين شاخصة إلى لسان الميزان ـ فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ماهيه نار حامية ـ واعلم أنه لاينجو من خطر الميزان إلا من حاسب فى الدنيا نفسه ووزن فيها بميزان الشرع أعماله وأقواله وخطراته ولحظاته كما قال عمر رضى الله عنه : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وإنما حسابه لنفسه أن يتوب عن كل معصية قبل الموت توبة نصوحا ويتدارك مافرط من تقصيره فى فرائض الله تعالى ويرد المظالم حبة بعد حبة ويستحل كل من تعرض له بلسانه ويده وسوء ظنه بقلبه ويطيب قلوبهم حتى يموت ولم يبق عليه مظلمة ولا فريضة فهذا يدخل الجنة بغير حساب وإن مات قبل رد المظالم أحاط به خصماؤه فهذا يأخذ بيده وهذا يقبض على ناصيته وهذا يتعلق بلببه هذا يقول ظلمتنى وهذا يقول شتمتنى وهذا يقول استهزأت بى وهذا يقول ذكرتنى فى الغيبة بما يسوءنى وهذا يقول جاورتنى فأسأت جوارى وهذا يقول عاملتنى فغششتنى وهذا يقول بايعتنى فغبنتنى وأخفيت عنى عيب سلعتك وهذا يقول كذبت فى سعر

(١) حديث الحسن أن عائشة ذكرت الآخرة فبكت الحديث وفيه فقال مايبكيك ياعائشة قالت ذكرت الآخرة هل تذكرون أهليكم يوم القيامة الحديث أبو داود من رواية الحسن أنها ذكرت النار فبكت فقال ما يبكيك دون كون رأسه صلى الله عليه وسلم فى حجرها وأنه نعس وإسناده جيد

(٢) حديث يقول الله ياآدم قم فابعث بعث النار فيقول وكم بعث النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسع وتسعون الحديث متفق عليه من حديث أبى سعيد الخدرى ورواه البخارى من حديث أبى هريرة نحوه وقد تقدم .

متاعك

متاعك وهذا يقول رأيتنى محتاجا وكنت غنيا فما أطعمتنى وهذا يقول وجدتنى مظلوما وكنت قادرا على دفع الظلم عنى فداهنت الظالم وما راعيتنى ، فبينا أنت كذلك وقد أنشب الخصماء فيك مخالبهم وأحكموا فى تلابيبك أيديهم وأنت مبهوت متحير من كثرتهم حتى لم يبق فى عمرك أحد عاملته على درهم أو جالسته فى مجلس إلا وقد استحق عليك مظلمة بغيبة أو خيانة أو نظر بعين استحقار وقد ضعفت عن مقاومتهم ومددت عنق الرجاء إلى سيدك ومولاك لعله يخلصك من أيديهم إذ قرع سمعك نداء الجبار جل جلاله ـ اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لاظلم اليوم ـ فعند ذلك ينخلع قلبك من الهيبة وتوقن نفسك بالبوار وتتذكر ما أنذرك الله تعالى على لسان رسوله حيث قال ـ ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين مقنعى رءوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء وأنذر الناس ـ الآية فما أشد فرحك اليوم بتمضمضك بأعراض الناس وتناولك أموالهم وما أشد حسراتك فى ذلك اليوم إذا وقف ربك على بساط العدل وشوفهت بخطاب السياسة وأنت مفلس فقير عاجز مهين لاتقدر على أن ترد حقا أو تظهر عذرا فعند ذلك تؤخذ حسناتك التى تعبت فيها عمرك وتنقل إلى خصمائك عوضا عن حقوقهم . قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هل تدرون من المفلس قلنا المفلس فينا يارسول الله من لادرهم له ولا دينار ولا متاع قال المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ماعليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار (١) » ، فانظر إلى مصيبتك فى مثل هذا اليوم إذ ليس يسلم لك حسنة من آفات الرياء ومكايد الشيطان ، فإن سلمت حسنة واحدة فى كل مدة طويلة ابتدرها خصماؤك وأخذوها ، ولعلك لو حاسبت نفسك وأنت مواظب على صيام النهار وقيام الليل لعلمت أنه لاينقضى عنك يوم إلا ويجرى على لسانك من غيبة المسلمين مايستوفى جميع حسناتك فكيف ببقية السيئات من أكل الحرام والشبهات والتقصير فى الطاعات وكيف ترجو الخلاص من المظالم فى يوم يقتص فيه للجماء من القرناء ، فقد روى أبو ذر « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى شاتين ينتطحان فقال ياأبا ذر أتدرى فيم ينتطحان قلت لا قال ولكن الله يدرى وسيقضى بينهما يوم القيامة (٢) » . وقال أبو هريرة فى قوله عز وجل ـ ومامن دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ـ إنه يحشر الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطير وكل شىء فيبلغ من عدل الله تعالى أن يأخذ للجماء من القرناء ثم يقول كونى ترابا فذلك حين يقول الكافر ياليتنى كنت ترابا فكنت أنت يامسكين فى يوم ترى صحيفتك خالية عن حسنات طال فيها تعبك فتقول أين حسناتى فيقال نقلت إلى صحيفة خصمائك وترى صحيفتك مشحونة بسيئات طال فى الصبر عنها نصبك واشتد بسبب الكف عنها عناؤك فتقول يارب هذه سيئات ماقارفتها قط فيقال هذه سيئات القوم الذين اغتبتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء وظلمتهم فى المبايعة والمجاورة والمخاطبة والمناظرة والمذاكرة والمدارسة وسائر أصناف المعاملة .

يحيى بن معاذ الدنيا عروس تطلبها ماشطتها والزاهد فيها يسخم وجهها وينتف شعرها ويخرق ثوبها والعارف بالله مشتغل بسيده ولا يلتفت إليها . واعلم أن المنتهى مع كمال حاله لايستغنى أيضا عن سياسة النفس ومنعها الشهوات وأخذ الحظ من زيادة الصيام والقيام وأنواع البر وقد غلط فى هذا خلق وظنوا أن المنتهى استغنى عن الزيادات والنوافل ولا على قلبه من الاسترسال فى تناول الملاذ والشهوات وهذا خطأ لامن حيث إنه يحجب العارف عن معرفته ولكن

---

(١) حديث أبى هريرة : هل تدرون من المفلس ؟ قالوا المفلس يارسول الله من لادرهم له ولا متاع الحديث تقدم (٢) حديث : ياأبا ذر أتدرى فيم ينتطحان قلت لا قال ولكن ربك يدرى وسيقضى بينهما أحمد من رواية أشياخ لم يسموا عن أبى ذر .

قال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الشيطان قد يئس أن تعبد الأصنام بأرض العرب ولكن سيرضى منكم بما هو دون ذلك بالمحقرات وهي الموبقات فاتقوا الظلم ما استطعتم فان العبد ليجيء يوم القيامة بأمثال الجبال من الطاعات فيرى أنهن سينجينه فما يزال عبد يجيء فيقول رب إن فلانا ظلمني بمظلمة فيقول امح من حسناته فما يزال كذلك حتى لا يبقى له من حسناته شيء وان مثل ذلك مثل سفر نزلوا بفلاة من الأرض ليس معهم حطب فتفرق القوم فحطبوا فلم يلبثوا أن أعظموا نارهم وصنعوا ما أرادوا [(١)] » وكذلك الذنوب « ولما نزل قوله تعالى ـ إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ـ قال الزبير : يارسول الله أيكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب قال: نعم ليكررن عليكم حتى تؤدوا إلى كل ذي حق حقه [(٢)] » قال الزبير والله إن الأمر لشديد فأعظم بشدة يوم لا يسامح فيه بخطوة ولا يتجاوز فيه عن لطمة ولا عن كلمة حتى ينتقم للمظلوم من الظالم قال أنس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يحشر الله العباد عراة غبرا بهما قال : قلنا ما بهما قال ليس معهم شيء ثم يناديهم ربهم تعالى بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عليه مظلمة حتى أقتصه منه ولا لأحد من أهل النار أن يدخل النار ولأحد من أهل الجنة عنده مظلمة حتى أقتصه منه حتى اللطمة قلنا وكيف وإنما نأتي الله عز وجل عراة غبرا بهما فقال بالحسنات والسيئات [(٣)] » فاتقوا الله عباد الله ومظالم العباد بأخذ أموالهم والتعرض لأعراضهم وتضييق قلوبهم وإساءة الخلق في معاشرتهم فان ما بين العبد وبين الله خاصة فالمغفرة إليه أسرع ومن اجتمعت عليه مظالم وقد تاب عنها وعسر عليه استحلال أرباب المظالم فليكثر من حسناته ليوم القصاص وليسر ببعض الحسنات بينه وبين الله بكمال الاخلاص بحيث لا يطلع عليه إلا الله فعساه يقربه ذلك إلى الله تعالى فينال به لطفه الذي ادخره لأحبابه المؤمنين في دفع مظالم العباد عنهم كما روى عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر ما يضحكك يارسول الله بأبي أنت وأمي قال رجلان من أمتي جثيا بين يدي رب العزة فقال أحدهما يارب خذ لي مظلمتي من أخي فقال الله تعالى أعط أخاك مظلمته فقال يارب لم يبق من حسناتي شيء فقال الله تعالى للطالب كيف تصنع ولم يبق من حسناته شيء قال يارب يتحمل عني من أوزاري قال وفاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء ثم قال إن ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس إلى أن يحمل عنهم من أوزارهم قال فقال الله للطالب ارفع رأسك فانظر في الجنان فرفع رأسه فقال يارب أرى مدائن من فضة

يوقف عن مقام الزيد وقوم لما رأوا أن هذه الأشياء لا تؤثر فيهم قسوة ولا تورثهم حجبة ركنوا إليها واسترسلوا فيها وقنعوا بأداء الفرائض واتسعوا في المأكل والمشرب وهذا الانبساط منهم بقية من سكر الأحوال وتقيد بنور الحال وعدم التخلص بالكلية إلى نور الحق ومن تخلص من نور

---

(١) حديث ابن مسعود إن الشيطان قد أيس أن تعبد الأصنام بأرض العرب ولكن سيرضى منكم بما دون ذلك المحقرات وهي الموبقات الحديث وفي آخره وان مثل ذلك مثل سفر نزلوا بفلاة الحديث رواه أحمد والبيهقي في الشعب مقتصرا على آخره إياكم ومحقرات الذنوب فانهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب لهن مثلا الحديث وإسناده جيد فأما أول الحديث فرواه مسلم مختصرا من حديث جابر إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم (٢) حديث لما نزل قوله تعالى ـ إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال الزبير يارسول الله أيكرر علينا ما كان بيننا الحديث أحمد واللفظ له والترمذي من حديث الزبير وقال حسن صحيح (٣) حديث أنس يحشر العباد عراة غبرا بهما قلنا ما بهما قال ليس معهم شيء الحديث قلت ليس من حديث أنس وإنما هو عبيد الله ابن أنيس رواه أحمد باسناد حسن وقال غرلا مكان غبرا .

مرتفعة وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ لأى نبى هذا؟ أو لأى صدّيق هذا أو لأى شهيد هذا؟ قال لمن أعطانى الثمن قال يارب ومن يملك ثمنه قال أنت تملكه قال وما هو قال عفوك عن أخيك قال يارب إنى قد عفوت عنه قال الله تعالى خذ بيد أخيك فأدخله الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فان الله يصلح بين المؤمنين (١) » وهذا تنبيه على أن ذلك إنما ينال بالتخلق بأخلاق الله وهو إصلاح ذات البين وسائر الأخلاق فتفكر الآن فى نفسك إن خلت صحيفتك عن المظالم أو تلطف لك حتى عفا عنك وأيقنت بسعادة الأبد كيف يكون سرورك فى منصرفك من مفصل القضاء وقد خلع عليك خلعة الرضا وعدت بسعادة ليس بعدها شقاء وبنعيم لايدور بحواشيه الفناء وعند ذلك طار قلبك سرورا وفرحا وابيض وجهك واستنار وأشرق كما يشرق القمر ليلة البدر فتوهم تبخترك بين الخلائق رافعا رأسك خاليا عن الأوزار ظهرك ونضرة نسيم النعيم وبرد الرضا يتلألأ من جبينك وخلق الأولين والآخرين ينظرون اليك وإلى حالك ويغبطونك فى حسنك وجمالك والملائكة يمشون بين يديك ومن خلفك وينادون على رءوس الأشهاد هذا فلان بن فلان رضى الله عنه وأرضاه وقد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا أفترى أن هذا المنصب ليس بأعظم من المكانة التى تنالها فى قلوب الخلق فى الدنيا بريائك ومداهنتك وتصنعك وتزينك فان كنت تعلم أنه خير منه بل لانسبة له إليه فتوسل إلى إدراك هذه الرتبة بالاخلاص الصافى والنية الصادقة فى معاملتك مع الله فلن تدرك ذلك إلا به وإن تكن الأخرى والعياذ بالله بأن خرج من صحيفتك جريمة كنت تحسبها هينة وهى عند الله عظيمة فمقتك لأجلها فقال عليك لعنتى ياعبد السوء لاأتقبل منك عبادتك فلاتسمع هذا النداء إلا ويسود وجهك ثم تغضب الملائكة لغضب الله تعالى فيقولون وعليك لعنتنا ولعنة الخلائق أجمعين وعند ذلك تتناول اليك الزبانية وقد غضبت لغضب خالقها فأقدمت عليك بفظاظتها وزعارتها وصورها المنكرة فأخذوا بناصيتك يسحبونك على وجهك على ملأ الخلق وهم ينظرون إلى اسوداد وجهك وإلى ظهور خزيك وأنت تنادى بالويل والثبور وهم يقولون لك لاتدع اليوم ثبورا واحدا وادع ثبورا كثيرا وتنادى الملائكة ويقولون هذا فلان بن فلان كشف الله عن فضائحه ومخازيه ولعنه بقبائح مساويه فشقى شقاوة لايسعد بعدها أبدا وربما يكون ذلك بذنب أذنبته خفية من عباد الله أوطلبا للمكانة فى قلوبهم أو خوفا من الافتضاح عندهم فما أعظم جهلك إذ تحترز عن الافتضاح عند طائفة يسيرة من عباد الله فى الدنيا المنقرضة ثم لاتخشى من الافتضاح العظيم فى ذلك الملأ العظيم مع التعرض لسخط الله وعقابه الأليم والسياق بأيدى الزبانية إلى سواء الجحيم فهذه أحوالك وأنت لم تشعر بالخطر الأعظم وهو خطر الصراط .

(صفة الصراط)

ثم تفكر بعد هذه الأهوال فى قول الله تعالى ـ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا ـ وفى قوله تعالى ـ فاهدوهم إلى صراط الجحيم . وقفوهم إنهم مسئولون ـ فالناس بعد هذه الأهوال يساقون إلى الصراط وهو جسر ممدود على متن النار أحدّ من السيف وأدق من الشعر فمن استقام فى هذا العالم على الصراط المستقيم خف على صراط الآخرة ونجا ومن عدل عن الاستقامة فى الدنيا وأثقل ظهره بالأوزار وعصى تعثر فى أوّل قدم من الصراط وتردى فتفكر الآن فيما يحل من الفزع بفؤادك إذا رأيت الصراط ودقته ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته ثم قرع سمعك شهيق النار وتغيظها

الحال إلى نور الحق يذهب عنه بقايا الكبر ويوقف نفسه مقام العبيد كأحد عوامّ المؤمنين يتقرب بالصلاة والصوم وأنواع البر حتى بإماطة الأذى عن الطريق ولا يستكبر ولا يستنكف أن يسود فى صور عوام المؤمنين من إظهار الارادة بكل بر وصلة فيتناول الشهوات وقتا رفقا

(١) حديث أنس بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر ما أضحكك يارسول الله بأبى وأمى قال رجلان من أمتى جثيا بين يدى رب العالمين الحديث بطوله ابن أبى الدنيا فى حسن الظن بالله والحاكم فى المستدرك وقد تقدم .

وقد كافت أن تمشي على الصراط مع ضعف حالك واضطراب قلبك وتزلزل قدمك وثقل ظهرك بالأوزار المانعة لك عن المشي على بساط الأرض فضلا عن حدة الصراط فكيف بك إذا وضعت عليه إحدى رجليك فأحسست بحدته واضطررت إلى أن ترفع القدم الثانية والخلائق بين يديك يزلون ويتعثرون وتتناولهم زبانية النار بالخطاطيف والكلاليب وأنت تنظر إليهم كيف يتنكسون فتتسفل إلى جهة النار رءوسهم وتعلو أرجلهم فياله من منظر ما أفظعه ومرتقى ما أصعبه ومجاز ما أضيقه فانظر إلى حالك وأنت تزحف عليه وتصعد إليه وأنت مثقل الظهر بأوزارك تلتفت يمينا وشمالا إلى الخلق وهم يتهافتون في النار والرسول عليه السلام يقول «يارب سلم سلم» والزعقات بالويل والثبور قد ارتفعت إليك من قعر جهنم لكثرة من زل عن الصراط من الخلائق فكيف بك لو زلت قدمك ولم ينفعك ندمك فناديت بالويل والثبور وقلت هذا ما كنت أخافه فياليتني قدمت لحياتي ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ياويلتا ليتني لم أتخذ فلانا خليلا ياليتني كنت ترابا ياليتني كنت نسيا منسيا ياليت أمي لم تلدني ، وعند ذلك تختطفك النيران والعياذ بالله وينادي المنادي اخسئوا فيها ولا تكلمون فلا يبقى سبيل إلا الصياح والأنين والتنفس والاستغاثة فكيف ترى الآن عقلك وهذه الأخطار بين يديك فان كنت غير مؤمن بذلك فما أطول مقامك مع الكفار في دركات جهنم وإن كنت به مؤمنا وعنه غافلا وبالاستعداد له متهاونا فما أعظم خسرانك وطغيانك وماذا ينفعك إيمانك إذا لم يبعثك على السعي في طلب رضا الله تعالى بطاعته وترك معاصيه فلو لم يكن بين يديك إلا هول الصراط وارتياع قلبك من خطر الجواز عليه وإن سلمت فناهيك به هولا وفزعا ورعبا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أول من يجيز بأمته من الرسل ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم اللهم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان قالوا نعم يارسول الله قال فانها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله تعالى تختطف الناس بأعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو [1]» وقال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يمر الناس على جسر جهنم وعليه حسك وكلاليب وخطاطيف تختطف الناس يمينا وشمالا وعلى جنبتيه ملائكة يقولون اللهم سلم اللهم سلم فمن الناس من يمر مثل البرق ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالفرس المجري ومنهم من يسعى سعيا ومنهم من يمشي مشيا ومنهم من يحبو حبوا ومنهم من يزحف زحفا فأما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون ولا يحيون وأما ناس فيؤخذون بذنوب وخطايا فيحترقون فيكونون فحما ثم يؤذن في الشفاعة [2]» وذكر إلى آخر الحديث . وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال «يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم قياما أربعين سنة شاخصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء» وذكر الحديث إلى أن ذكر وقت سجود المؤمنين قال «ثم يقول للمؤمنين ارفعوا رءوسكم فيرفعون رءوسهم فيعطيهم نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين يديه ومنهم من يعطى نوره أصغر من ذلك ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة ومنهم من يعطى نوره أصغر من ذلك حتى يكون آخرهم رجلا يعطى نوره على إبهام قدمه فيضيء مرة ويخبو مرة فاذا أضاء قدم قدمه فمشى وإذا أظلم قام ثم ذكر مرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من

بالنفس المطهرة المزكاة المنقادة الطواعة لأنها أسيرته ويغنمها الشهوات وقتا لأن في ذلك صلاحها واعتبر هذا سواء بحال الصبي فانه إن جاوز حد الاعتدال من إعطاء المراد وقتا ومنعه وقتا انفسد طبعه لأن الجبلة لابد من قمعها بسياسة العلم ومادامت الجبلة باقية لابد من

(١) حديث ينصب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أول من يجيز متفق عليه من حديث أبي هريرة في أثناء حديث طويل (٢) حديث أبي سعيد يحشر الناس على جسر جهنم وعليه حسك وكلاليب وخطاطيف الحديث متفق عليه مع اختلاف ألفاظ .

يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كانقضاض الكوا كب ومنهم من يمر كشد الفرس ومنهم من يمر كشد الرجل حتى يمر الذى أعطى نوره على إبهام قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه تجر منه يد وتعلق أخرى وتعلق رجل وتجر أخرى وتصيب جوانبه النار قال فلا يزال كذلك حتى يخلص فاذا خلص وقف عليها ثم قال الحمد لله لقد أعطانى الله مالم يعط أحدا إذ نجانى منها بعد إذ رأيتها فينطلق به إلى غدير عند باب الجنة فيغتسل (١) » وقال أنس بن مالك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « الصراط كحد السيف أو كحد الشعرة وإن الملائكة ينجون المؤمنين والمؤمنات وإن جبريل عليه السلام لآخذ بحجزتى وإنى لأقول يارب سلم سلم فالزالون والزالات يومئذ كثير (٢) » فهذه أهوال الصراط وعظائمه فطول فيه فكرك فان أسلم الناس من أهوال يوم القيامة من طال فيها فكره فى الدنيا فان الله لا يجمع بين خوفين على عبد فمن خاف هذه الأهوال فى الدنيا أمنها فى الآخرة ولست أعنى بالخوف رقة كرقة النساء تدمع عينك ويرق قلبك حال السماع ثم تنساه على القرب وتعود إلى لهوك ولعبك فما ذا من الخوف فى شىء بل من خاف شيئا هرب منه ومن رجا شيئا طلبه فلا ينجيك إلا خوف يمنعك عن معاصى الله تعالى ويحثك على طاعته وأبعد من رقة النساء خوف الحمقى إذا سمعوا الأهوال سبق إلى ألسنتهم الاستعاذة فقال أحدهم استعنت بالله نعوذ بالله اللهم سلم سلم وهم مع ذلك مصرون على المعاصى التى هى سبب هلاكهم فالشيطان يضحك من استعاذتهم كما يضحك على من يقصده سبع ضار فى صحراء ووراءه حصن فاذا رأى أنياب السبع وصولته من بعد قال بلسانه أعوذ بهذا الحصن الحصين وأستعين بشدة بنيانه وإحكام أركانه فيقول ذلك بلسانه وهو قاعد فى مكانه فأنى يغنى عنه ذلك من السبع وكذلك أهوال الآخرة ليس لها حصن إلا قول لا إله إلا الله صادقا ومعنى صدقه أن لا يكون له مقصود سوى الله تعالى ولا معبود غيره ومن اتخذ إلهه هواه فهو بعيد من الصدق فى توحيده وأمره مخطر فى نفسه فان عجزت عن ذلك كله فكن محبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حريصا على تعظيم سنته ومتشوقا إلى مراعاة قلوب الصالحين من أمته ومتبركا بأدعيتهم فعساك أن تنال من شفاعته أو شفاعتهم فتنجو بالشفاعة إن كنت قليل البضاعة .

سياسة العلم وهذا باب غامض دخل فى النهايات على المنتهى من ذلك دواخل ووقع الركون وانسد به باب المزيد فالمنتهى ملك ناصية الاختيار فى الأخذ والترك ولا بد له من أخذ وترك فى الأعمال والحظوظ ففى الأعمال لا بد له من أخذ وترك فتارة يأتى بالأعمال كآحاد الصادقين وتارة يترك

(صفة الشفاعة)

اعلم أنه إذا حق دخول النار على طوائف من المؤمنين فان الله تعالى بفضله يقبل فيهم شفاعة الأنبياء والصديقين بل شفاعة العلماء والصالحين وكل من له عند الله تعالى جاه وحسن معاملة فان له شفاعة فى أهله وقرابته وأصدقائه ومعارفه فكن حريصا على أن تكتسب لنفسك عندهم رتبة الشفاعة وذلك بأن لا تحقر آدميا أصلا فان الله تعالى خبأ ولايته فى عباده فلعل الذى تزدريه عينك هو ولى الله ولا تستصغر معصية أصلا فان الله تعالى خبأ غضبه فى معاصيه فلعل مقت الله فيه ولا تستحقر أصلا طاعة فان الله تعالى خبأ رضاه فى طاعته فلعل رضاه فيه ولو الكلمة الطيبة أو اللقمة أو النية الحسنة أو ما يجرى مجراه وشواهد الشفاعة فى القرآن والأخبار كثيرة : قال الله تعالى ـ ولسوف يعطيك ربك فترضى ـ

---

(١) حديث ابن مسعود يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم قياما أربعين سنة شاخصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء قال وذكر الحديث إلى ذكر سجود المؤمنين الحديث بطوله رواه ابن عدى والحاكم وقد تقدم بعضه مختصرا (٢) حديث أنس الصراط كحد السيف أو كحد الشعرة الحديث البيهقى فى الشعب وقال هذا إسناد ضعيف قال وروى عن زياد النميرى عن أنس مرفوعا الصراط كحد الشعرة أو كحد السيف قال وهى رواية صحيحة انتهى ورواه أحمد من حديث عائشة وفيه ابن لهيعة .

روى عمرو بن العاص «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول إبراهيم عليه السلام – رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم – وقول عيسى عليه السلام – إن تعذبهم فإنهم عبادك – ثم رفع يديه وقال أمتي أمتي ثم بكى فقال الله عز وجل يا جبريل اذهب إلى محمد فسله ما يبكيك فأتاه جبريل فسأله فأخبره والله أعلم به فقال يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك (١)» وقال صلى الله عليه وسلم «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وجعلت لي الأرض مسجدا وترابها طهورا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأعطيت الشفاعة وكل نبي بعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة (٢)» وقال صلى الله عليه وسلم «إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم من غير فخر» وقال صلى الله عليه وسلم «أنا سيد ولد آدم ولا فخر وأنا أول من تنشق الأرض عنه وأنا أول شافع وأول مشفع بيدي لواء الحمد تحته آدم فمن دونه (٣)» وقال صلى الله عليه وسلم «لكل نبي دعوة مستجابة فأريد أن أختبىء دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة (٤)» وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ «ينصب للأنبياء منابر من ذهب فيجلسون عليها ويبقى منبري لا أجلس عليه قائما بين يدي ربي منتصبا مخافة أن يبعث بي إلى الجنة وتبقى أمتي بعدي فأقول يارب أمتي فيقول الله عز وجل يا محمد وما تريد أن أصنع بأمتك فأقول يارب عجل حسابهم فما أزال أشفع حتى أعطى صكاكا برجال قد بعث بهم إلى النار وحتى إن مالكا خازن النار يقول يا محمد ما تركت النار لغضب ربك في أمتك من بقية (٥)» وقال صلى الله عليه وسلم «إني لأشفع يوم القيامة لأكثر مما على وجه الأرض من حجر ومدر (٦)» وقال أبو هريرة «أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها نهشة ثم قال أنا سيد المرسلين يوم القيامة وهل تدرون مم ذلك يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس

زيادة الأعمال رفقا بالنفس وتارة يأخذ الحظوظ والشهوات رفقا بالنفس وتارة يتركها انقيادا للنفس بحسن السياسة فيكون في ذلك كله مختارا فمن ساكن ترك الحظوظ بالكلية فهو زاهد تارك بالكلية ومن استرسل في أخذها فهو راغب بالكلية والمنتهى شمل الطرفين فانه على غاية الاعتدال

(١) حديث عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول إبراهيم صلى الله عليه وسلم – رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم – وقول عيسى صلى الله عليه وسلم – إن تعذبهم فإنهم عبادك – ثم رفع يديه . ثم قال أمتي أمتي ثم بكى الحديث وفيه يا جبريل اذهب إلى محمد فقل إنا سنرضيك ولا نسوءك في أمتك قلت ليس هو من حديث عمرو بن العاص وإنما هو من حديث ابنه عبد الله بن عمرو بن العاص كما رواه مسلم ولعله سقط من الإحياء ذكر عبد الله من بعض النساخ (٢) حديث أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي الحديث وفيه وأعطيت الشفاعة متفق عليه من حديث جابر إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم من غير فخر الترمذي وابن ماجه من حديث أبي بن كعب قال الترمذي حسن صحيح (٣) حديث أنا سيد ولد آدم ولا فخر الحديث الترمذي وقال حسن وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري (٤) حديث لكل نبي دعوة مستجابة فأريد أن أختبىء دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة متفق عليه من حديث أنس ورواه مسلم من حديث أبي هريرة (٥) حديث ابن عباس ينصب للأنبياء منابر من ذهب يجلسون عليها ويبقى منبري لا أجلس عليه قائما بين يدي ربي منتصبا الحديث الطبراني في الأوسط وفي إسناده محمد بن ثابت البناني ضعيف (٦) حديث إني لأشفع يوم القيامة لأكثر مما على وجه الأرض من حجر ومدر أحمد والطبراني من حديث بريدة بسند حسن .

بعضهم

بعضهم لبعض ألا ترون ماقد بلغكم ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم فيقول بعض الناس لبعض عليكم بآدم عليه السلام فيأتون آدم فيقولون له أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ماقد بلغنا فيقول لهم آدم عليه السلام إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وإنه قد نهانى عن الشجرة فعصيته نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحا عليه السلام فيقولون يانوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وقد سماك الله عبدا شكورا اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وإنه قد كانت لى دعوة دعوتها على قومى نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى إبراهيم خليل الله فيأتون إبراهيم خليل الله عليه السلام فيقولون أنت نبى الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول لهم إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وإنى كنت كذبت ثلاث كذبات ويذكرها نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى موسى فيأتون موسى عليه السلام فيقولون ياموسى أنت رسول الله فضلك برسالته وبكلامه على الناس اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنى قتلت نفسا لم أومر بقتلها نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى عيسى عليه السلام فيأتون عيسى فيقولون ياعيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وكلمت الناس فى المهد اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول عيسى عليه السلام إن ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنبا نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم فيأتونى فيقولون يامحمد أنت رسول الله وخاتم النبيين وغفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فأنطلق فآتى تحت العرش فأقع ساجدا لربى ثم يفتح الله لى من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلى ثم يقال يامحمد ارفع رأسك سل تعط واشفع تشفع فأرفع رأسى فأقول أمتى أمتى يارب فيقال يامحمد أدخل من أمتك من لاحساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ثم قال والذى نفسى بيده إن بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير أو كما بين مكة وبصرى [(١)] وفى حديث آخر هذا السياق بعينه مع ذكر خطايا إبراهيم وهو قوله فى الكوكب هذا ربى وقوله لآلهتهم بل فعله كبيرهم هذا وقوله إنى سقيم فهذه شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولآحاد أمته من العلماء والصالحين شفاعة أيضا حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتى أكثر من ربيعة ومضر [(٢)] وقال صلى الله عليه وسلم يقال للرجل قم يافلان فاشفع فيقوم الرجل فيشفع للقبيلة

واقف على الصراط بين الافراط والتفريط فمن ردت إليه الأقسام فى النهاية فأخذها زاهدا فى الزهد فهو تحت قهر الحال من ترك الاختيار وتارك الاختيار الواقف مع فعل الله تعالى مقيد بالحال وكما أن الزاهد مقيد بالترك تارك الاختيار فكذلك الزاهد فى الزهد الآخذ من الدنيا ماسيق إليه

---

(١) حديث أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم أتى بلحم فرفع إليه الذراع وكان يعجبه فنهش منها نهشة ثم قال أنا سيد الناس الحديث بطوله فى الشفاعة قال وفى حديث آخر هذا السياق مع ذكر خطايا إبراهيم متفق عليه وهذه الرواية الثانية أخرجها مسلم (٢) حديث يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتى أكثر من ربيعة ومضر رويناه فى جزء أبى عمرو بن السماك من حديث أبى أمامة إلا أنه قال مثل أحد الحيين ربيعة ومضر وفيه فكان المشيخة يرون أن ذلك الرجل عثمان بن عفان وإسناده حسن وللترمذى وابن ماجه والحاكم من حديث عبد الله بن أبى الجدعاء يدخل الجنة بشفاعة الرجل من أمتى أكثر من بنى تميم قالوا سواك قال سواى قال الترمذى حسن صحيح وقال الحاكم صحيح قيل أراد بالرجل أويسا .

ولأهل البيت وللرجل والرجلين على قدر عمله (١) » وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن رجلا من أهل الجنة يشرف يوم القيامة على أهل النار فيناديه رجل من أهل النار ويقول يافلان هل تعرفنى ؟ فيقول لا والله ما أعرفك من أنت ،فيقول أنا الذى مررت بى فى الدنيا فاستسقيتنى شربة ماء فسقيتك قال قد عرفت قال فاشفع لى بها عند ربك فيسأل الله تعالى ذكره ويقول إنى أشرفت على أهل النار فنادانى رجل من أهلها فقال هل تعرفنى ؟ فقلت لا من أنت ؟فقال أنا الذى استسقيتنى فى الدنيا فسقيتك فاشفع لى عند ربك فشفعنى فيه فيشفعه الله فيه فيؤمر به فيخرج من النار (٢) » وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا يئسوا لواء الحمد يومئذ بيدى وأنا أكرم ولد آدم على ربى ولا فخر (٣) » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنى أقوم بين يدى ربى عز وجل فأكسى حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيرى (٤) » وقال ابن عباس رضى الله عنهما « جلس ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا إن الله عز وجل اتخذ من خلقه خليلا اتخذ إبراهيم خليلا ، وقال آخر ماذا بأعجب من كلام موسى كلمه تكليما،وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحه ، وقال آخر آدم اصطفاه الله فخرج عليهم صلى الله عليه وسلم فسلم وقال قد سمعت كلامكم وتعجبكم إن إبراهيم خليل الله وهو كذلك وموسى نجى الله وهو كذلك وعيسى روح الله وكلمته وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك ألا وأنا حبيب الله ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لى فأدخلها ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر(٥) »

(صفة الحوض)

اعلم أن الحوض مكرمة عظيمة خص الله بها نبينا صلى الله عليه وسلم وقد اشتملت الأخبار على وصفه ونحن نرجو أن يرزقنا الله تعالى فى الدنيا علمه وفى الآخرة ذوقه فان من صفاته أن من شرب منه لم يظمأ أبدا . قال أنس « أغفى رسول الله صلى الله عليه وسلم إغفاءة فرفع رأسه متبسما فقالوا له يارسول الله لم ضحكت ؟ فقال آية أنزلت على آنفا وقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ـ إنا أعطيناك الكوثر ـ حتى ختمها ثم قال هل تدرون ما الكوثر ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال إنه نهر وعدنيه

لرؤيته فعل الله مقيدا بالأخذ وإذا استقرت النهاية لا يتقيد بالأخذ ولا بالترك بل يترك وقتا واختياره من اختيار الله ويأخذ وقتا واختياره من اختيار الله وهكذا صومه النافلة وصلاته النافلة يأتى بها وقتا ويسمح للنفس وقتا لأنه مختار صحيح فى الاختيار فى الحالين وهذا هو الصحيح ونهاية النهاية وكل حال يستقر

---

(١) حديث يقال للرجل قم يافلان فاشفع فيقوم يشفع للقبيلة ولأهل البيت وللرجل والرجلين على قدر عمله الترمذى من حديث أبى سعيد إن من أمتى من يشفع للفئام ومنهم من يشفع للقبيلة الحديث وقال حسن وللبزار من حديث أنس إن الرجل ليشفع للرجلين والثلاثة (٢) حديث أنس إن رجلا من أهل الجنة يشرف يوم القيامة على أهل النار فيناديه رجل من أهل النار ويقول يافلان هل تعرفنى فيقول لا والله ماأعرفك من أنت فيقول أنا الذى مررت بى فى الدنيا يوما فاستسقيتنى شربة فسقيتك الحديث فى شفاعته فيه وإخراجه من النار أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس بسند ضعيف (٣) حديث أنس أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا الحديث الترمذى وقال حسن غريب (٤) حديث فأكسى حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش الحديث الترمذى من حديث أبى هريرة وقال حسن غريب صحيح (٥) حديث ابن عباس جلس ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا إن الله اتخذ من خلقه خليلا اتخذ إبراهيم خليلا الحديث رواه الترمذى وقال غريب .

ربى عز وجل فى الجنة عليه خير كثير عليه حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة آنيته عدد نجوم السماء (١)» وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «بينما أنا أسير فى الجنة إذا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوّف قلت ماهذا ياجبريل؟ قال هذا الكوثر الذى أعطاك ربك فضرب الملك بيده فاذا طينه مسك أذفر (٢)» وقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «مابين لابتى حوضى مثل مابين المدينة وصنعاء أومثل مابين المدينة وعمان (٣)» وروى ابن عمر «أنه لما نزل قوله تعالى ـ إنا أعطيناك الكوثر ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو نهر فى الجنة حافتاه من ذهب شرابه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأطيب ريحا من المسك يجرى على جنادل اللؤلؤ والمرجان (٤)» وقال ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن حوضى مابين عدن إلى عمان البلقاء ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأكوابه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا أول الناس ورودا عليه فقراء المهاجرين فقال عمر بن الخطاب ومن هم يارسول الله؟ قال هم الشعث رءوسا الدنس ثيابا الذين لاينكحون المتنعمات ولاتفتح لهم أبواب السدد (٥)» فقال عمر بن عبد العزيز والله لقد نكحت المتنعمات فاطمة بنت عبد الملك وفتحت لى أبواب السدد إلا أن يرحمنى الله لاجرم لاأدهن رأسى حتى يشعث ولا أغسل ثوبى الذى على جسدى حتى يتسخ وعن أبى ذر قال «قلت يارسول الله ما آنية الحوض؟ قال والذى نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها فى الليلة المظلمة المصحية من شرب منه لم يظمأ آخر ماعليه يشخب فيه ميزابان من الجنة عرضه مثل طوله مابين عمان وأيلة ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل (٦)» وعن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن لكل نبى حوضا وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة وإنى لأرجو أن أكون أكثرهم واردة (٧)» فهذا رجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فليرج كل عبد أن يكون فى جملة الواردين وليحذر أن يكون متمنيا ومغترا وهو يظن أنه راج فان الراجى للحصاد من بث البذر ونقى الأرض وسقاها الماء ثم جلس يرجو فضل الله بالإنبات ودفع الصواعق إلى أوان الحصاد فأما من ترك الحراثة أوالزراعة وتنقية الأرض وسقيها وأخذ يرجو من فضل الله أن ينبت له الحب والفاكهة

ويستقيم يشاكل حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهكذا كان رسول الله عليه الصلاة والسلام يقوم من الليل ولا يقوم الليل كله ويصوم من الشهر ولا يصوم الشهر كله غير رمضان ويتناول الشهوات ولما قال الرجل إنى عزمت أن لا آكل اللحم قال فإنى آكل اللحم وأحبه ولوسألت

(١) حديث أنس أغفى رسول الله صلى الله عليه وسلم إغفاءة فرفع رأسه متبسما فقالوا له يارسول الله لم ضحكت فقال آية نزلت على آنفا وقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ـ إنا أعطيناك الكوثر ـ رواه مسلم (٢) حديث أنس بينما أناأسير فى الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف الحديث الترمذى وقال حسن صحيح ورواه البخارى من قول أنس لما عرج بالنبى صلى الله عليه وسلم إلى السماء الحديث وهو مرفوع وإن لم يكن صرح به عن النبى صلى الله عليه وسلم (٣) حديث أنس مابين لابتى حوضى مثل مابين المدينة وصنعاء أومثل مابين المدينة وعمان رواه مسلم (٤) حديث ابن عمر لما نزل قوله تعالى ـ إنا أعطيناك الكوثر ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو نهر فى الجنة حافتاه من ذهب الحديث الترمذى مع اختلاف لفظ وقال حسن صحيح ورواه الدارمى فى مسنده وهو أقرب إلى لفظ المصنف (٥) حديث ثوبان إن حوضى مابين عدن إلى عمان البلقاء الحديث الترمذى وقال غريب وابن ماجه (٦) حديث أبى ذر قلت يارسول الله ما آنية الحوض قال والذى نفسى بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء الحديث رواه مسلم (٧) حديث سمرة إن لكل نبى حوضا وإنهم ليتباهون أيهم أكثر واردة الحديث الترمذى وقال غريب قال وقدروى الأشعث بن عبد الملك هذا الحديث عن الحسن عن النبى صلى الله عليه وسلم مرسلا ولم يذكر فيه عن سمرة وهو أصح

فهذا مغتر ومتمن وليس من الراجين فى شيء وهكذا رجاء أكثر الخلق وهو غرور الحمقى نعوذ بالله من الغرور والغفلة فان الاغترار بالله أعظم من الاغترار بالدنيا قال الله تعالى ـ فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ـ

(القول فى صفة جهنم وأهوالها وأنكالها)

يا أيها الغافل عن نفسه المغرور بما هو فيه من شواغل هذه الدنيا المشرفة على الانقضاء والزوال دع التفكر فيما أنت مرتحل عنه واصرف الفكر إلى موردك فانك أخبرت بأن النار مورد للجميع إذ قيل ـ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ـ فأنت من الورود على يقين ومن النجاة فى شك فاستشعر فى قلبك هول ذلك المورد فعساك تستعد للنجاة منه وتأمل فى حال الخلائق وقد قاسوا من دواهى القيامة ما قاسوا فبينما هم فى كربها وأهوالها وقوفا ينتظرون حقيقة أنبائها وتشفيع شفعائها إذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب وأظلت عليهم نار ذات لهب وسمعوا لها زفيرا وجرجرة تفصح عن شدة الغيظ والغضب فعند ذلك أيقن المجرمون بالعطب وجثت الأمم على الركب حتى أشفق البرآء من سوء المنقلب وخرج المنادى من الزبانية قائلا : أين فلان ابن فلان المسوف نفسه فى الدنيا بطول الأمل المضيع عمره فى سوء العمل فيبادرونه بمقامع من حديد ويستقبلونه بعظائم التهديد ويسوقونه إلى العذاب الشديد ، وينكسونه فى قعر الجحيم ويقولون له ذق إنك أنت العزيز الكريم ـ فأسكنوا دارا ضيقة الأرجاء مظلمة المسالك مبهمة المهالك يخلد فيها الأسير ويوقد فيها السعير شرابهم فيها الحميم ومستقرهم الجحيم الزبانية تقمعهم والهاوية تجمعهم أمانيهم فيها الهلاك ومالهم منها فكاك قد شدت أقدامهم إلى النواصى واسودت وجوههم من ظلمة المعاصى ينادون من أكنافها ويصيحون فى نواحيها وأطرافها : يامالك قد حق علينا الوعيد يامالك قد أثقلنا الحديد يامالك قد نضجت منا الجلود يامالك أخرجنا منها فانا لا نعود فتقول الزبانية هيهات لات حين أمان ولا خروج لكم من دار الهوان فاخسئوا فيها ولا تكلمون ولو أخرجتم منها لكنتم إلى مانهيتم عنه تعودون فعند ذلك يقنطون وعلى مافرطوا فى جنب الله يتأسفون ولا ينجيهم الندم ولا يغنيهم الأسف بل يكبون على وجوههم مغلولين النار من فوقهم والنار من تحتهم والنار عن أيمانهم والنار عن شمائلهم فهم غرقى فى النار طعامهم نار وشرابهم نار ولباسهم نار ومهادهم نار فهم بين مقطعات النيران وسرابيل القطران وضرب المقامع وثقل السلاسل فهم يتجلجلون فى مضايقها ويتحطمون فى دركاتها ويضطربون بين غواشيها تغلى بهم النار كغلى القدور ويهتفون بالويل والعويل ومهما دعوا بالثبور صب من فوق رءوسهم الحميم يصهر به مافى بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد تهشم بها جباههم فيتفجر الصديد من أفواههم وتتقطع من العطش أكبادهم وتسيل على الخدود أحداقهم ويسقط من الوجنات لحومها ويتمعط من الأطراف شعورها بل جلودها وكلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها قد عريت من اللحم عظامهم فبقيت الأرواح منوطة بالعروق وعلائق العصب وهى تنش فى لفح تلك النيران وهم مع ذلك يتمنون الموت فلا يموتون فكيف بك لو نظرت إليهم وقد سودت وجوههم أشد سوادا من الحميم وأعميت أبصارهم وأبكمت ألسنتهم وقصمت ظهورهم وكسرت عظامهم وجدعت آذانهم ومزقت جلودهم وغلت أيديهم إلى أعناقهم وجمع بين نواصيهم وأقدامهم وهم يمشون على النار بوجوههم ويطئون حسك الحديد بأحداقهم فلهيب النار سار فى بواطن أجزائهم وحيات الهاوية وعقاربها متشبثة بظواهر أعضائهم هذا بعض

ـ ى أن يطعمنى كل يوم لأطعمنى وذلك يدلك على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مختارا فى ذلك إن شاء أكل وإن شاء لم يأكل وكان يترك الأكل اختيارا وقد دخلت الفتنة على قوم كلما قيل لهم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل كذا يقولون كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مشروعا وهذا إذا

جملة أحوالهم وانظر الآن فى تفصيل أهوالهم وتفكر أيضا فى أودية جهنم وشعابها فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم « إن فى جهنم سبعين ألف واد فى كل واد سبعون ألف شعب فى كل شعب سبعون ألف ثعبان وسبعون ألف عقرب لاينتهى الكافر والمنافق حتى يواقع ذلك كله(١) » وقال علىّ كرم الله وجهه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تعوذوا بالله من جب الحزن أو وادى الحزن قيل يا رسول الله وما وادى أو جب الحزن قال واد فى جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة أعده الله تعالى للقراء المرائين (٢) » فهذه سعة جهنم وانشعاب أوديتها وهى بحسب عدد أودية الدنيا وشهواتها وعدد أبوابها بعدد الأعضاء السبعة التى بها يعصى العبد بعضها فوق بعض الأعلى جهنم ثم سقر ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم الجحيم ثم الهاوية ، فانظر الآن فى عمق الهاوية فإنه لاحد لعمقها كما لاحد لعمق شهوات الدنيا فكما لا ينتهى أرب من الدنيا إلا إلى أرب أعظم منه فلا تنتهى هاوية من جهنم إلا إلى هاوية أعمق منها قال أبو هريرة « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعنا وجبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتدرون ماهذا قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا حجر أرسل فى جهنم منذ سبعين عاما الآن انتهى إلى قعرها (٣) » ثم انظر إلى تفاوت الدركات فإن الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا فكما أن إكباب الناس على الدنيا يتفاوت فمن منهمك مستكثر كالغريق فيها ومن خائض فيها إلى حد محدود فكذلك تناول النار لهم متفاوت فإن الله لا يظلم مثقال ذرة فلا تترادف أنواع العذاب على كل من فى النار كيفما كان بل لكل واحد حد معلوم على قدر عصيانه وذنبه إلا أن أقلهم عذابا لو عرضت عليه الدنيا بحذافيرها لافتدى بها من شدة ماهو فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أدنى أهل النار عذابا يوم القيامة ينتعل بنعلين من نار يغلى دماغه من حرارة نعليه (٤) » فانظر الآن إلى من خفف عليه واعتبر به من شدد عليه ومهما تشككت فى شدة عذاب النار فقرب أصبعك من النار وقس ذلك به ثم اعلم أنك أخطأت فى القياس فإن نار الدنيا لاتناسب نار جهنم ولكن لما كان أشد عذاب فى الدنيا عذاب هذه النار عرف عذاب جهنم بها وهيهات لو وجد أهل الجحيم مثل هذه النار لخاضوها طائعين هربا مما هم فيه وعن هذا عبر فى بعض الأخبار حيث قيل « إن نار الدنيا غسلت بسبعين ماء من مياه الرحمة حتى أطاقها أهل الدنيا (٥) » بل صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفة نار جهنم فقال « أمر الله تعالى أن يوقد على النار ألف عام حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهى سوداء مظلمة (٦) » وقال ﷺ « اشتكت النار إلى ربها فقالت يارب أكل بعضى بعضا فأذن لها فى نفسين

(١) حديث إن فى جهنم سبعين ألف واد فى كل واد سبعون ألف شعب فى كل شعب سبعون ألف ثعبان وسبعون ألف عقرب لاينتهى الكافر والمنافق حتى يواقع ذلك كله لم أجده هكذا بجملته وسيأتى بعده ماورد فى ذكر الحيات والعقارب (٢) حديث على تعوذوا بالله من جب الحزن أو وادى الحزن الحديث رواه ابن عدى بلفظ وادى الحزن وقال باطل وأبو نعيم والأصبهانى بسند ضعيف ورواه الترمذى وقال غريب وابن ماجه من حديث أبى هريرة بلفظ جب الحزن وضعفه ابن عدى وتقدم فى ذم الجاه والرياء (٣) حديث أبى هريرة كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعنا وجبة الحديث وفيه هذا حجر أرسل فى جهنم الحديث رواه مسلم (٤) حديث إن أدنى أهل النار عذابا يوم القيامة من ينتعل بنعلين من نار الحديث متفق عليه من حديث النعمان بن بشير (٥) حديث إن نار الدنيا غسلت بسبعين ماء من مياه الرحمة حتى أطاقها أهل الدنيا ذكر ابن عبد البر من حديث ابن عباس وهذه النار قد ضربت بماء البحر سبع مرات ولولا ذلك ما انتفع بها أحد وللبزار من حديث أنس وهو ضعيف وما وصلت إليكم حتى أحسبه قال نضحت بالماء فتضىء عليكم (٦) حديث أمر الله أن يوقد على النار ألف عام حتى احمرت الحديث تقدم

قالوه على معنى أنه لايلزمهم التأسى به جهل محض فإن الرخصة الوقوف على حدّ قوله والعزيمة التأسى بفعله وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأرباب الرخص وفعله لأرباب العزائم ثم إن المنتهى يحاكى حاله حال رسول الله عليه الصلاة والسلام فى دعاء الخلق إلى الحق فكل

نفس فى الشتاء ونفس فى الصيف فأشد ماتجدونه فى الصيف من حرها وأشد ماتجدونه فى الشتاء من زمهريرها (١) » وقال أنس بن مالك يؤتى بأنعم الناس فى الدنيا من الكفار فيقال اغمسوه فى النار غمسة ثم يقال له هل رأيت نعيا قط فيقول لا ويؤتى بأشد الناس ضرا فى الدنيا فيقال اغمسوه فى الجنة غمسة ثم يقال له هل رأيت ضرا قط فيقول لا . وقال أبو هريرة لو كان فى المسجد مائة ألف أو يزيدون ثم تنفس رجل من أهل النار لماتوا وقد قال بعض العلماء فى قوله ـ تلفح وجوههم النار ـ إنها لفحتهم لفحة واحدة فما أبقت لحما على عظم إلا ألقته عند أعقابهم ثم انظر بعد هذا فى نتن الصديد الذى يسيل من أبدانهم حتى يغرقون فيه وهو الغساق ، قال أبو سعيد الخدرى قال رسول الله ﷺ « لو أن دلوا من غساق جهنم ألقى فى الدنيا لأنتن أهل الأرض (٢) » فهذا شرابهم إذا استغاثوا من العطش فيسقى أحدهم من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا . ثم انظر إلى طعامهم وهو الزقوم كما قال الله تعالى ـ ثم إنكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم ـ وقال تعالى ـ إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم طلعها كأنه رءوس الشياطين فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ثم إن لهم عليها لشوبا من حميم ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم ـ وقال تعالى ـ تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية ـ وقال تعالى ـ إن لدينا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما ـ وقال ابن عباس قال رسول الله ﷺ « لو أن قطرة من الزقوم قطرت فى بحار الدنيا أفسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف من يكون طعامه ذلك (٣) » وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ارغبوا فيما رغبكم الله واحذروا وخافوا ما خوفكم الله به من عذابه وعقابه ومن جهنم فإنه لو كانت قطرة من الجنة معكم فى دنياكم التى أنتم فيها طيبتها لكم ولو كانت قطرة من النار معكم فى دنياكم التى أنتم فيها خبثتها عليكم (٤) » وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يلقى على أهل النار الجوع حتى يعدل ماهم فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام من ضريع لايسمن ولا يغنى من جوع ويستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذى غصة فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص فى الدنيا بشراب فيستغيثون بشراب فيرفع إليهم الحميم بكلاليب الحديد فإذا دنت من وجوههم شوت وجوههم فإذا دخل الشراب بطونهم قطع مافى بطونهم فيقولون ادعوا خزنة جهنم قال فيدعون خزنة جهنم أن ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فيقولون أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال قال فيقولون ادعوا مالكا فيدعون فيقولون يامالك ليقض علينا ربك قال فيجيبهم إنكم ماكثون (٥) » قال الأعمش أنبئت أن

ما كان يعتمده رسول الله صلى الله عليه وسلم ينبغى أن يعتمده فكان قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وصيامه الزائد لا يخلو إما أنه كان ليقتدى به وإما أنه كان لمزيد كان يجده بذلك فإن كان ليقتدى به فالمنتهى أيضا مقتدى به ينبغى أن يأتى بمثل ذلك والصحيح الحق أن رسول الله صلى الله

(١) حديث اشتكت النار إلى ربها فقالت يارب أكل بعضى بعضا فأذن لها بنفسين الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة (٢) حديث أبى سعيد الخدرى لو أن دلوا من غساق ألقى فى الدنيا لأنتن أهل الأرض الترمذى وقال إنما نعرفه من حديث رشد بن سعد وفيه ضعف (٣) حديث ابن عباس لو أن قطرة من الزقوم قطرت فى دار الدنيا أفسدت على أهل الأرض معاشهم الحديث الترمذى وقال حسن صحيح وابن ماجه (٤) حديث أنس ارغبوا فيما رغبكم فيه واحذروا وخافوا مما خوفكم به من عذاب الله وعقابه من جهنم الحديث لم أجد له إسنادا (٥) حديث أبى الدرداء يلقى على أهل النار الجوع حتى يعدل ماهم فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام الحديث الترمذى من رواية سمرة ابن عطية عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبى الدرداء قال الدارمى والناس لا يعرفون هذا الحديث وإنما روى عن الأعمش عن سمرة بن عطية عن شهر عن أم الدرداء عن أبى الدرداء قوله.

بين دعائهم وبين إجابة مالك إياهم ألف عام قال فيقولون ادعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون قال فيجيبهم اخسئوا فيها ولا تكلمون قال فعند ذلك يئسوا من كل خير وعند ذلك أخذوا في الزفير والحسرة والويل، قال أبو أمامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى - ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه - قال «يقرّب إليه فيتكرهه فإذا أدني منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره يقول الله تعالى - وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم - وقال تعالى - وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه - فهذا طعامهم وشرابهم عند جوعهم وعطشهم (١)» فانظر الآن إلى حيات جهنم وعقاربها وإلى شدة سمومها وعظم أشخاصها وفظاظة منظرها وقد سلطت على أهلها وأغريت بهم فهي لا تفتر عن النهش واللدغ ساعة واحدة قال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ «من آتاه الله مالا فلم يؤدّ زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهازمه يعني أشداقه فيقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا قوله تعالى - ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله الآية - (٢)» وقال الرسول صلى الله عليه وسلم «إن في النار لحيات مثل أعناق البخت يلسعن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفا وإن فيها لعقارب كالبغال الموكفة يلسعن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفا وهذه الحيات والعقارب إنما تسلط على من سلط عليه في الدنيا البخل وسوء الخلق وإيذاء الناس ومن وقي ذلك وقي هذه الحيات فلم تمثل له (٣)» ثم تفكر بعد هذا كله في تعظيم أجسام أهل النار فإن الله تعالى يزيد في أجسامهم طولا وعرضا حتى يتزايد عذابهم بسببه فيحسون بلفح النار ولدغ العقارب والحيات من جميع أجزائها دفعة واحدة على التوالي قال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ «ضرس الكافر في النار مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث (٤)» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «شفته السفلى ساقطة على صدره والعليا قالصة قد غطت وجهه (٥)» وقال عليه السلام «إن الكافر ليجر لسانه في سجين يوم القيامة يتواطؤه الناس (٦)» ومع عظم الأجسام كذلك تحرقهم النار مرات فتجدد جلودهم ولحومهم قال الحسن في قوله تعالى - كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها - قال تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا. ثم تفكر الآن في بكاء أهل النار وشهيقهم ودعائهم بالويل والثبور فإن ذلك يسلط عليهم في أول إلقائهم في النار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك (٧)» وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يرسل على أهل النار البكاء فيبكون حتى تنقطع الدموع ثم يبكون الدم حتى يرى في وجوههم كهيئة الأخدود لو أرسلت فيها السفن لجرت ومادام يؤذن لهم في البكاء

عليه وسلم لم يفعل ذلك لمجرد الاقتداء بل كان يجد بذلك زيادة وهو ما ذكرناه من تهذيب الجبلة. قال الله تعالى خطابا له - واعبد ربك حتى يأتيك اليقين - لأنه بذلك ازداد استمدادا من الحضرة الإلهية وقرع باب الكرم والنبي عليه الصلاة والسلام مفتقر إلى الزيادة من الله تعالى غير مستغن

(١) حديث أبي أمامة في قوله تعالى - ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه - قال يقرب إليه الحديث الترمذي وقال غريب (٢) حديث أبي هريرة من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له ماله يوم القيامة شجاعا أقرع الحديث البخاري من حديث أبي هريرة ومسلم من حديث جابر نحوه (٣) حديث إن في النار لحيات مثل أعناق البخت يلسعن اللسعة الحديث أحمد من رواية ابن لهيعة عن دراج عن عبد الله بن الحارث بن جزء (٤) حديث أبي هريرة ضرس الكافر في النار مثل أحد الحديث رواه مسلم (٥) حديث شفته السفلى ساقطة على صدره والعليا قالصة قد غطت وجهه الترمذي من حديث أبي سعيد وقال حسن صحيح غريب (٦) حديث إن الكافر ليجر لسانه فرسخين يوم القيامة يتواطؤه الناس الترمذي من رواية أبي المخارق عن ابن عمر وقال غريب وأبو المخارق لا يعرف (٧) حديث يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام الحديث مسلم من حديث عبد الله بن مسعود.

والشهيق والزفير والدعوة بالويل والثبور فلهم فيه مستروح ولكنهم يمنعون أيضا من ذلك (١)» قال محمد بن كعب : لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله عز وجل في أربعة فإذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها أبدا يقولون ـ ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل ـ فيقول الله تعالى مجيبا لهم ـ ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير ـ ثم يقولون ـ ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا ـ فيجيبهم الله تعالى ـ أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال ـ فيقولون ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل ـ فيجيبهم الله تعالى ـ أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ـ ثم يقولون ـ ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون ـ فيجيبهم الله تعالى ـ اخسئوا فيها ولا تكلمون ـ فلا يتكلمون بعدها أبدا وذلك غاية شدة العذاب . قال مالك بن أنس رضي الله عنه: قال زيد بن أسلم في قوله تعالى ـ سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص ـ قال صبروا مائة سنة ثم جزعوا مائة سنة ثم صبروا مائة سنة ثم قالوا ـ سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ـ وقال صلى الله عليه وسلم «يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار ويقال يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت (٢)» وعن الحسن قال يخرج من النار رجل بعد ألف عام وليتني كنت ذلك الرجل ورؤي الحسن رضي الله عنه جالسا في زاوية وهو يبكي فقيل له لم تبكي؟ فقال أخشى أن يطرحني في النار ولا يبالي فهذه أصناف عذاب جهنم على الجملة وتفصيل غمومها وأحزانها ومحنها وحسراتها لا نهاية له فأعظم الأمور عليهم مع ما يلاقونه من شدة العذاب حسرة فوت نعيم الجنة وفوت لقاء الله تعالى وفوت رضاه مع علمهم بأنهم باعوا كل ذلك بثمن بخس دراهم معدودة إذ لم يبيعوا ذلك إلا بشهوات حقيرة في الدنيا أياما قصيرة وكانت غير صافية بل كانت مكدرة منغصة فيقولون في أنفسهم واحسرتاه كيف أهلكنا أنفسنا بعصيان ربنا وكيف لم نكلف أنفسنا الصبر أياما قلائل ولو صبرنا لكانت قد انقضت عنا أيامه وبقينا الآن في جوار رب العالمين متنعمين بالرضا والرضوان فيا لحسرة هؤلاء وقد فاتهم ما فاتهم وبلوا بما بلوا به ولم يبق معهم شيء من نعيم الدنيا ولذاتها ثم إنهم لو لم يشاهدوا نعيم الجنة لم تعظم حسرتهم لكنها تعرض عليهم فقد قال رسول الله ﷺ «يؤتى يوم القيامة بناس من النار إلى الجنة حتى إذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها ونظروا إلى قصورها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها نودوا أن اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون والآخرون بمثلها فيقولون يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا من ثوابك وما أعددت فيها لأوليائك كان أهون علينا فيقول الله تعالى ذاك أردت بكم كنتم إذا خلوتم بارزتموني بالعظائم وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراءون الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوني وأجللتم الناس ولم تجلوني وتركتم للناس ولم تتركوا لي فاليوم أذيقكم العذاب الأليم مع ما حرمتكم من الثواب المقيم (٣)» قال أحمد بن حرب إن أحدنا يؤثر الظل على الشمس ثم لا يؤثر الجنة على النار . وقال عيسى عليه السلام كم من جسد صحيح ووجه صبيح ولسان فصيح غدا بين أطباق النار يصيح . وقال داود إلهي لا صبر لي على حر شمسك فكيف صبري

عن ذلك ثم في ذلك سر غريب وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم برابطة جنسية النفس كان يدعو الخلق إلى الحق ولولا رابطة الجنسية ماوصلوا إليه ولا انتفعوا به وبين نفسه الطاهرة ونفوس الأتباع رابطة التأليف كما بين روحه وأرواحهم رابطة التأليف ورابطة التأليف أن النفوس

(١) حديث أنس يرسل على أهل النار البكاء فيبكون حتى تنقطع الدموع الحديث ابن ماجه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس والرقاشي ضعيف (٢) حديث يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيذبح البخاري من حديث ابن عمر ومسلم من حديث أبي سعيد وقد تقدم (٣) حديث يؤتى يوم القيامة بناس من النار إلى الجنة حتى إذا دنوا منها واستنشقوا روائحها الحديث رويناه في الأربعين لأبي هدبة عن أنس وأبو هدبة إبراهيم بن هدبة هالك .

على

على حر نارك ولا صبر لى على صوت رحمتك فكيف على صوت عذابك فانظر يامسكين فى هذه الأهوال واعلم أن الله تعالى خلق النار بأهوالها وخلق لها أهلا لا يزيدون ولا ينقصون وأن هذا أمر قد قضى وفرغ منه قال الله تعالى ـ وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون ـ ولعمرى الاشارة به إلى يوم القيامة بل فى أزل الأزل ولكن أظهر يوم القيامة ما سبق به القضاء فالعجب منك حيث تضحك وتلهو وتشتغل بمحقرات الدنيا ولست تدرى أن القضاء بماذا سبق فى حقك ؟ فان قلت فليت شعرى ماذا موردى وإلى ماذا مآلى ومرجعى وما الذى سبق به القضاء فى حقى فلك علامة تستأنس بها وتصدق رجاءك بسببها وهى أن تنظر إلى أحوالك وأعمالك فان كلا ميسر لما خلق له فان كان قد يسر لك سبيل الخير فأبشر فانك مبعد عن النار وإن كنت لا تقصد خيرا إلا وتحيط بك الموانع فتدفعه ولا تقصد شرا إلا ويتيسر لك أسبابه فاعلم أنك مقضى عليك فان دلالة هذا على العاقبة كدلالة المطر على النبات ودلالة الدخان على النار فقد قال الله تعالى ـ إن الأبرار لفى نعيم وإن الفجار لفى جحيم ـ فاعرض نفسك على الآيتين وقد عرفت مستقرك من الدارين والله أعلم .

(القول فى صفة الجنة وأصناف نعيمها)

اعلم أن تلك الدار التى عرفت همومها وغمومها تقابلها دار أخرى فتأمل نعيمها وسرورها فان من بعد من أحدهما استقر لا محالة فى الأخرى فاستثر الخوف من قلبك بطول الفكر فى أهوال الجحيم واستثر الرجاء بطول الفكر فى النعيم المقيم الموعود لأهل الجنان وسق نفسك بسوط الخوف وقدها بزمام الرجاء إلى الصراط المستقيم فبذلك تنال الملك العظيم وتسلم من العذاب الأليم فتفكر فى أهل الجنة وفى وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم جالسين على منابر الياقوت الأحمر فى خيام من اللؤلؤ الرطب الأبيض فيها بسط من العبقرى الأخضر متكئين على أرائك منصوبة على أطراف أنهار مطردة بالخمر والعسل محفوفة بالغلمان والولدان مزينة بالحور العين من الخيرات الحسان كأنهن الياقوت والمرجان لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان يمشين فى درجات الجنان إذا اختالت إحداهن فى مشيها حمل أعطافها سبعون ألفا من الولدان عليها من طرائف الحرير الأبيض ما تتحير فيه الأبصار مكللات بالتيجان المرصعة باللؤلؤ والمرجان شكلات غنجات عطرات آمنات من الهرم والبؤس مقصورات فى الخيام فى قصور من الياقوت بنيت وسط روضات الجنان قاصرات الطرف عين ثم يطاف عليهم وعليهن بأكواب وأباريق وكأس من معين بيضاء لذة للشاربين ويطوف عليهم خدام وولدان كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون فى مقام أمين فى جنات وعيون فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ينظرون فيها إلى وجه الملك الكريم وقد أشرقت فى وجوههم نضرة النعيم لا يرهقهم قتر ولا ذلة بل عباد مكرمون وبأنواع التحف من ربهم يتعاهدون فهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون لا يخافون فيها ولا يحزنون وهم من ريب المنون آمنون فهم فيها يتنعمون ويأكلون من أطعمتها ويشربون من أنهارها لبنا وخمرا وعسلا فى أنهار أراضيها من فضة وحصباؤها مرجان وعلى أرض ترابها مسك أذفر ونباتها زعفران ويمطرون من سحاب فيها من ماء النسرين على كثبان الكافور ويؤتون بأكواب وأى أكواب بأكواب من فضة مرصعة بالدر والياقوت والمرجان كوب فيه من الرحيق المختوم ممزوج به السلسبيل العذب كوب يشرق نوره من صفاء جوهره يبدو الشراب من ورائه برقته وحمرته لم يصنعه آدمى فيقصر فى تسوية صنعته وتحسين صناعته فى كف خادم يحكى ضياء وجهه الشمس فى إشراقها ولكن من أين للشمس حلاوة مثل حلاوة صورته وحسن أصداغه

ألفت آخرا كما أن الأرواح ألفت أولا ولكل روح مع نفسه تأليف خاص والسكون والتأليف والامتزاج واقع بين الأرواح والنفوس وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يديم العمل لتصفية نفسه ونفوس الأتباع لما احتاج إليه نفسه من ذلك ناله وما فضل من ذلك وصل إلى نفوس

ومَلاحة أحداقه فيا عجبا لمن يؤمن بدار هذه صفتها ويوقن بأنه لا يموت أهلها ولا تحل الفجائع عن نزل بفنائها ولا تنظر الأحداث بعين التغيير إلى أهلها كيف يأنس بدار قد أذن الله في خرابها ويتهنأ بعيش دونها والله لو لم يكن فيها إلا سلامة الأبدان مع الأمن من الموت والجوع والعطش وسائر أصناف الحدثان لكان جديرا بأن يهجر الدنيا بسببها وأن لا يؤثر عليها ما التصرم والتنغص من ضرورته كيف وأهلها ملوك آمنون وفي أنواع السرور ممتعون لهم فيها كل ما يشتهون وهم في كل يوم بفناء العرش يحضرون وإلى وجه الله الكريم ينظرون وينالون بالنظر من الله ما لا ينظرون معه إلى سائر نعيم الجنان ولا يلتفتون وهم على الدوام بين أصناف هذه النعم يتردّدون وهم من زوالها آمنون قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ينادي مناد يا أهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا فذلك قوله عزّ وجل - ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون -(١)» ومهما أردت أن تعرف صفة الجنة فاقرإ القرآن فليس وراء بيان الله تعالى بيان واقرأ من قوله تعالى - ولمن خاف مقام ربه جنتان - إلى آخر سورة الرحمن واقرأ سورة الواقعة وغيرها من السور وإن أردت أن تعرف تفصيل صفاتها من الأخبار فتأمل الآن تفصيلها بعد أن اطلعت على جملتها وتأمل أوّلا عدد الجنان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى - ولمن خاف مقام ربه جنتان - قال «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن (٢)» ثم انظر إلى أبواب الجنة فإنها كثيرة بحسب أصول الطاعات كما أن أبواب النار بحسب أصول المعاصي قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أنفق زوجين من ماله في سبيل الله دعي من أبواب الجنة كلها وللجنة ثمانية أبواب فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الصيام ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد فقال أبو بكر رضي الله عنه والله ما على أحد من ضرورة من أيها دعي فهل يدعى أحد منها كلها ؟ قال نعم وأرجو أن تكون منهم (٣)» وعن عاصم بن ضمرة عن عليّ كرم الله وجهه أنه ذكر النار فعظم أمرها ذكرا لا أحفظه ثم قال - وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا - حتى إذا انتهوا إلى باب من أبوابها وجدوا عنده شجرة يخرج من تحت ساقها عينان تجريان فعمدوا إلى إحداهما كما أمروا به فشربوا منها فأذهبت ما في بطونهم من أذى أو بأس ثم عمدوا إلى الأخرى فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم فلم تتغير أشعارهم بعدها أبدا ولا تشعث رءوسهم كأنما دهنوا بالدهان ثم انتهوا إلى الجنة فقال لهم خزنتها - سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين - ثم تلقاهم الولدان يطيفون بهم كما تطيف ولدان أهل الدنيا بالحبيب يقدم عليهم من غيبة يقولون له أبشر أعدّ الله لك من الكرامة كذا قال فينطلق غلام من أولئك الولدان إلى بعض أزواجه من الحور العين فيقول قد جاء فلان باسمه الذي كان يدعى به في الدنيا فتقول أنت رأيته فيقول أنا رأيته وهو بأثري فيستخفها الفرح حتى تقوم إلى أسكفة بابها فإذا انتهى إلى منزله نظر إلى أساس بنيانه فإذا جندل اللؤلؤ فوقه صرح أحمر وأخضر وأصفر من كل لون ثم يرفع رأسه فينظر إلى سقفه فإذا

(١) حديث أبي هريرة ينادي مناد إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا الحديث مسلم من حديث أبي هريرة وأبي سعيد (٢) حديث جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما الحديث متفق عليه من حديث أبي موسى (٣) حديث أبي هريرة من أنفق زوجين من ماله في سبيل الله دعي من أبواب الجنة الحديث متفق عليه .

الأمة وهكذا المنتهى مع الأصحاب والأتباع على هذا المعنى فلا يتخلف عن الزيادات والنوافل ولا يسترسل في الشهوات واللذات إلا بدلالة تخص النفس ولا يعطى الاعتدال حقه من ذلك إلا بتأييد الله تعالى ونور الحكمة وكل من يحتاج إلى صحبة الجلوة الضرير لا بد له من خلوة صحيحة بالحق حتى تكون

مثل

مثل البرق ولولا أن الله تعالى قدّره لألم أن يذهب بصره ثم يطأطئ رأسه فاذا أزواجه وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابيّ مبثوثة ـ ثم اتكأ فقال ـ الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ـ ثم ينادى مناد تحيون فلا تموتون أبدا وتقيمون فلا تظعنون أبدا وتصحون فلا تمرضون أبدا » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « آتى يوم القيامة باب الجنة فأستفتح فيقول الخازن من أنت فأقول محمد فيقول بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك (١) » ثم تأمل الآن فى غرف الجنة واختلاف درجات العلو فيها فان الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا وكما أن بين الناس فى الطاعات الظاهرة والأخلاق الباطنة المحمودة تفاوتا ظاهرا فكذلك فيما يجازون به تفاوت ظاهر فان كنت تطلب أعلى الدرجات فاجتهد أن لا يسبقك أحد بطاعة الله تعالى فقد أمرك الله بالمسابقة والمنافسة فيها فقال تعالى ـ سابقوا إلى مغفرة من ربكم ـ وقال تعالى ـ وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ـ والعجب أنه لو تقدّم عليك أقرانك أوجيرانك بزيادة درهم أو بعلو بناء ثقل عليك ذلك وضاق به صدرك وتنغص بسبب الحسد عيشك وأحسن أحوالك أن تستقر فى الجنة وأنت لا تسلم فيها من أقوام يسبقونك بلطائف لا توازيها الدنيا بحذافيرها فقد قال أبو سعيد الخدرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف فوقهم كما تتراءون الكوكب الغائر فى الأفق من المشرق إلى المغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يارسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين (٢) » وقال أيضا « إن أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع فى أفق من آفاق السماء وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما (٣) » وقال جابر قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أحدثكم بغرف الجنة قال قلت بلى يارسول الله صلى الله عليك بأبينا أنت وأمنا قال إن فى الجنة غرفا من أصناف الجوهر كله يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها وفيها من النعيم واللذات والسرور ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال قلت يارسول الله ولمن هذه الغرف قال لمن أفشى السلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام قال قلنا يارسول الله ومن يطيق ذلك قال أمتى تطيق ذلك وسأخبركم عن ذلك من لقى أخاه فسلم عليه أو ردّ عليه فقد أفشى السلام ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام ومن صام شهر رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام فقد أدام الصيام ومن صلى العشاء الآخرة وصلى الغداة فى جماعة فقد صلى بالليل والناس نيام (٤) » يعنى اليهود والنصارى والمجوس . « وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله ـ ومساكن طيبة فى جنات عدن ـ قال : قصور من لؤلؤ فى كل قصر سبعون دارا من ياقوت أحمر فى كل دار سبعون بيتا من زمرد أخضر فى كل بيت سرير على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين فى كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام فى كل بيت سبعون وصيفة ويعطى المؤمن فى كل غداة يعنى من القوّة ما يأتى على ذلك أجمع (٥) ».

جلوته فى حماية خلوته ومن يتراءى له أن أوقاته كلها خلوة وأنه لا يحجبه شىء وأن أوقاته بالله وقته ولا يرى نقصانا لأن الله ما فطنه لحقيقة المزيد فهو صحيح فى حاله غير أنه تحت قصور لأنه ما نبه لسياسة الجبلة وما عرف سر تمليك الاختيار وما وقف من البيان على البيضاء النقية وقد نقلت عن الشايخ كلمات

(١) حديث آتى يوم القيامة باب الجنة فأستفتح فيقول الخازن من أنت فأقول محمد الحديث مسلم من حديث أنس (٢) حديث أبى سعيد إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف فوقهم كما تتراءون الكوكب الحديث متفق عليه وقد تقدم (٣) حديث إن أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما يرون النجم الطالع رواه الترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث أبى سعيد (٤) حديث جابر ألا أحدثكم بغرف الجنة قلت يارسول الله بأبينا أنت وأمنا قال إن فى الجنة غرفا من أصناف الجوهر الحديث أبو نعيم من رواية الحسن عن جابر (٥) حديث سئل عن قوله تعالى ـ ومساكن طيبة فى جنات عدن ـ قال قصور من لؤلؤ الحديث أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب العظمة والآجرّى فى كتاب النصيحة

(صفة حائط الجنة وأراضيها وأشجارها وأنهارها)

تأمل فى صورة الجنة وتفكر فى غبطة سكانها وفى حسرة من حرمها القناعته بالدنيا عوضا عنها فقد قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن حائط الجنة لبنة من فضة ولبنة من ذهب ترابها زعفران وطينها مسك (١)» . «وسئل ﷺ عن تربة الجنة فقال درمكة بيضاء مسك خالص (٢)» وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من سره أن يسقيه الله عز وجل الخمر فى الآخرة فليتركها فى الدنيا ومن سره أن يكسوه الله الحرير فى الآخرة فليتركه فى الدنيا (٣)» «أنهار الجنة تنفجر من تحت تلال أو تحت جبال المسك (٤)» «ولو كان أدنى أهل الجنة حلية عدلت بحلية أهل الدنيا جميعها لكان ما يحليها الله عز وجل به فى الآخرة أفضل من حلية الدنيا جميعها (٥)» وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ «إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها اقرءوا إن شئتم ـ وظل ممدود ـ (٦)» وقال أبو أمامة : «كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون إن الله عز وجل ينفعنا بالأعراب ومسائلهم أقبل أعرابى فقال يارسول الله قد ذكر الله فى القرآن شجرة مؤذية وما كنت أدرى أن فى الجنة شجرة تؤذى صاحبها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماهى قال السدر فإن لها شوكا فقال قد قال الله تعالى ـ فى سدر مخضود ـ يخضد الله شوكه فيجعل مكان كل شوكة ثمرة ثم تنفتق الثمرة منها عن اثنين وسبعين لونا من الطعام ما منها لون يشبه الآخر (٧)» وقال جرير بن عبد الله : نزلنا الصفاح فاذا رجل نائم تحت شجرة قد كادت الشمس أن تبلغه فقلت للغلام انطلق بهذا النطع فأظله فانطلق فأظله فلما استيقظ فاذا هو سلمان فأتيته أسلم عليه فقال ياجرير تواضع لله فان من تواضع لله فى الدنيا رفعه الله يوم القيامة هل تدرى ما الظلمات يوم القيامة قلت لا أدرى قال ظلم الناس بعضهم بعضا ثم أخذ عويدا لا أكاد أراه من

فيها موضع اشتباه فقد يسمعها الانسان ويبنى عليها والأولى أن يفتقر إلى الله تعالى فى أى كلة يسمعها حتى يسمعها الله من ذلك الصواب . نقل عن بعضهم أنه سئل عن كمال المعرفة فقال : إذا اجتمعت المتفرقات واستوت الأحوال والأماكن وسقطت رؤية التميز ومثل هذا القول يوهم أن

من رواية الحسن بن خليفة عن الحسن قال سألت أبا هريرة وعمران بن حصين فى هذه الآية ولا يصح والحسن بن خليفة لم يعرفه ابن أبى حاتم والحسن البصرى لم يسمع من أبى هريرة على قول الجمهور (١) حديث أبى هريرة : إن حائط الجنة لبنة من فضة ولبنة من ذهب ترابها زعفران وطينها مسك الترمذى بلفظ وبلاطها المسك وقال ليس إسناده بذلك القوى وليس عندى بمتصل ورواه البزار من حديث أبى سعيد باسناد فيه مقال ورواه موقوفا عليه باسناد صحيح (٢) حديث : سئل عن تربة الجنة فقال درمكة بيضاء مسك خالص مسلم من حديث أبى سعيد أن ابن صياد سأل النبى ﷺ عن ذلك فذكره (٣) حديث أبى هريرة : من سره أن يسقيه الله الخمر فى الآخرة فليتركها فى الدنيا ومن سره أن يكسوه الله الحرير فليتركه فى الدنيا الطبرانى فى الأوسط باسناد حسن وللنسائى باسناد صحيح : من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة ومن شرب الخمر فى الدنيا لم يشربها فى الآخرة (٤) حديث : أنهار الجنة تنفجر من تحت تلال أو تحت جبال المسك العقيلى فى الضعفاء من حديث أبى هريرة (٥) حديث : لو كان أدنى أهل الجنة حلية عدلت بحلية أهل الدنيا جميعها لكان ما يحليه الله به فى الآخرة أفضل من حلية أهل الدنيا جميعها الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى هريرة باسناد حسن (٦) حديث : إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة (٧) حديث أبى أمامة أقبل أعرابى فقال يارسول الله قد ذكر الله فى القرآن شجرة مؤذية قال ماهى قال السدر الحديث ابن المبارك فى الزهد عن صفوان بن عمرو عن سليم بن عامر مرسلا من غير ذكر لأبى أمامة .

صفره فقال ياجرير لوطلبت مثل هذا فى الجنة لم تجده قلت يا أبا عبدالله فأين النخل والشجر قال أصولها اللؤلؤ والذهب وأعلاها الثمر .

(صفة لباس أهل الجنة وفرشهم وسررهم وأرائكهم وخيامهم)

قال الله تعالى ـ يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير ـ والآيات فى ذلك كثيرة وإنما تفصيله فى الأخبار فقد روى أبوهريرة أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال «من يدخل الجنة ينعم لا ييأس لاتبلى ثيابه ولايفنى شبابه فى الجنة ما لاعين رأت ولاأذن سمعت ولاخطر على قلب بشر (١)» . «وقال رجل يارسول الله أخبرنا عن ثياب أهل الجنة أتخلق تخلق أم تنسج تنسج فسكت رسول الله ﷺ وضحك بعض القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مم تضحكون من جاهل سأل عالما ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل ينشق عنها ثمر الجنة مرتين (٢)» وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر لايبصقون فيها ولايمتخطون ولايتغوطون آنيتهم وأمشاطهم من الذهب والفضة ورشحهم المسك لكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقها من وراء اللحم من الحسن لااختلاف بينهم ولاتباغض قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشية (وفى رواية) على كل زوجة سبعون حلة (٣)» وقال صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى ـ يحلون فيها من أساور من ذهب ـ قال « إن عليهم التيجان إن أدنى لؤلؤة فيها تضىء مابين المشرق والمغرب (٤)» وقال ﷺ «الخيمة درة مجوفة طولها فى السماء ستون ميلا فى كل زاوية منها للمؤمن أهل لايراهم الآخرون (٥)» رواه البخارى فى الصحيح قال ابن عباس الخيمة درة مجوفة فرسخ فى فرسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب وقال أبو سعيد الخدرى « قال رسول الله ﷺ فى قوله تعالى : وفرش مرفوعة قال مابين الفراشين كما بين السماء والأرض (٦)»

لايبقى تمييز بين الخلوة والجلوة و بين القيام بصور الأعمال و بين تركها ولم يفهم منه أن القائل أراد بذلك معنى خاصا يعنى أن حظ المعرفة لايتغير بحال من الأحوال وهذا صحيح لأن حظ المعرفة لايتغير ولايفتقر إلى التمييز وتستوى الأحوال فيه ولكن حظ البر قد يتغير و يحتاج إلى

(صفة طعام أهل الجنة)

بيان طعام أهل الجنة مذكور فى القرآن من الفواكه والطيور السمان والمن والسلوى والعسل واللبن وأصناف كثيرة لاتحصى قال الله تعالى ـ كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ـ ، وذكر الله تعالى شراب أهل الجنة فى مواضع كثيرة ،

---

(١) حديث أبى هريرة : من يدخل الجنة ينعم ولاييأس لاتبلى ثيابه الحديث رواه مسلم دون قوله : فى الجنة مالاعين رأت الخ فاتفق عليه الشيخان من حديث آخر لأبى هريرة :قال الله تعالى أعددت لعبادى الصالحين مالاعين رأت الحديث (٢) حديث : قال رجل يارسول الله أخبرنا عن ثياب أهل الجنة أتخلق خلقا أم تنسج نسجا الحديث النسائى من حديث عبد الله بن عمرو (٣) حديث أبى هريرة : أول زمرة تدخل الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر الحديث متفق عليه (٤) حديث : فى قوله تعالى ـ يحلون فيها من أساور من ذهب ـ قال إن عليهم التيجان أدنى لؤلؤة فيها تضىء مابين المشرق والمغرب الترمذى من حديث أبى سعيد دون ذكر الآية وقال لانعرفه إلامن حديث رشدين سعد (٥) حديث : الخيمة درة مجوفة طولها فى السماء ستون ميلا الحديث عزاه المصنف للبخارى وهو متفق عليه من حديث أبى موسى الأشعرى (٦) حديث أبى سعيد فى قوله تعالى ـ وفرش مرفوعة ـ قال مابين الفراشين كما بين السماء والأرض الترمذى بلفظ : ارتفاعها لكما بين السماء والأرض خمسمائة سنة وقال غريب لانعرفه إلامن حديث رشد بن سعد .

وقد قال ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم «كنت قائما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه حبر من أحبار اليهود فذكر أسئلة إلى أن قال فمن أول إجازة يعني على الصراط ؟ فقال فقراء المهاجرين ، قال اليهودي فما تحفتهم حين يدخلون الجنة ؟ قال زيادة كبد الحوت ، قال فما غداؤهم على أثرها ؟ قال ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل في أطرافها . قال فما شرابهم عليه ؟ قال من عين فيها تسمى سلسبيلا . فقال صدقت [1]» وقال زيد بن أرقم «جاء رجل من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا أبا القاسم ألست تزعم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون وقال لأصحابه إن أقر لي بها خصمته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى والذي نفسي بيده إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل في المطعم والمشرب والجماع ، فقال اليهودي فان الذي يأكل ويشرب يكون له الحاجة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل المسك فاذا البطن قد ضمر [2]» وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشويا [3]» وقال حذيفة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن في الجنة طيرا أمثال البخاتي . قال أبو بكر رضي الله عنه إنها لناعمة يارسول الله . قال أنعم منها من يأكلها وأنت ممن يأكلها ياأبابكر [4]» وقال عبدالله بن عمر في قوله تعالى ـ يطاف عليهم بصحاف ـ قال يطاف عليهم بسبعين صحفة من ذهب كل صحفة فيها لون ليس في الأخرى مثله . وقال عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه ـ ومزاجه من تسنيم ـ قال يمزج لأصحاب اليمين ويشربه المقربون صرفا . وقال أبو الدرداء رضي الله عنه : في قوله تعالى ـ ختامه مسك ـ قال هو شراب أبيض مثل الفضة يختمون به آخر شرابهم لو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل يده فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلا وجد ريح طيبها .

(صفة الحور العين والولدان)

قد تكرر في القرآن وصفهم ووردت الأخبار بزيادة شرح فيه ، روى أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «غدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا ومافيها ولقاب قوس أحدكم أو موضع قدمه من الجنة خير من الدنيا ومافيها ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ولملأت مابينهما رائحة ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا بما فيها [5]» يعني الخمار وقال

التميز وليس في هذا الكلام وأمثاله ماينافي ماذكرناه . قيل لمحمد ابن الفضل حاجة العارفين إلى ماذا قال حاجتهم إلى الخصلة التي كملت بها المحاسن كلها ألا وهي الاستقامة وكل من كان أتم معرفة كان أتم استقامة فاستقامة أرباب النهاية على التمام والعبد في الابتداء مأخوذ في الأعمال محجوب بها

---

(١) حديث ثوبان جاء حبر من أحبار اليهود فذكر سؤاله إلى أن قال فمن أول الناس إجازة يعني على الصراط فقال فقراء المهاجرين قال اليهودي فما تحفتهم حين يدخلون الجنة قال زيادة كبد النون الحديث رواه مسلم بزيادة في أوله وآخره (٢) حديث زيد بن أرقم جاء رجل من اليهود فقال يا أبا القاسم ألست تزعم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون الحديث وفيه حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل المسك النسائي في الكبرى باسناد صحيح (٣) حديث ابن مسعود إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشويا البزار باسناد فيه ضعف (٤) حديث حذيفة إن في الجنة طيرا أمثال البخاتي الحديث غريب من حديث حذيفة ولأحمد من حديث أنس باسناد صحيح إن طير الجنة كأمثال البخت ترعى في شجر الجنة قال أبو بكر يارسول الله إن هذه الطير ناعمة قال أكلتها أنعم منها قالها ثلاثا وإني أرجو أن تكون ممن يأكل منها وهو عند الترمذي من وجه آخر ذكر فيه نهر الكوثر وقال فيه طير أعناقها كأعناق الجزر قال عمر : إن هذه لناعمة الحديث وليس فيه ذكر لأبي بكر وقال حسن (٥) حديث غدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا ومافيها الحديث البخاري من حديث أنس .

أبو

أبو سعيد الخدرى «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى ـ كأنهن الياقوت والمرجان ـ قال ينظر إلى وجهها فى خدرها أصفى من المرآة وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضىء مابين المشرق والمغرب وإنه يكون عليها سبعون ثوبا ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك (١)» وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لما أسرى بى دخلت فى الجنة موضعا يسمى البيدخ عليه خيام اللؤلؤ والزبرجد الأخضر والياقوت الأحمر فقلن السلام عليك يارسول الله فقلت ياجبريل ماهذا النداء قال هؤلاء المقصورات فى الخيام استأذن ربهن فى السلام عليك فأذن لهن فطفقن يقلن نحن الراضيات فلانسخط أبدا ونحن الخالدات فلانظعن أبدا ، وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ـ حور مقصورات فى الخيام ـ (٢)» وقال مجاهد فى قوله تعالى ـ وأزواج مطهرة ـ قال من الحيض والغائط والبول والبصاق والنخامة والمنى والولد . وقال الأوزاعى ـ فى شغل فاكهون ـ قال شغلهم افتضاض الأبكار . وقال رجل يارسول الله «أيباضع أهل الجنة ؟ قال يعطى الرجل منهم من القوة فى اليوم الواحد أفضل من سبعين منكم (٣)» وقال عبدالله بن عمر إن أدنى أهل الجنة منزلة من يسعى معه ألف خادم كل خادم على عمل ليس عليه صاحبه ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الرجل من أهل الجنة ليتزوج خمسمائة حوراء وأربعة آلاف بكر وثمانية آلاف ثيب يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره فى الدنيا (٤)» وقال النبى صلى الله عليه وسلم «إن فى الجنة سوقا مافيها بيع ولاشراء إلا الصور من الرجال والنساء فاذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها وإن فيها لمجتمع الحور العين يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق مثلها يقلن نحن الخالدات فلانبيد ونحن الناعمات فلانبأس ونحن الراضيات فلانسخط فطوبى لمن كان لنا وكنا له (٥)» وقال أنس رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث أبى سعيد الخدرى فى قوله تعالى ـ كأنهن الياقوت والمرجان ـ قال تنظر إلى وجهها فى خدرها أصفى من المرآة الحديث أبو يعلى من رواية أبى الهيثم عن أبى سعيد بإسناد حسن ورواه أحمد وفيه ابن لهيعة ورواه ابن المبارك فى الزهد والرقائق من رواية أبى الهيثم عن النبى ﷺ مرسلا دون ذكر أبى سعيد وللترمذى من حديث ابن مسعود إن المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض مخ ساقها من وراء سبعين حلة الحديث ورواه عنه موقوفا قال وهذا أصح وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة لكل امرىء منهم زوجتان اثنتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم (٢) حديث أنس لما أسرى بى دخلت فى الجنة موضعا يسمى الصرح عليه خيام اللؤلؤ والزبرجد الأخضر والياقوت الأحمر الحديث وفيه أن جبريل قال هؤلاء المقصورات فى الخيام وفيه فطفقن يقلن نحن الراضيات فلانسخط لم أجده هكذا بتمامه وللترمذى من حديث على إن فى الجنة لمجتمعا للحور العين يرفعن أصواتا لم تسمع الخلائق مثلها يقلن نحن الخالدات فلانبيد ونحن الناعمات فلانبأس ونحن الراضيات فلانسخط طوبى لمن كان لنا وكنا له وقال غريب ولأبى الشيخ فى كتاب العظمة حديث ابن أبى أوفى بسند ضعيف فيجتمعن فى كل سبعة أيام فيقلن بأصوات الحديث (٣) حديث قال رجل يارسول الله أيباضع أهل الجنة قال يعطى الرجل منهم من القوة فى اليوم الواحد أفضل من سبعين منكم الترمذى وصححه وابن حبان من حديث أنس يعطى المؤمن فى الجنة قوة كذا وكذا من الجماع فقيل أو يطيق ذلك قال يعطى قوة مائة (٤) حديث إن الرجل من أهل الجنة ليتزوج خمسمائة حوراء وأربعة آلاف بكر وثمانية آلاف ثيب يعانق كل واحد منهن مقدار عمره فى الدنيا أبو الشيخ فى طبقات المحدثين وفى كتاب العظمة من حديث ابن أبى أوفى إلا أنه قال مائة حوراء ولم يذكر فيه عناقه لهن وإسناده ضعيف وتقدم قبله بحديث (٥) حديث إن فى الجنة سوقا مافيها بيع ولاشراء إلا الصور من الرجال والنساء الحديث الترمذى فرقه فى موضعين من حديث على وقد تقدم بعضه قبل هذا بحديثين .

عن الأحوال وفى التوسط محفوظ بالاحوال فقد يحجب عن الأعمال وفى الانتهاء لاتحجبه الأعمال عن الأحوال ولا الأحوال عن الأعمال وذلك هو الفضل العظيم . سئل الجنيد عن النهاية فقال هى الرجوع إلى البداية وقد فسر بعضهم قول الجنيد فقال معناه أنه كان فى ابتداء أمره فى جهل ثم وصل إلى

« إنّ الحور في الجنة يتغنين نحن الحور الحسان خبئنا لأزواج كرام (١) » وقال يحيى بن كثير في قوله تعالى ـ في روضة يحبرون ـ قال السماع في الجنة وقال أبو أمامة الباهلي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامن عبد يدخل الجنة إلا ويجلس عند رأسه وعند رجليه ثنتان من الحور العين يغنيانه بأحسن صوت سمعه الانس والجنّ وليس بمزمار الشيطان ولكن بتحميد الله وتقديسه (٢) » .

(بيان جمل مفرّقة من أوصاف أهل الجنة وردت بها الأخبار)

روى أسامة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه « ألا هل مشمر للجنة إن الجنة لاخطر لها هي ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وفاكهة كثيرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة في حبرة ونعمة في مقام أبدا ونضرة في دار عالية بهية سليمة قالوا نحن المشمرون لها يارسول الله قال قولوا إن شاء الله تعالى ثم ذكر الجهاد وحض عليه (٣) » « وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال هل في الجنة خيل فانها تعجبني ؟ قال إن أحببت ذلك أتيت بفرس من ياقوتة حمراء فتطير بك في الجنة حيث شئت له وقال رجل : إن الابل تعجبني فهل في الجنة من إبل ؟ فقال ياعبد الله إن أدخلت الجنة فلك فيها مااشتهت نفسك ولذت عيناك (٤) » وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرجل من أهل الجنة ليولد له الولد كما يشتهي يكون حمله وفصاله وشبابه في ساعة واحدة (٥) » وقال رسول الله ﷺ « إذا استقر أهل الجنة في الجنة اشتاق الاخوان إلى الاخوان فيسير سرير هذا إلى سرير هذا فيلتقيان ويتحدثان ماكان بينهما في دار الدنيا فيقول ياأخي تذكر يوم كذا في مجلس كذا فدعونا الله عز وجل فغفر لنا (٦) » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أهل الجنة جرد مرد بيض جعاد مكحولون أبناء ثلاث وثلاثين على خلق آدم طولهم ستون ذراعا في عرض سبعة أذرع (٧) » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أدنى أهل الجنة الذى له ثمانون ألف خادم

للعرفة ثم رد إلى التحير والجهل وهو كالطفولية يكون جهل ثم علم ثم جهل قال الله تعالى ـ لكيلا يعلم بعد علم شيئا ـ .وقال بعضهم: أعرف الخلق بالله أشدهم تحيرا فيه ويجوز أن يكون معنى ذلك ماذكرناه أنه يبادئ الأعمال ثم يرقى إلى الأحوال ثم يجمع له بين الأعمال والأحوال وهذا يكون المنتهى

(١) حديث أنس إن الحور في الجنة يتغنين فيقلن نحن الحور الحسان خبئنا لأزواج كرام الطبراني في الأوسط وفيه الحسن بن داود المنكدري قال البخاري يتكلمون فيه وقال ابن عدي أرجو أنه لا بأس به (٢) حديث أبي أمامة مامن عبد يدخل الجنة إلا ويجلس عند رأسه وعند رجليه ثنتان من الحور العين يغنيانه بأحسن صوت سمعه الانس والجن وليس بمزمار الشيطان ولكن بتحميد الله وتقديسه الطبراني باسناد حسن (٣) حديث أسامة بن زيد ألاهل من مشمر للجنة إن الجنة لاخطر لها الحديث ابن ماجه وابن حبان (٤) حديث جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له هل في الجنة خيل فانها تعجبني الحديث الترمذي من حديث بريدة مع اختلاف لفظ وفيه المسعودي مختلف فيه ورواه ابن المبارك في الزهد بلفظ المصنف من رواية عبد الرحمن بن سابط مرسلا قال الترمذي وهذا أصح وقد ذكر أبو موسى المديني عبد الرحمن بن سابط في ذيله على ابن منده في الصحابة ولا يصح له صحبة (٥) حديث أبي سعيد إن الرجل من أهل الجنة ليولد له الولد كما يشتهي ويكون حمله وفصاله ونشأته في ساعة واحدة ابن ماجه والترمذي وقال حسن غريب قال وقد اختلف أهل العلم في هذا فقال بعضهم في الجنة جماع ولا يكون ولد انتهى ولأحمد من حديث لأبي رزين يلذ ويلذ مثل لذاتكم في الدنيا ويتلذذن بكم غير أن لا توالد (٦) حديث إذا استقر أهل الجنة في الجنة اشتاق الاخوان إلى الاخوان فيسير سرير هذا إلى سرير هذا البزار من رواية الربيع بن صبيح عن الحسن عن أنس وقال لانعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا بهذا الاسناد تفرد به أنس انتهى والربيع بن صبيح ضعيف جدا ورواه الأصفهاني في الترغيب والترهيب مرسلا دون ذكر أنس (٧) حديث أهل الجنة جرد مرد بيض جعاد مكحلون أبناء ثلاث وثلاثين الحديث الترمذي من حديث معاذ وحسنه دون قوله بيض جعاد ودون قوله على خلق آدم إلى آخره

وثنتان

وثنتان وسبعون زوجة وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية إلى صنعاء، وإن عليهم التيجان وإن أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب (١)» وقال صلى الله عليه وسلم «نظرت إلى الجنة فاذا الرمانة من رمانها كجلف البعير المقتب وإذا طيرها كالبخت وإذا فيها جارية فقلت يا جارية لمن أنت؟ فقالت لزيد بن حارثة وإذا في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (٢)» وقال كعب: خلق الله تعالى آدم عليه السلام بيده وكتب التوراة بيده وغرس الجنة بيده ثم قال لها تكلمي فقالت ـ قد أفلح المؤمنون ـ فهذه صفات الجنة ذكرناها جملة ثم نقلناها تفصيلا، وقد ذكر الحسن البصري رحمه الله جملتها فقال: إن رمانها مثل الدلاء وإن أنهارها لمن ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من عسل مصفى لم يصفه الرجال وأنهار من خمر لذة للشاربين لا تسفه الأحلام ولا تصدع منها الرءوس وإن فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ملوك ناعمون أبناء ثلاث وثلاثين في سن واحد طولهم ستون ذراعا في السماء كحل جرد مرد قد أمنوا العذاب واطمأنت بهم الدار وإن أنهارها لتجرى على رضراض من ياقوت وزبرجد وإن عروقها ونخلها وكرمها اللؤلؤ وثمارها لا يعلم علمها إلا الله تعالى وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة سنة وإن لهم فيها خيلا وإبلا هفافة رحالها وأزمتها وسروجها من ياقوت يتزاورون فيها وأزواجهم الحور العين كأنهن بيض مكنون وإن المرأة لتأخذ بين أصبعيها سبعين حلة فتلبسها فيرى مخ ساقها من وراء تلك السبعين حلة قد طهر الله الأخلاق من السوء والأجساد من الموت لا يتمخطون فيها ولا يبولون ولا يتغوطون وإنما هو جشاء ورشح مسك لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا أما إنه ليس ليل يكر الغدو على الرواح والرواح على الغدو وإن آخر من يدخل الجنة وأدناهم منزلة ليمد له في بصره وملكه مسيرة مائة عام في قصور من الذهب والفضة وخيام اللؤلؤ ويفسح له في بصره حتى ينظر إلى أقصاه كما ينظر إلى أدناه يغدى عليهم بسبعين ألف صحفة من ذهب ويراح عليهم بمثلها في كل صحفة لون ليس في الأخرى مثله ويجد طعم آخره كما يجد طعم أوله وإن في الجنة لياقوتة فيها سبعون ألف دار في كل دار سبعون ألف بيت ليس فيها صدع ولا ثقب. وقال مجاهد: إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن يسير في ملكه ألف سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه وأرفعهم الذي ينظر إلى ربه بالغداة والعشي. وقال سعيد بن المسيب: ليس أحد من أهل الجنة إلا وفي يده ثلاثة أسورة سوار من ذهب وسوار من لؤلؤ وسوار من فضة. وقال أبو هريرة رضي الله عنه: إن في الجنة حوراء يقال لها العيناء إذا مشت مشى عن يمينها ويسارها سبعون ألف وصيفة وهي تقول أين الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر. وقال يحيى بن معاذ: ترك الدنيا شديد وفوت الجنة أشد وترك الدنيا مهر الآخرة، وقال أيضا في طلب الدنيا ذل النفوس وفي طلب الآخرة عز النفوس فيا عجبا لمن يختار المذلة في طلب ما يفنى ويترك العز في طلب ما يبقى.

(صفة الرؤية والنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى)

قال الله تعالى ـ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ـ وهذه الزيادة هي النظر إلى وجه الله تعالى وهي اللذة

المراد المأخوذ في طريق المحبوبين تجذب روحه إلى الحضرة الالهيــة وتستتبع القلب والقلب يستتبع النفس والنفس تستتبع القالب فيكون بكليته قائما بالله ساجدا بين يدي الله تعالى كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «سجد لك سوادي وخيالي» وقال الله تعالى ـ ولله يسجد من في

ورواه أيضا من حديث أبي هريرة مختصرا أهل الجنة جرد مرد كحل وقال غريب وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا (١) حديث أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم الحديث الترمذي من حديث أبي سعيد منقطعا من أوله إلى قوله وإن عليهم التيجان ومن هنا باسناده أيضا وقال لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد (٢) حديث نظرت إلى الجنة فاذا الرمانة من رمانها كجلد البعير المقتب وإذا طيرها كالبخت الحديث رواه الثعلبي في تفسيره من رواية أبي هرون العبدي عن أبي سعيد وأبو هرون اسمه عمارة بن جوين ضعيف جدا وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة يقول الله أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

الكبرى التي ينسى فيها نعيم أهل الجنة وقد ذكرنا حقيقتها في كتاب المحبة وقد شهد لها الكتاب والسنة على خلاف ما يعتقده أهل البدعة. قال جرير بن عبد الله البجلي «كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى القمر ليلة البدر فقال إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ ـ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ـ (١)» وهو مخرج في الصحيحين وروى مسلم في الصحيح عن صهيب قال «قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ـ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ـ قال إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه قالوا ما هذا الموعد ؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار قال فيرفع الحجاب وينظرون إلى وجه الله عز وجل فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إليه (٢)» وقد روى حديث الرؤيا جماعة من الصحابة وهذه هي غاية الحسنى ونهاية النعمى وكل ما فصلناه من التنعم عند هذه النعمة ينسى وليس لسرور أهل الجنة عند سعادة اللقاء منتهى بل لا نسبة لشيء من لذات الجنة إلى لذة اللقاء ، وقد أوجزنا في الكلام هنا لما فصلناه في كتاب المحبة والشوق والرضا فلا ينبغي أن تكون همة العبد من الجنة بشيء سوى لقاء المولى . وأما سائر نعيم الجنة فإنه يشارك فيه البهيمة المسرحة في المرعى .

(نختم الكتاب بباب في سعة رحمة الله تعالى على سبيل التفاؤل بذلك)

قد «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الفأل (٣)» وليس لنا من الأعمال ما نرجو به المغفرة فنقتدي برسول الله ﷺ في التفاؤل ونرجو أن يختم عاقبتنا بالخير في الدنيا والآخرة كما ختمنا الكتاب بذكر رحمة الله تعالى فقد قال الله تعالى ـ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ـ وقال تعالى ـ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم ـ وقال تعالى ـ ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ـ ونحن نستغفر الله تعالى من كل ما زلت به القدم أو طغى به القلم في كتابنا هذا وفي سائر كتبنا ونستغفره من أقوالنا التي لا توافقها أعمالنا ونستغفره مما ادعيناه وأظهرناه من العلم والبصيرة بدين الله تعالى مع التقصير فيه ونستغفره من كل علم وعمل قصدنا به وجهه الكريم ثم خالطه غيره ونستغفره من كل وعد وعدناه به من أنفسنا ثم قصرنا في الوفاء به ونستغفره من كل نعمة أنعم بها علينا فاستعملناها في معصيته ونستغفره من كل تصريح وتعريض بنقصان ناقص وتقصير مقصر كنا متصفين به ونستغفره من كل خطرة دعتنا إلى تصنع وتكلف تزينا للناس في كتاب سطرناه أو كلام نظمناه أو علم أفدناه أو استفدناه ، ونرجو بعد الاستغفار من جميع ذلك كله لنا ولمن طالع كتابنا هذا أو كتبه أو سمعه أن نكرم بالمغفرة والرحمة والتجاوز عن جميع السيئات ظاهرا وباطنا

السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال ـ والظلال القوالب تسجد بسجود الأرواح وعند ذلك تسري روح المحبة في جميع أجزائهم وأبعاضهم فيتلذذون ويتنعمون بذكر الله تعالى وتلاوة كلامه محبة وودا فيحبهم الله تعالى

---

(١) حديث جرير : كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى القمر ليلة البدر فقال إنكم ترون ربكم الحديث هو في الصحيحين كما ذكر المصنف (٢) حديث صهيب في قوله تعالى ـ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ـ رواه مسلم كما ذكره المصنف .

(باب في سعة الرحمة)

(٣) حديث : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب التفاؤل متفق عليه من حديث أنس في أثناء حديث : ويعجبني الفأل الصالح والكلمة الحسنة ولهما من حديث أبي هريرة : وخيرها الفأل قالوا وما الفأل ؟ قال الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم .

فان الكرم عميم والرحمة واسعة والجود على أصناف الخلائق فائض ونحن خلق من خلق الله عز وجل لا وسيلة لنا إليه إلا فضله وكرمه فقد قال رسول الله ﷺ «إن لله تعالى مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والطير والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وأخر تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة [١]» وروى أنه «إذا كان يوم القيامة أخرج الله تعالى كتابا من تحت العرش فيه إن رحمتي سبقت غضبي وأنا أرحم الراحمين فيخرج من النار مثلا أهل الجنة [٢]» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يتجلى الله عز وجل لنا يوم القيامة ضاحكا فيقول أبشروا معشر المسلمين فانه ليس منكم أحد إلا وقد جعلت مكانه في النار يهوديا أو نصرانيا [٣]» وقال النبي ﷺ «يشفع الله تعالى آدم يوم القيامة من جميع ذريته في مائة ألف ألف وعشرة آلاف ألف [٤]» وقال ﷺ «إن الله عز وجل يقول يوم القيامة للمؤمنين هل أحببتم لقائي فيقولون نعم يا ربنا فيقول لم؟ فيقولون رجونا عفوك ومغفرتك فيقول قد أوجبت لكم مغفرتي [٥]» وقال رسول الله ﷺ «يقول الله عز وجل يوم القيامة أخرجوا من النار من ذكرني يوما أو خافني في مقام [٦]» وقال رسول الله ﷺ «إذا اجتمع أهل النار في النار ومن شاء الله معهم من أهل القبلة قال الكفار للمسلمين ألم تكونوا مسلمين قالوا بلى فيقولون ما أغنى عنكم إسلامكم إذ أنتم معنا في النار فيقولون كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فيسمع الله عز وجل ما قالوا فيأمر باخراج من كان في النار من أهل القبلة فيخرجون فاذا رأى ذلك الكفار قالوا ياليتنا كنا مسلمين فنخرج كما أخرجوا ثم قرأ رسول الله ﷺ ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين [٧]» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لله أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها [٨]» وقال جابر بن عبد الله

ويحببهم إلى خلقه نعمة منه عليهم وفضلا على ما أخبرنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردي رحمه الله قال أنا أبو طالب الزيني قال أخبرتنا كريمة المروزية قالت أنا أبو الهيثم الكشميهني قال أنا عبد الله الفربري قال أنا أبو عبد الله البخاري

---

(١) حديث إن لله تعالى مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس الحديث مسلم من حديث أبي هريرة وسلمان (٢) حديث إذا كان يوم القيامة أخرج الله كتابا من تحت العرش فيه إن رحمتي سبقت غضبي الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة لما قضى الله الخلق كتب عنده فوق العرش إن رحمتي سبقت غضبي لفظ البخاري وقال مسلم كتب في كتابه على نفسه إن رحمتي تغلب غضبي (٣) حديث يتجلى الله لنا يوم القيامة ضاحكا فيقول أبشروا معشر المسلمين فانه ليس منكم أحد إلا وقد جعلت مكانه في النار يهوديا أو نصرانيا مسلم من حديث أبي موسى إذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهوديا أو نصرانيا فيقول هذا فداؤك من النار ولأبي داود أمتي أمة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة الحديث وأما أول الحديث فرواه الطبراني من حديث أبي موسى أيضا يتجلى الله ربنا لنا ضاحكا يوم القيامة حتى ينظروا إلى وجهه فيخرون له سجدا فيقول ارفعوا رءوسكم فليس هذا يوم عبادة وفيه علي بن زيد ابن جدعان (٤) حديث يشفع الله آدم يوم القيامة من ذريته في مائة ألف ألف وعشرة آلاف ألف الطبراني من حديث أنس باسناد ضعيف (٥) حديث إن الله تعالى يقول يوم القيامة للمؤمنين هل أحببتم لقائي فيقولون نعم الحديث أحمد والطبراني من حديث معاذ بسند ضعيف (٦) حديث يقول الله عز وجل يوم القيامة أخرجوا من النار من ذكرني يوما أو خافني في مقام الترمذي من حديث أنس وقال حسن غريب (٧) حديث إذا اجتمع أهل النار في النار ومن شاء الله معهم من أهل القبلة قال الكفار للمسلمين ألم تكونوا مسلمين ؟ قالوا بلى فيقولون ما أغنى عنكم إسلامكم إذ أنتم معنا في النار الحديث في إخراج أهل القبلة من النار ثم قرأ رسول الله ﷺ ـ ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ـ النسائي في الكبرى من حديث جابر نحوه باسناد صحيح (٨) حديث لله أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب وفي أوله قصة المرأة من السبي إذ وجدت صبيا في السبي فأخذته فألصقته ببطنها فأرضعته .

قال حدثني إسحق قال حدثنا عبد الصمد قال حدثنا عبد الرحمن ابن عبد الله بن دينار عن أبيه عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله

من زادت حسناته على سيآته يوم القيامة فذلك الذى يدخل الجنة بغير حساب ومن استوت حسناته وسيآته فذلك الذى يحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة وإنما شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن أوبق نفسه وأثقل ظهره ويروى أن الله عز وجل قال لموسى عليه السلام ياموسى استغاث بك قارون فلم تغثه وعزتى وجلالى لواستغاث بى لأغثته وعفوت عنه وقال سعد بن بلال : يؤمر يوم القيامة باخراج رجلين من النار فيقول الله تبارك وتعالى ذلك بما قدمت أيديكما وما أنا بظلام للعبيد ويأمر بردهما إلى النار فيعدو أحدهما فى سلاسله حتى يقتحمها ويتلكأ الآخر فيؤمر بردهما ويسألهما عن فعلهما فيقول الذى عدا إلى النار قد حذرت من وبال المعصية فلم أكن لأتعرض لسخطك ثانية ويقول الذى تلكأ حسن ظنى بك كان يشعرنى أن لاتردنى إليها بعد ماأخرجتنى منها فيأمر بهما إلى الجنة . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ينادى مناد من تحت العرش يوم القيامة ياأمة محمد أما ما كان لى قبلكم فقد وهبته لكم وبقيت التبعات فتواهبوها وادخلوا الجنة برحمتى (١)» ويروى أن أعرابيا سمع ابن عباس يقرأ ــ وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ــ فقال الأعرابى والله ماأنقذكم منها وهو يريد أن يوقعكم فيها فقال ابن عباس خذوها من غير فقيه وقال الصنابحى دخلت على عبادة بن الصامت وهو فى مرض الموت فبكيت فقال مهلا لم تبكى؟ فوالله مامن حديث سمعته من رسول الله ﷺ لكم فيه خير إلا حدثتكموه إلا حديثا واحدا وسوف أحدثكموه اليوم وقد أحيط بنفسى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله حرم الله عليه النار (٢)» وقال عبد الله بن عمرو بن العاص قال رسول الله ﷺ «إن الله يستخلص رجلا من أمتى على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل منها مثل مد البصر ثم يقول أتنكر من هذا شيئا أظلمتك كتبتى الحافظون فيقول لايارب فيقول أفلك عذر فيقول لايارب فيقول بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لاظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فيقول يارب ماهذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول إنك لاتظلم قال فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة قال فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شئ (٣)» وقال رسول الله ﷺ فى آخر حديث طويل يصف فيه القيامة والصراط إن الله يقول للملائكة من وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه من النار فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ياربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ياربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ياربنا لم نذر فيها أحد ممن أمرتنا به فكان أبو سعيد يقول إن لم تصدقونى بهذا الحديث فاقرءوا إن شئتم ــ إن الله لايظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما ــ

(١) حديث ينادى مناد من تحت العرش يوم القيامة ياأمة محمد أما ما كان لى قبلكم فقد غفرته لكم وبقيت التبعات فتواهبوها بينكم وادخلوا الجنة برحمتى رويناه فى سباعيات أبى الأسعد القشيرى من حديث أنس وفيه الحسين بن داود البلخى قال الخطيب ليس بثقة (٢) حديث الصنابحى عن عبادة بن الصامت من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله حرمه الله على النار مسلم من هذا الوجه واتفقا عليه من غير رواية الصنابحى بلفظ آخر (٣) حديث عبد الله بن عمرو إن الله يستخلص رجلا من أمتى على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلا فذكر حديث البطاقة ابن ماجه والترمذى وقال حسن غريب .

قال فيقول الله تعالى شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم فى نهر فى أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون منها كما تخرج الحبة فى حميل السيل ألا ترونها تكون مما يلى الحجر والشجر ما يكون إلى الشمس أصفر وأخضر وما يكون منها إلى الظل أبيض قالوا يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية قال فيخرجون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتيم يعرفهم أهل الجنة يقولون هؤلاء عتقاء الرحمن الذين أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتم فهو لكم فيقولون ربنا أعطيتنا مالم تعط أحدا من العالمين فيقول الله تعالى إن لكم عندى ماهو أفضل من هذا فيقولون يا ربنا أى شىء أفضل من هذا ؟ فيقول رضائى عنكم فلا أسخط عليكم بعده أبدا (١)» رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما وروى البخارى أيضا عن ابن عباس رضى الله عنهما قال «خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال عرضت علىّ الأمم يمر النبى ومعه الرجل والنبى ومعه الرجلان والنبى ليس معه أحد والنبى معه الرهط فرأيت سوادا كثيرا فرجوت أن تكون أمتى فقيل لى هذا موسى وقومه ثم قيل لى انظر فرأيت سوادا كثيرا قد سدّ الأفق فقيل لى انظر هكذا وهكذا فرأيت سوادا كثيرا فقيل لى هؤلاء أمتك ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب فتفرق الناس ولم يبين لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكر ذلك الصحابة فقالوا أما نحن فولدنا فى الشرك ولكن قد آمنا بالله ورسوله هؤلاء هم أبناؤنا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة فقال ادع الله أن يجعلنى منهم يارسول الله فقال أنت منهم ثم قام آخر فقال مثل قول عكاشة فقال النبى صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة (٢)» وعن عمرو بن حزم الأنصارى قال «تغيب عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا لا يخرج إلا لصلاة مكتوبة ثم يرجع فلما كان اليوم الرابع خرج إلينا فقلنا يارسول الله احتبست عنا حتى ظننا أنه قد حدث حدث قال لم يحدث إلا خير إن ربى عز وجل وعدنى أن يدخل من أمتى الجنة سبعين ألفا لا حساب عليهم وإنى سألت ربى فى هذه الثلاثة أيام المزيد فوجدت ربى ماجدا واجدا كريما فأعطانى مع كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا قال قلت يارب وتبلغ أمتى هذا ؟ قال أكمل لك العدد من الأعراب (٣)» وقال أبوذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «عرض لى جبريل فى جانب الحرة فقال بشر أمتك أنه من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة فقلت ياجبريل

تعالى إذا أحب عبدا نادى جبريل إن الله تعالى قد أحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادى جبريل فى السماء إن الله قد أحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ويوضع له القبول فى

---

(١) حديث إن الله يقول للملائكة من وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه من النار فيخرجون خلقا كثيرا الحديث فى إخراج الموحدين وقوله تعالى لأهل الجنة: فلا أسخط عليكم بعده أبدا أخرجاه فى الصحيحين كما ذكر المصنف من حديث أبى سعيد (٢) حديث ابن عباس عرضت علىّ الأمم يمر النبى معه الرجل والنبى معه الرجلان والنبى ليس معه أحد الحديث إلى قوله سبقك بها عكاشة رواه البخارى (٣) حديث عمرو بن حزم الأنصارى تغيب عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا لا يخرج إلا لصلاة مكتوبة ثم يرجع وفيه إن ربى وعدنى أن يدخل من أمتى الجنة سبعين ألفا لا حساب عليهم وفيه أعطانى مع كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا البيهقى فى البعث والنشور ولأحمد وأبى يعلى من حديث أبى بكر فزادنى مع كل واحد سبعين ألفا وفيه رجل لم يسم ولأحمد والطبرانى فى الأوسط من حديث عبد الرحمن بن أبى بكر فقال عمر فهلا استزدته فقال قد استزدته فأعطانى مع كل رجل سبعين ألفا قال عمر فهلا استزدته قال قد استزدته فأعطانى هكذا وفرج عبد الله بن أبى بكر بين يديه قال عبد الله وبسط باعيه وحثى عليه وفيه موسى بن عبيدة الربذى ضعيف .

وإن سرق وإن زنى قال نعم وإن سرق وإن زنى قلت وإن سرق وإن زنى قال وإن سرق وإن زنى قلت وإن سرق وإن زنى قال وإن سرق وإن زنى وإن شرب الخمر (١)» وقال أبو الدرداء «قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ ولمن خاف مقام ربه جنتان ـ فقلت وإن سرق وإن زنى يارسول الله فقال ـ ولمن خاف مقام ربه جنتان ـ فقلت وإن سرق وإن زنى فقال ـ ولمن خاف مقام ربه جنتان ـ فقلت وإن سرق وإن زنى يارسول الله قال وإن رغم أنف أبي الدرداء (٢)» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا كان يوم القيامة دفع إلى كل مؤمن رجل من أهل الملل فقيل له هذا فداؤك من النار (٣)» وروى مسلم في الصحيح عن أبي بردة أنه حدّث عمر بن عبدالعزيز عن أبيه أبي موسى عن النبي ﷺ قال «لايموت رجل مسلم إلاأدخل الله تعالى مكانه النار يهوديا أونصرانيا فاستحلفه عمر بن عبدالعزيز بالله الذي لاإله إلاهو ثلاث مرات أن أباه حدّثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلف له (٤)» وروى «أنه وقف صبيّ في بعض المغازي ينادى عليه فيمن يزيد في يوم صائف شديد الحرّ فبصرت به امرأة في خباء القوم فأقبلت تشتدّ وأقبل أصحابها خلفها حتى أخذت الصبي وألصقته إلى صدرها ثم ألقت ظهرها على البطحاء وجعلته على بطنها تقيه الحرّ وقالت ابني ابني فبكى الناس وتركوا ماهم فيه فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وقف عليهم فأخبروه الخبر فسرّ برحمتهم ثم بشرهم فقال أعجبتم من رحمة هذه لابنها قالوا نعم قال صلى الله عليه وسلم فان الله تبارك وتعالى أرحم بكم جميعا من هذه بابنها (٥)» فتفرّق المسلمون على أفضل السرور وأعظم البشارة فهذه الأحاديث وماأوردناه في كتاب الرجاء يبشرنا بسعة رحمة الله تعالى فنرجو من الله تعالى أن لايعاملنا بما نستحقه ويتفضل علينا بما هو أهله بمنه وسعة جوده ورحمته .

(١) حديث أبي ذر عرض لي جبريل في جانب الحرة فقال بشر أمتك بأنه من مات لايشرك بالله شيئا دخل الجنة الحديث متفق عليه بلفظ أتاني جبريل فبشرني وفي رواية لهما أتاني آت من ربي (٢) حديث أبي الدرداء قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ ولمن خاف مقام ربه جنتان ـ فقلت وإن زنى وإن سرق الحديث رواه أحمد باسناد صحيح (٣) حديث إذا كان يوم القيامة دفع إلى كل مؤمن رجل من أهل الملل فقيل له هذا فداؤك من النار رواه مسلم من حديث أبي موسى نحوه وقد تقدم (٤) حديث أبي بردة أنه حدث عمر بن عبد العزيز عن أبيه أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لايموت رجل مسلم إلاأدخل الله مكانه النار يهوديا أونصرانيا عزاه المصنف لرواية مسلم وهو كذلك (٥) حديث وقف صبي في بعض المغازي ينادى عليه فيمن يزيد في يوم صائف شديد الحر فبصرت به امرأة الحديث وفيه الله أرحم بكم جميعا من هذه بابنها متفق عليه مختصرا مع اختلاف من حديث عمر بن الخطاب قال قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبي فاذا امرأة من السبي تسعى إذ وجدت صبيا في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار قلنا لا والله وهي تقدر على أن لاتطرحه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أرحم بعباده من هذه بولدها لفظ مسلم وقال البخاري فاذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها تسعى إذ وجدت صبيا الحديث .

والحمد لله تعالى عودا على بدء والصلاة والتسليم على سيدنا محمد في كل حركة وهدء .

يقول مؤلفه عبد الرحيم بن الحسين العراقي إني أكملت مسودة هذا التأليف في سنة ٧٦١ وأكملت تبييض هذا المختصر منها في يوم الاثنين ١٢ من شهر ربيع الأول سنة ٧٩٠ انتهى .

الأرض» وبالله العون والعصمة والتوفيق ، تم بحمد الله للعبد للبدى كتاب عوارف المعارف للإمام السهروردي والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس

٢ (كتاب التوبة)
٣ الركن الأول فى نفس التوبة الخ
بيان حقيقة التوبة وحدها
٤ بيان وجوب التوبة وفضلها
٧ بيان أن وجوب التوبة على الفور
٩ بيان أن وجوب التوبة عام فى الأشخاص والأحوال فلا ينفك عنه أحد البتة
١٢ بيان أن التوبة إذا استجمعت شرائطها فهى مقبولة لامحالة
١٥ الركن الثانى فيما عنه التوبة وهى الذنوب
بيان أقسام الذنوب بالإضافة إلى صفات العبد
٢٢ بيان كيفية توزع الدرجات والدركات فى الآخرة على الحسنات والسيئات فى الدنيا
٣٢ بيان ما تعظم به الصغائر من الذنوب
٣٤ الركن الثالث فى تمام التوبة الخ
٤٣ بيان أقسام العباد فى دوام التوبة
٤٦ بيان ما ينبغى أن يبادر إليه التائب الخ
٤٩ الركن الرابع فى دواء التوبة الخ
٥٩ (كتاب الصبر والشكر)
٦٠ الشطر الأول فى الصبر
بيان فضيلة الصبر
٦١ بيان حقيقة الصبر ومعناه
٦٥ بيان كون الصبر نصف الإيمان
بيان الأسامى التى تتجدد للصبر الخ
٦٦ بيان أقسام الصبر بحسب اختلاف القوة والضعف
٦٧ بيان مظان الحاجة إلى الصبر الخ
٧٣ بيان دواء الصبر وما يستعان به عليه
٧٨ الشطر الثانى من الكتاب فى الشكر
الركن الأول فى نفس الشكر
بيان فضيلة الشكر
٧٩ بيان حد الشكر وحقيقته
٨٣ بيان طريق كشف الغطاء عن الشكر فى حق الله تعالى
٨٧ بيان تمييز ما يحبه الله تعالى عما يكرهه
٩٦ الركن الثانى من أركان الشكر الخ
بيان حقيقة النعمة وأقسامها
١٠٦ بيان وجه الأنموذج فى كثرة نعم الله تعالى وتسلسلها وخروجها عن الحصر
١٠٧ الطرف الأول فى نعم الله تعالى فى خلق أسباب الإدراك
١٠٨ الطرف الثانى فى أصناف النعم فى خلق الإرادات
١٠٩ الطرف الثالث فى نعم الله تعالى فى خلق القدرة وآلات الحركة
١١٣ الطرف الرابع فى نعم الله تعالى فى الأصول التى تحصل فيها الأطعمة الخ
١١٥ الطرف الخامس فى نعم الله تعالى فى الأسباب الموصلة للأطعمة إليك
١١٦ الطرف السادس فى إصلاح الأطعمة
الطرف السابع فى إصلاح المصلحين
١١٧ الطرف الثامن فى بيان نعمة الله تعالى فى خلق الملائكة عليهم السلام
١٢٠ بيان السبب الصارف للخلق عن الشكر
١٢٤ الركن الثالث من كتاب الصبر
بيان وجه اجتماع الصبر والشكر على شىء واحد
١٣١ بيان فضل النعمة على البلاء
١٣٢ بيان الأفضل من الصبر والشكر
١٣٨ (كتاب الخوف والرجاء)
ويشتمل على شطرين أما الشطر الأول فيشتمل على بيان حقيقة الرجاء الخ
١٣٩ بيان حقيقة الرجاء
١٤١ بيان فضيلة الرجاء والترغيب فيه
١٤٢ بيان دواء الرجاء والسبيل الذى يحصل منه حال الرجاء ويغلب
١٥٢ الشطر الثانى من الكتاب فى الخوف
بيان حقيقة الخوف
١٥٤ بيان درجات الخوف واختلافه فى القوة والضعف
١٥٥ بيان أقسام الخوف بالإضافة إلى ما يخاف منه
١٥٧ بيان فضيلة الخوف والترغيب فيه
١٦١ بيان أن الأفضل هو غلبة الخوف أو غلبة الرجاء أو اعتدالهما
١٦٤ بيان الذى به يستجلب حال الخوف
١٧٠ بيان معنى سوء الخاتمة
١٧٧ بيان أحوال الأنبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام فى الخوف
١٨٠ بيان أحوال الصحابة والتابعين والسلف والصالحين فى شدة الخوف
١٨٥ (كتاب الفقر والزهد)
الشطر الأول من الكتاب فى الفقر
١٨٦ بيان حقيقة الفقر واختلاف أحوال الفقير وأساميه
١٨٩ بيان فضيلة الفقر مطلقا
١٩٥ بيان فضيلة خصوص الفقراء من الراضين والقانعين والصادقين
١٩٦ بيان فضيلة الفقر على الغنى
٢٠١ بيان آداب الفقير فى فقره
٢٠٢ بيان آداب الفقير فى قبول العطاء الخ
٢٠٥ بيان تحريم السؤال من غير ضرورة وآداب الفقير المضطر فيه
٢٠٩ بيان مقدار الغنى المحرم للسؤال

صفحة

٢١٠ بيان أحوال السائلين
٢١١ الشطر الثانى من الكتاب فى الزهد
بيان حقيقة الزهد
٢١٤ بيان فضيلة الزهد
٢٢٠ بيان درجات الزهد وأقسامه الخ
٢٢٤ بيان تفصيل الزهد فيما هو من ضروريات الحياة
٢٣٦ بيان علامات الزهد
٢٣٨ (كتاب التوحيد والتوكل)
بيان فضيلة التوكل
٢٤٠ بيان حقيقة التوحيد الذى هو أصل التوكل وهو الشطر الأول من الكتاب
٢٥٣ الشطر الثانى من الكتاب فى أحوال التوكل وأعماله وفيه بيان حال التوكل الخ
بيان حال التوكل
٢٥٧ بيان ما قاله الشيوخ فى أحوال التوكل
٢٥٨ بيان أعمال المتوكلين
٢٦٥ بيان توكل المعيل
٢٦٨ بيان أحوال المتوكلين فى التعلق بالأسباب بضرب مثال
٢٧٤ بيان آداب المتوكلين إذا سرق متاعهم
٢٧٩ بيان أن ترك التداوى قد يحمد فى بعض الأحوال ويدل على قوة التوكل الخ
٢٨٣ بيان الرد على من قال ترك التداوى أفضل بكل حال
٢٨٥ بيان أحوال المتوكلين فى إظهار المرض وكتمانه
٢٨٦ (كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا)
بيان شواهد الشرع فى حب العبد لله تعالى
٢٨٨ بيان حقيقة المحبة وأسبابها وتحقيق معنى محبة العبد لله تعالى
٢٩٣ بيان أن المستحق للمحبة هو الله وحده
٢٩٩ بيان أن أجل اللذات وأعلاها معرفة الله تعالى الخ
٣٠٣ بيان السبب فى زيادة النظر فى لذة الآخرة على المعرفة فى الدنيا
٣٠٧ بيان الأسباب المقوية لحب الله تعالى
٣١١ بيان السبب فى تفاوت الناس فى الحب
٣١٢ بيان السبب فى قصور أفهام الخلق عن معرفة الله سبحانه وتعالى
٣١٤ بيان معنى الشوق إلى الله تعالى
٣١٨ بيان محبة الله تعالى للعبد ومعناها
٣٢٠ القول فى علامات محبة العبد لله تعالى
٣٢٩ بيان معنى الأنس بالله تعالى
٣٣١ بيان معنى الانبساط والإدلال الذى تثمره غلبة الأنس
٣٣٣ القول فى معنى الرضا بقضاء الله الخ
٣٣٤ بيان فضيلة الرضا
٣٣٧ بيان حقيقة الرضا وتصوره فيما يخالف الهوى
٣٤١ بيان أن الدعاء غير مناقض للرضا

صفحة

٣٤٤ بيان أن الفرار من البلاد التى هى مظان المعاصى ومذمتها لا يقدح فى الرضا
٣٤٥ بيان جملة من حكايات المحبين وأقوالهم ومكاشفاتهم
٣٤٩ خاتمة الكتاب بكلمات متفرقة تتعلق بالمحبة ينتفع بها
٣٥٠ (كتاب النية والإخلاص والصدق)
٣٥١ الباب الأول فى النية
بيان فضيلة النية
٣٥٣ بيان حقيقة النية
٣٥٥ بيان سر قوله صلى الله عليه وسلم : نية المؤمن خير من عمله
٣٥٧ بيان تفصيل الأعمال المتعلقة بالنية
٣٦٢ بيان أن النية غير داخلة تحت الاختيار
٣٦٤ الباب الثانى فى الإخلاص وفضيلته وحقيقته ودرجاته
فضيلة الإخلاص
٣٦٧ بيان حقيقة الإخلاص
٣٦٩ بيان أقاويل الشيوخ فى الإخلاص
٣٧٠ بيان درجات الشوائب والآفات المكدرة للإخلاص
٣٧٢ بيان حكم العمل المشوب واستحقاق الثواب به
٣٧٤ الباب الثالث فى الصدق وفضيلته وحقيقته ودرجاته .
فضيلة الصدق
٣٧٥ بيان حقيقة الصدق ومعناه ومراتبه
٣٨١ (كتاب المراقبة والمحاسبة)
المقام الأول من المرابطة المشارطة
٣٨٤ المرابطة الثانية المراقبة
٣٨٥ بيان حقيقة المراقبة ودرجاتها
٣٩١ المرابطة الثالثة محاسبة النفس الخ
فضيلة المحاسبة
٣٩٢ بيان حقيقة المحاسبة بعد العمل
٣٩٣ المرابطة الرابعة فى معاقبة النفس على تقصيرها
٣٩٥ المرابطة الخامسة المجاهدة
٤٠٣ المرابطة السادسة فى توبيخ النفس ومعاتبتها
٤٠٩ (كتاب التفكر)
٤١٠ فضيلة التفكر
٤١٢ بيان حقيقة الفكر وثمرته
٤١٣ بيان مجارى الفكر
٤٢٠ بيان كيفية التفكر فى خلق الله تعالى
٤٣٣ (كتاب ذكر الموت وما بعده)
الشطر الأول فى مقدماته وتوابعه الخ
٤٣٤ الباب الأول فى ذكر الموت الخ
بيان فضل ذكر الموت كيفما كان
٤٣٦ بيان الطريق فى تحقيق ذكر الموت فى القلب
٤٣٧ الباب الثانى فى طول الأمل وفضيلة قصر الأمل وسبب طوله وكيفية معالجته

صفحة

فضيلة قصر الأمل

٤٤١ بيان السبب فى طول الأمل وعلاجه
٤٤٢ بيان مراتب الناس فى طول الأمل وقصره
٤٤٣ بيان المبادرة إلى العمل وحذر آفة التأخير
٤٤٥ الباب الثالث فى سكرات الموت وشدته وما يستحب من الأحوال عنده
٤٥٠ بيان ما يستحب من أحوال المحتضر عند الموت
٤٥١ بيان الحسرة عند لقاء ملك الموت بحكايات يعرب لسان الحال عنها
٤٥٣ الباب الرابع فى وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده
وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
٤٦٠ وفاة أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه
٤٦٢ وفاة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه
٤٦٣ وفاة عثمان رضى الله تعالى عنه
٤٦٤ وفاة على كرم الله وجهه
الباب الخامس فى كلام المحتضرين من الخلفاء والأمراء والصالحين
٤٦٥ بيان أقاويل جماعة من خصوص الصالحين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أهل التصوف رضى الله عنهم أجمعين
٤٦٨ الباب السادس فى أقاويل العارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور
٤٦٩ بيان حال القبر وأقاويلهم عند القبور
٤٧٣ بيان أقاويلهم عند موت الولد
بيان زيارة القبور والدعاء للميت الخ
٤٧٧ الباب السابع فى حقيقة الموت وما يلقاه الميت فى القبر إلى نفخة الصور
بيان حقيقة الموت
٤٨٢ بيان كلام القبر للميت وكلام الموتى إما بلسان المقال أو بلسان الحال
٤٨٣ بيان عذاب القبر وسؤال منكر ونكير

صفحة

٤٨٦ بيان سؤال منكر ونكير وصورتهما وضغطة القبر وبقية القول فى عذاب القبر
٤٨٨ الباب الثامن فيما عرف من أحوال الموتى بالمكاشفة فى المنام
٤٩٠ بيان منامات تكشف عن أحوال الموتى والأعمال النافعة فى الآخرة
٤٩١ بيان منامات المشايخ رحمة الله عليهم أجمعين
٤٩٤ الشطر الثانى من كتاب ذكر الموت فى أحوال الميت من وقت نفخة الصور إلى آخر الاستقرار فى الجنة أو النار وتفصيل ما بين يديه من الأهوال والأخطار وفيه بيان نفخة الصور الخ . صفة نفخة الصور
٤٩٦ صفة أرض المحشر وأهله
٤٩٧ صفة العرق
٤٩٨ صفة طول يوم القيامة
٤٩٩ صفة يوم القيامة ودواهيه وأساميه
٥٠١ صفة المساءلة
٥٠٣ صفة الميزان
٥٠٤ صفة الخصماء ورد المظالم
٥٠٧ صفة الصراط
٥٠٩ صفة الشفاعة
٥١٢ صفة الحوض
٥١٤ القول فى صفة جهنم وأهوالها وأنكالها
٥١٩ القول فى صفة الجنة وأصناف نعيمها
٥٢٢ صفة حائط الجنة وأراضيها وأشجارها وأنهارها
٥٢٣ صفة لباس أهل الجنة وفرشهم وسررهم وأرائكهم وخيامهم
صفة طعام أهل الجنة
٥٢٤ صفة الحور العين والولدان
٥٢٦ بيان جمل مفرقة من أوصاف أهل الجنة وردت بها الأخبار
٥٢٧ صفة الرؤية والنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى .
نختم الكتاب بباب فى سعة رحمة الله تعالى على سبيل التفاؤل بذلك
٥٢٨ باب فى سعة رحمة الله تعالى

فهـــرس

بقية عوارف المعارف للسهروردى الذى بالهامش

صفحة

٢ الباب التاسع والأربعون فى استقبال النهار والأدب فيه والعمل

٣٢ الباب الخمسون فى ذكر العمل فى جميع النهار وتوزيع الأوقات

٧٨ الباب الحادى والخمسون فى آداب المريد مع الشيخ

١١٧ الباب الثانى والخمسون فى آداب الشيخ وما يعتمده مع الأصحاب والتلامذة

١٣٨ الباب الثالث والخمسون فى حقيقة الصحبة وما فيها من الخير والشر

١٦٥ الباب الرابع والخمسون فى أداء حقوق الصحبة والأخوة فى الله تعالى

١٨٠ الباب الخامس والخمسون فى آداب الصحبة والأخوة

١٩٧ الباب السادس والخمسون فى معرفة الإنسان نفسه ومكاشفات الصوفية من ذلك

صفحة

٢٠٢ الباب السابع والخمسون فى معرفة الخواطر وتفصيلها وتمييزها

٢٨١ الباب الثامن والخمسون فى شرح الحال والمقام والفرق بينهما

٢٩٨ الباب التاسع والخمسون فى الإشارات إلى المقامات على الاختصار والإيجاز

٣٣٥ الباب الستون فى ذكر إشارات المشايخ فى المقامات على الترتيب

٣٨٣ الباب الحادى والستون فى ذكر الأحوال وشرحها

٤٤٩ الباب الثانى والستون فى شرح كلمات مشيرة إلى بعض الأحوال فى اصطلاح الصوفية

٤٧٥ الباب الثالث والستون فى ذكر شيء من البدايات والنهايات وصحتها

بحمد الله تعالى تم طبع كتاب [إحياء علوم الدين] لحجة الإسلام الإمام الغزالى ، ومعه كتاب [المغنى عن حمل الأسفار فى الأسفار فى تخريج ما فى الإحياء من الأخبار] لحافظ الإسلام زين الدين العراقى .

وبهامشه ثلاثة كتب :

الأول : تعريف الأحياء بفضل الإحياء للشيخ عبد القادر العيدروس باعلوى .

الثانى : الإملاء عن إشكالات الإحياء لصنيف الإمام الغزالى .

الثالث : عوارف المعارف للإمام السهروردى .